



جامعة الدول العربية
إدارة السياسات السكانية والهجرة / القطاع الاجتماعى

قضايا الشباب العربي الإصدار الثالث

الشباب العربي والمشاركة: التحديات وآفاق التطوير

2007

إدارة السياسات السكانية والهجرة / القطاع الاجتماعي - جامعة الدول العربية
22 شارع طه حسين الزمالك - جمهورية مصر العربية
هاتف : 2027354306 فاكس : 2027351422
email : youth@poplas.org www.poplas.org
(0705) -03/(2007)/06 :

المساهمون في التقرير

- 1- أحمد عاشور، معهد التخطيط القومي، القاهرة.
- 2- إيهاب عبده، رئيس جمعية نهضة المحروسة، القاهرة.
- 3- إيمان فرج: أستاذ باحث بمركز البحوث والتوثيق الفرنسي بالقاهرة.
- 4- ثريا اسماعيل، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. السعودية
- 5- خالد الوحيشي، مدير إدارة السياسات السكانية والهجرة. القطاع الاجتماعي، الأمانة العامة، لجامعة الدول العربية
- 6- عبد الباسط عبد المعطي، مستشار إدارة السياسات السكانية والهجرة.
- 7- عبد الجليل زكريا، مسئول تكنولوجيا المعلومات، إدارة السياسات السكانية والهجرة.
- 8- عبد العزيز لبيب، أستاذ بجامعة المنار، تونس.
- 9- عبير أمين فريد، باحث في علم الاجتماع السياسي.
- 10- علياء رافع، أستاذ الأنثروبولوجيا، كلية البنات، جامعة عين شمس.
- 11- مصطفى كامل السيد، أستاذ العلوم السياسية، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
- 12- محمد عبد الشفيق عيسى، أستاذ، معهد التخطيط القومي.
- 13- ليلي يونس، ناشطة في مؤسسات المجتمع المدني، الأردن
- 14- منال حسون أخصائي تدريب بمنظمات المجتمع المدني، لبنان.

فهرس المحتويات:

	ملخص تنفيذي
15	الباب الأول: الأبعاد النظرية والمعرفية لمشاركة الشباب
	الفصل الأول: تمكين الشباب ومشاركته. الأبعاد النظرية والمفاهيمية
17	مقدمة
18	- في مصطلح التمكين.
21	- توطين التمكين في بيئة عربية: الإمكانيات والمعوقات.
25	- مشاركة الشباب في إعلانات الهيئات الدولية.
	الفصل الثاني: الثقافة الداعمة لمشاركة الشباب من أجل تمكينه
37	مقدمة
37	المشاركة: بعض المفاهيم والقضايا
39	القيم المعوقة لثقافة المشاركة لدى الشباب
	الفصل الثالث: مشاركة الشباب، المقاربة والمنهجية
47	مقدمة
47	أولاً: مقاربات مشاركة الشباب
47	- المقاربة المحافظة الأبوية
48	- المقاربة النقدية الكلية
50	ثانياً: مشاركة الشباب قيمة مضافة للفعل التنموي الوطني والإقليمي
51	ثالثاً: من واقع مشاركة الشباب في البلدان العربية
52	رابعاً: تحديات ومخاطر العزوف عن المشاركة
59	الباب الثاني: أحدث دراسات ميدانية حول واقع مشاركة الشباب العربي
61	الفصل الرابع: واقع مشاركة الشباب العربي في الجمعيات الأهلية: الفرص والمعوقات
61	مقدمة: الخلفية وأهداف الدراسة
62	أولاً: المحددات المفاهيمية والإجرائية للدراسة
65	ثانياً: أهم نتائج الدراسة
65	1- فرص الشباب في الجمعيات الأهلية
71	2- معوقات مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية
	3- مقترحات تفعيل مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية
	الفصل الخامس: مشاركة الشباب العربي: التحديات وآفاق التفعيل
77	دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي.
77	أولاً: في أهداف الدراسة ومنهجيتها
77	1- أهداف الدراسة
78	2- منهجية الدراسة ومقاربتها
80	ثانياً: أهم نتائج الدراسة
80	1- الوعي بالمشاركة: المضامين والمدرجات
80	- المشاركة: المعنى والدلالات
81	- الخبرة السابقة والوعي بالمشاركة: الواقع والتقييم
85	- مقترحات تطوير المشاركة في ضوء الخبرات السابقة
87	2- المعرفة بالمشاركة: المجالات والمصادر
89	3- فرص المشاركة: بين الإقدام والإحجام
93	4- تضاريس مشاركة الشباب: في تباين المجالات والدوافع
96	مشاركة الشباب من المعوقات إلى آفاق التفعيل
96	1- أهم معوقات المشاركة
96	2- ماذا يريد الشباب لتفعيل المشاركة
101	خاتمة عامة للتقرير
107	الاستبيان

التقرير الراهن هو الإصدار الثالث من سلسلة قضايا الشباب العربي 2007 وهي سلسلة ضمن نشاطات مشروع "تمكين الشباب العربي وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية" الذي تنفذه إدارة السياسات السكانية والهجرة بالقطاع الاجتماعي بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان 2004-2007.

ولقد وقع اختيار المشروع على قضية مشاركة الشباب، لاستطلاع بعض أبعاد واقعها، وآفاق تطويرها:

- فالمشاركة حق مركزي من حقوق المواطنة، تيسر وتدعم الحقوق الإنسانية الأخرى، المدنية، والاجتماعية، والاقتصادية.
- ومشاركة الشباب إحدى أهم ركائز تمكينه تنموياً.
- وتفعيل مشاركة الشباب في السياسات والمشروعات والبرامج التي تتوجه إليه، تثري وعيه بواقعه: حدوده، وامكانياته، وفرص تفعيل أدواره التنموية.
- فضلاً عن أن المشاركة قيمة مضافة للنشاطات التي يشارك فيها الشباب، سواء في المؤسسات الحكومية أو منظمات المجتمع المدني، بما يحوزه الشباب من طاقة وجهد وقدرة على التجديد والإبداع، ومن ثم الإسهام في دعم المشروعات، وتخفيض التكلفة، وتيسير سرعة الإنجاز.
- ولقد حرص التقرير على أن يرصد المشاركة- كعملية وفعل فردي وجماعي- من قبل الشباب، وفق قدراته، ومعرفته بالفرص المتاحة لمشاركته.
- وبالإضافة إلى الاستفادة من البيانات المتاحة من بحوث ودراسات سابقة حول مشاركة الشباب العربي، فصدنا إجراء دراستين ميدانيتين، للتحصل على بيانات جديدة وحديثة حول المشاركة، ولعلاج بعض الثغرات في البيانات المتاحة حول واقع مشاركة الشباب العربي. لقد ركزت الدراسة الميدانية الأولى على التحديات التي تواجه مشاركة الشباب، واستطلاع رؤاه بشأن تطويرها. اعتمدت على استبيان جمعت بياناته بواسطة البريد الإلكتروني من كل البلدان العربية، وصل عدد من استوفوه 516 شاباً وشابة. وأما الدراسة الثانية، فقد أجريت حول الشباب العربي في الجمعيات الأهلية، وذلك لأن الدراسات المتاحة حول مشاركة الشباب بينت أنه أكثر ميلاً للمشاركة فيها، مقارنة بمشاركته في الحقل السياسي العام.
- وتمهيداً لتحليل البيانات المتاحة من جهود بحثية سابقة، وللتخطيط لإعداد الدراسات الميدانيتين، سعى التقرير في الباب الأول وفصليه الأول والثاني من الباب الأول إلى تقديم تأصيل نظري ومعرفي لمفهوم المشاركة والتمكين، باعتبار جدلية العلاقة بينهما، وإثراء كل منهما للآخر، وأيضاً لمناقشة أهم عناصر البيئة الداعمة لمشاركة الشباب العربي.
- وبجانب ما قدمه التقرير من بيانات ومعلومات حول واقع مشاركة الشباب، فإنه طرح على المعنيين بقضايا مشاركة الشباب جوانب وأبعاداً مهمة حول آفاق تطوير تلك المشاركة، كما يحفل التقرير بتساؤلات وفرضيات علمية، يمكن أن تسهم في إنجاز دراسات وبحوث علمية، كمية وكيفية تالية، حول أبعاد مشاركة الشباب، وأغوارها الثقافية.
- ونأمل أن يكون العمل الراهن منبهاً علمياً لمناقشات وحوارات بين المعنيين بقضايا الشباب، خاصة المخططين لسياسات تمكينه والمسؤولين عن تنفيذها من ناحية، وبين الباحثين، لإنتاج المزيد من المعلومات والمعرفة والقرائن العملية التي تمكن راسمي سياسات مشاركة الشباب من تطوير آفاق تلك السياسات من ناحية أخرى.

خالد الرويشي

مدير إدارة السياسات السكانية والهجرة

القطاع الاجتماعي. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

ملخص تنفيذي

التقرير الراهن هو الثالث من إصدارات قضايا الشباب العربي، وهو أحد نشاطات مشروع تمكين الشباب العربي وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية الذي تنفذه جامعة الدول العربية/ إدارة السياسات السكانية والهجرة بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان. وسعى التقرير إلى أن يكون من موقع الشباب ورؤاه لمصائره وما يطرحه من تساؤلات، وما يعيشه من حيرة تصل أحياناً إلى حد التشكيك في جدوى بعض القضايا والممارسات المحيطة به، هي حيرة أنتجها إلمامه بواقعه النوعي، في سياق واقع مجتمعاته في تفاعلاتها مع تغيرات عالمية عاتية، نتيجة لمصاحبات الإنجازات المعرفية والعلوماتية والاتصالية التي أنتجتها، فواجهت الشباب بتحديات، وأتاحت له فرصاً في التعليم والاتصال بأفكار متجددة حول حقوق الإنسان والمواطنة والمشاركة والديمقراطية.

طرح التقرير -وعصبه الداخلي التمكين والمشاركة- مجموعة من الإشكاليات: Problematics النظرية، والمفاهيمية، والمعرفية، والواقعية، ذات الصلة بمشاركة الشباب العربي. وقد يندش القارئ عندما يبادر التقرير بطرح سؤال صارت الإجابات عليه بديهية بين غير قليل من المهتمين بقضايا الشباب تحديداً، وبقضايا التنمية على وجه العموم. لماذا كان المنحى التصاعدي على امتداد العقود الأخيرة بقضايا الشباب في الخطاب الرسمي العالمي؟ ماوجه الواقعية والتحول في هذا الخطاب؟ بمعنى ما الذي تغير في النظام الديموغرافي والفكر والبحث الاجتماعيين دولياً ليستعيب عن تحليل المجتمعات الإنسانية عمودياً (طبقات، أغنياء، فقراء، مستضعفين powerlessness ومهيمنين، وخاضعين) بتحليلات أفقية فنوية (طفولة، شباب، امرأة)؟ وهل يتصل هذا التحول بتغير أساسي في الوجود الاجتماعي للناس وشروط عيشهم، أم أن التحول يكمن في تغيير المنظور، لكي يتلون بمصالح اقتصادية وسياسية وربما أيديولوجية بعينها؟ قد يكون التحول قد ارتبط بكل ما سبق. فالمتغيرات

العميقة التي اجتاحت العالم والتي كانت بمثابة صدمات حاضره ومستقبله بلغة ألفن توفلر A. Toffler أثرت في فكر التمكين والمشاركة والتنمية المستدامة، والتأكيد على أن الشباب أنفسهم من أهم قوى التغيير المجتمعي، وهم مستقبل العالم بالفعل. انطلاقاً من بروز مجموعة من الوقائع الديموغرافية الدولية، والتي أفضت إلى الاهتمام بفئة الشباب، ومن هذه الوقائع نزوح سكان البلدان المتقدمة إلى الشيخوخة، وتزايد نسب كبار السن في التركيب العمري للسكان، وانحسار فرصة من قوة العمل. ولهذا فالرهان على الشباب من أجل مصالحه في ضوء توقعات مستقبلية، تشير إلى ضرورة الاهتمام النوعي بقضاياها، وكأن الحال يقول "عناية بمستقبل العالم بشباب العالم؟". كما أن مستقبل العولة كما أكدت بعض الأدبيات- كارل بيرجر في كتابه الهام: عالم ماك- أن قوى العولة الاقتصادية والسياسية تراهن على الشباب باعتبارهم مستقبل العولة نفسها.

- وثمة إشكاليات أخرى عنيت بتفسير واقع مشاركة الشباب وفهم وتأويل العوامل والمتغيرات التي تؤثر فيما هو أبعد من ظاهرها، خاصة الثقافة الداعمة لمشاركة الشباب من أجل تمكينه. كما اهتم التقرير الراهن بمناقشة أصول وجذور ومضامين المصطلحات والمفاهيم الأساسية، خاصة مفهومي التمكين والمشاركة، تأسيساً على العلاقة العضوية بين كلتا العمليتين، والتي تسهم في إثراء الفعل الذي يشير إليه كل منهما. ولهذا وقع الاهتمام على تحليل معني التمكين على مستوى الدلالات اللغوية والتصورية والواقعية ومتطلبات فعل التمكين وعمليته ومساره، وتوصل التقرير إلى استخلاص هام مفاده، أن هناك بعدين أساسيين في مفهوم التمكين: أولهما يؤدي إلى قدرة الفعل أو القدرة التي تنتج عن العوامل الذاتية التي توفر طاقة العمل والتي يجسدها "عنفوان الشباب" وطموحاته واحتجاجاته، أما البعد الثاني فيتمثل في "التحكم معاً"، أو القدرات المشتركة التي تعبر عن تركيب نوعي أكبر وأعمق من أجزائه، أي حصاد تفاعلات البنية المجتمعية. أما مفهوم المشاركة

سعى التقرير إلى أن يكون من موقع الشباب ورؤاه لمصائره وما يطرحه من تساؤلات، وما يعيشه من حيرة تصل أحياناً إلى حد التشكيك في جدوى بعض القضايا والممارسات المحيطة به، هي حيرة أنتجها إلمامه بواقعه النوعي في سياق واقع مجتمعاته في تفاعلاتها مع تغيرات عالمية عاتية.

وهي مشاركة تعني اقتسام السلطة مع البالغين من حائزي القوة والنفوذ في المواقع المختلفة، بدءاً من الأسرة وفي مؤسسات الدولة ومابينهما من منظمات للمجتمع المدني.

المشاركة السياسية تمثل قمة المشاركة، باعتبارها أكثر ارتباطاً بالقرارات الحاضرة والمستقبلية المؤثرة في واقع الشباب وطموحاته.

إن المهيمين على السلطة بمعناها الواسع سواء سلطة الأسرة أو مدير المدرسة أو الأستاذ بالجامعة والمدير في العمل إلخ، يلجئون - غالباً - إلى الهيمنة وتوجيه مشاركة الشباب وضبطها على ما يرونه

فتمتع تعريفات إجرائية وظفت في إجراء دراسات عقلية ميدانية حول مشاركة الشباب العربي. وإذا ظهر للقارئ أن بعض هذه التعريفات حمل تبايناً وتناقضاً، فإن التعمق في دلالاتها ومواطن التركيز التي اهتمت بها يجدها متكاملة، لأن كل تعريف اهتم ببعض الأبعاد التي اعتبرها ذات أهمية ومع هذا فالشرك بينها بدا واضحاً، خاصة فيما يتعلق بمشاركة الشباب في القرارات التي تهمهم وتهم تنمية مجتمعاتهم، وهي مشاركة تعني اقتسام السلطة مع البالغين من حائزي القوة والنفوذ في المواقع المختلفة، بدءاً من الأسرة وفي مؤسسات الدولة ومابينهما من منظمات المجتمع المدني. ولقد تبني التقرير مفهوماً أكثر شمولاً وكلية للمشاركة بأبعادها ومستوياتها السياسية والاجتماعية الاختيارية، والتي تتأسس على التزام مجتمعي تحدده التشريعات والقوانين، كالانتخابات السياسية على سبيل المثال. وهذا التركيز كان هدفه الأساسي لفت انتباه رسمي سياسات الشباب إلى بعض أنواع وصور المقاومة من قبل الكبار لمشاركة الشباب، والتي تجعلهم يسوقون مبررات، بعضها مسكوت عنه، هدفها عرقلة مشاركة الشباب في القرار فعلياً وربما على المستوي الرمزي أيضاً. ولهذا اهتم التقرير بتفكيك مفهوم المشاركة إلى مكونات فرعية اشتملت على ما يسمى بسلم المشاركة ladder of participation ، والتي تبدأ بالتعبير عن الرأي، مروراً بالتعاون مع الآخرين لإنجاز بعض النشاطات وحتى المشاركة في صنع القرارات واتخاذها.

كما وقع التمييز بين ما يسمي بالمشاركة الإيجابية كفعل إيجابي، وبين المشاركة السلبية التي تكمن خلف العزوف الواعي عن المشاركة في الشأن السياسي المنظم. وحاولنا توضيح أنه رغم أهمية المشاركة بوجه عام، ولاسيما المشاركة السياسية تمثل والحاجة إلى مجالاتها الأخرى في تمكين الشباب، فإن المشاركة السياسية تمثل قمة المشاركة، باعتبارها أكثر ارتباطاً بالقرارات الحاضرة والمستقبلية المؤثرة في واقع الشباب وطموحاته. كما أكد التقرير على أهمية ثقافة المشاركة، والبيئة الداعمة لعملية المشاركة، باعتبارها أمورا ذات صلة بالوعي بالمشاركة وإمكانات ممارستها.

- وحرص التقرير على الإلمام برؤية أكثر اتساعاً لتفسير فرص مشاركة الشباب العربي وتحدياتها، باعتبارها ضرورة لصياغة آليات جديدة لمشاركة الشباب. وكان من بين أهم التفسيرات التي توصلت إليها الدراسات الميدانيتان، وتعتبر بمثابة تساؤلات ومشروعات لفرضيات بحاجة إلى عمل ميداني أكثر شمولاً يستجلبها قبل التعميم في ضوءها مايلي:

• يسود خوف لدى الشباب من السلطة، فيزداد العزوف عن المشاركة: إن المهيمين على السلطة بمعناها الواسع سواء سلطة الأسرة أو مدير المدرسة أو الأستاذ بالجامعة والمدير في العمل إلخ، يلجئون - غالباً - إلى الهيمنة وتوجيه مشاركة الشباب وضبطها على ما يرونه. ولهذا يلجأ بعض الشباب إلى الحيلة والتحايل في مواجهة هذه السلطة، كما يفعل بعض الأبناء مع أولياء أمورهم، وبالتالي فهم نادراً ما يواجهون حائزي السلطة على نحو مباشر، ومن ثم لا يجب فهم عزوفهم في ضوء عملية الخضوع واليأس فقط، وإنما أيضاً بالاستناد إلى معطيات موضوعية تتعلق بتكلفة الاحتجاج المحتمل، وقياس جدواه وعوائده، ويكاد يصدق هذا على العمل الحزبي والأهلي، وعلى السلطات التي يواجهها الشباب في حياته اليومية، كحالة الإدارة المدرسية والجامعية حين تواجه الاتحادات الطلابية، على سبيل المثال.

• في الوقت الذي يحجم فيه الشباب العربي عن المشاركة في العمل السياسي المنظم، فهو يقبل - نسبياً - على المشاركة في الجمعيات الأهلية، لإدراكه أن هذه الجمعيات تتيح له فرصاً أوفر للتعبير عن ذاته، والمساهمة الفعلية في أعمالها، وتطوير قدراته ومهاراته على المشاركة.

• هناك علاقة بين عزوف الشباب وانخراطهم في صيغ المشاركة المتاحة، سواء السياسية والمدنية، وبين الفوائد المباشرة وغير المباشرة المتوقع الحصول عليها منها بما في ذلك تجنب المخاطر.

- ولقد أثار التقرير في فصله الثاني سؤالاً حول كيفية تفعيل مشاركة الشباب العربي، خاصة في الشأن السياسي العام، في الوقت الذي لا تتيح فيه الفرص المجتمعية تلك المشاركة على النحو

المرغوب فيه لا للكبار أحياناً ولا للشباب. ناقش هذا الفصل موقفين أو رؤيتين للإجابة عن هذا السؤال: يري الأول أن إعداد الشباب للمشاركة هو عملية تربية وتنشئة مجتمعية بالمعني التاريخي، والتي افترت بنضالات مجتمعية أكدت الاعتراف بحقوق الحكوميين في اختيار حكاهم أو من ينوب عنه، وتعرضت لها مجتمعات بأكملها، أسفرت عن صناعة المواطن المشارك المتمرس على قيم الديمقراطية عبر آليات للتنشئة والضبط الاجتماعيين، متنوعة ومتواصلة مع دورة حياة المواطن. ولهذا يري أنصار هذا الرأي أنه ما من سبيل أمام المجتمعات إلا المرور وإن في عجلة بمختلف مراحل التجربة التاريخية التي خابرتها النظم الديمقراطية. أما أنصار الرأي الثاني، فينتصرون لفكرة الترتيبات المؤسسية الكفيلة بإعداد وتكوين المواطنين المشاركين والديمقراطيين. فتأسس قواعد اللعبة وتوضيحا ووضع ضوابط وحوافز محددة لها تجعل المشاركين يلتزمون بها بغض النظر عن استعداداتهم وقيمهم، وبالتالي للمشاركة ليست بحاجة إلى سنوات وعقود من التربية بقدر ماهي بحاجة إلى مؤسسات وضوابط حاكمة وآليات للمراجعة والحاسبة.

وهناك سؤال ما انفك المفكرون والسياسيون يطرحونه على الحياة السياسية العربية، وهو سؤال ينسحب- بالضرورة- على مشاركة الشباب. السؤال موجز وبسيط ولكنه عميق الدلالات والتوجهات الأيديولوجية عند الإجابة عليه: "من المشاركة؟" وفي سياق قضيتنا الأساسية، وهي قضية مشاركة الشباب العربي، يكون التساؤل: هل المشاركة لصفوة فاعلة من الشباب، أم لكل الشباب بدون تمييز؟ خاصة إذا قصدنا فعلاً الاستناد إلى مقاربة حقوق الإنسان، وبالتالي حقوق كل الشباب في المشاركة. ويفترض أنصار الرأي الأول أن ثمة دواعي تدفعهم إلى تبني رأيهم، فمؤسسات المشاركة ليست متاحة كما وكيفا لكل الشباب، وأن معظم الشباب لا يحوز قدرات وقيم ومهارات المشاركة وبالتالي يمكن البدء بالفاعلين أو الطلائع من الشباب الذين يمكن أن يسهموا في تعليم غيرهم. أما أنصار الرأي الثاني، فيذهبون إلى أن اتساع قاعدة المشاركة لتشمل كل الشباب بجانب أنها

احترام لحقوقهم جميعاً، فإن ممارسة المشاركة- أيا كان مستواها- هي نوع من التنشئة للوعي والإرادة على المشاركة واكتساب مهاراتها عبر مواقف الحياة اليومية- وليس بالضرورة المؤسسية بالمعني الصارم- كما طرح ونجح " باولو فرييري "صاحب العمل الشهير"علم تربية المهوورين". فقد درب الأميين والمهمشين على المشاركة، فتحول الصامتون إلى فاعلين أساسيين في المشاركة، خاصة في محيطهم المحلي.

- ماسبق من أفكار وتساؤلات لاتعدو أن تكون جزءاً من كل مفعم بالتساؤلات، وطرح الإشكاليات التي نري أنها ضرورية في أي عمل جاد يتطلع إلى مناقشة قضايا مشاركة الشباب العربي من حيث تحدياتها وفرصها مناقشة جدية علمياً وواقعياً.

ولأنه لا يوجد بحث ميداني واحد عن أنماط مشاركة الشباب العربي ومجالاتها ومحتوياتها على الصعيد العربي، لأن جل ما هناك وكما وافانا تقرير الحالة المعرفية للمنتج البحثي حول الشباب العربي بيانات متبعثرة حيناً ومواربة أحياناً خلف بيانات أجهدنا تأويل بعضها، ولهذا حرصت إدارة السياسات السكانية والهجرة علي إنجاز دراستين ميدانيتين، تبدوان رمزيتين، إلا أن رمزيتهما- كما سوف يلاحظ القارئ- حافظتان بالمضامين والدلالات. لقد أجريت الأولى على مجموعة من الشباب عبر الموقع الإلكتروني لمشروع تمكين الشباب العربي التي تنفذه إدارة السياسات السكانية والهجرة بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان، من خلال استبيان جمعت بياناته بالبريد الإلكتروني، وصلت الاستجابات المستوفاة إلى 516 حالة من معظم البلدان العربية، وإن كانت النسب متفاوتة بين تلك البلدان، فقد كانت أكثر اقتراباً من حجم الشباب في البلدان العربية التي أتت منها الاستجابات الأكثر، حيث وردت 468 استجابة من مصر واليمن وفلسطين والعراق والمغرب والأردن وسوريا ولبنان والسعودية وليبيا. وهي بلدان تمثل أكثر من ثلثي شباب البلدان العربية، وتنتمي إلى الأقاليم الفرعية من الإقليم العربي (مشرق ومغرب وخليج). وتركز شباب العينة في فئتي العمر 20- 24 عاماً بنسبة 41.4%، وفي الفئة العمرية

-ولقد أثار التقرير في فصله الثاني سؤالاً حول كيفية تفعيل مشاركة الشباب العربي، خاصة في الشأن السياسي العام، في الوقت الذي لا يتيح فيه الفرص المجتمعية تلك المشاركة على النحو المرغوب فيه لا للكبار أحياناً ولا للشباب غالباً.

لا يوجد بحث ميداني واحد عن أنماط مشاركة الشباب العربي ومجالاتها ومحتوياتها على الصعيد العربي، لأن جل ما هناك وكما وافانا تقرير الحالة المعرفية للمنتج البحثي حول الشباب العربي بيانات متبعثرة حيناً ومواربة أحياناً خلف بيانات أجهدنا تأويل بعضها.

إقداماً أو إجحاماً، موافقة أو رفضاً، كلياً أو جزئياً، وفي ضوء هذا تكون الممارسات التي قد تسعى للحفاظ على الواقع الراهن للمشاركة إذا كان يحقق مصالح الأفراد والجماعات، أو تسعى لرفض واقعها القائم وتقديم بديل أو أكثر له، يجعله مواتياً لطموحات ومصالح الداخلين فيه، خاصة من الشباب.

1- معاني ودلالات المشاركة لدى الشباب

كان من المنطقي- في دراسة عن المشاركة- أن تستطلع المعاني التي استقرت في أذهان أفراد العينة بشأنها.. فتلك المعاني هي التي تساعدنا في فهم مواقفهم من المشاركة، إقداماً أو إجحاماً، وما يواجهونه من معوقات، وما يقترحونه لتفعيل ممارستهم لها.

يوضح تأويل إجابات الشباب أنها أكثر توجهاً نحو وظائف المشاركة وأدوارها في تطوير الفعل المجتمعي بأبعاده السياسية ذات الصلة بالتغيير المستقبلي، فأعلى نسبة في إجاباتهم كانت تأكيداً على أن المشاركة حق من حقوق أي مواطن (أي كل المواطنين). وحددت الشباب إطارها ببعدين هاميين يتفق معهن فيه كثيرون هما: "الحكم القائم على الحرية"، و"تحقيق العدالة الاجتماعية"، ولقد حازت هذه الإجابة على نسبة 19.8%، وهي الأعلى ليس لدى الشباب فقط، وإنما أيضاً مقارنة بالنسب التي أعطيت لإجابات الشبان.

أما إجابات الشبان، وإن احتفظت بالدور المجتمعي للمشاركة، إلا أن أعلى نسب الإجابات ارتبطت بأدوار الشباب أنفسهم وتأكيدهم لذواتهم. لقد أتى الشباب في تلك الإجابة بأن المشاركة تجعل الإنسان قادراً على العطاء بدون حدود بنسبة 18.4%، وهي إجابة وإن حملت بعداً مجتمعياً يربط بين المشاركة وإتاحة الفرصة لتحرير الإنسان، إلا أنها اهتمت في الوقت نفسه بالذات المشاركة.. يدل على هذا التوجه أن الإجابة الثانية ترتيبياً لدى الشباب هي أن المشاركة جزء لا يتجزأ من عملية اتخاذ القرار بنسبة 16.5%، وأتى في المرتبة الثالثة أن المشاركة تسهم في تطوير المجتمع بنسبة 14.8%. وإذا كانت إجابات الشبان قد ركزت على تحرير المشارك أولاً قبل التطوير المجتمعي، فإن إجابات الإناث قد ركزت على

25- 29 بنسبة 47.7%، وكانت نسبة الذكور والإناث في العينة 64.7% و35.3% على التوالي. وأنهى حوالي ثلثي العينة تعليمه 64.2%، ولا يزال أقل من الثلث بقليل بمراحل التعليم الثانوي والجامعي 30.8%.

وأما الدراسة الثانية، فقد أجريت على عينة من الشباب العربي في 31 جمعية أهلية، في البحرين والأردن وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر.

ولقد تمحور التقرير والدراسات الميدانيتان حول إشكالية أساسية هي أن المشاركة حق من حقوق الشباب، وضرورة لتمكينه، وتوجد بعض الفرص المتاحة لممارستها، ومع هذا يميل غير قليل منهم إلى

يرى التقرير الراهن أن الشباب الذي أحاب على أسئلة الاستبيان يعبرون عن موقف وحالة من حالات المشاركة. فهم الذين بادروا باستيفاء الاستبيان وإرساله دون ضغوط، أو حتى أي إجراءات من أي نوع.

العزوف عنها، خاصة العزوف عن المشاركة السياسية، ولهذا اهتمت الدراسة باستطلاع وعي الشباب بالمشاركة، وموقفهم منها، وممارستهم لها، وما يواجهونه من معوقات بشأنها، وما يرونه لتفعيل إقدام الشباب عليها.

أهم النتائج الميدانية

الوعي بالمشاركة

الوعي بالمشاركة كشأن الوعي بعمليات مجتمعية أخرى، يتألف كما تتفق معظم الأدبيات النقدية في العلوم الاجتماعية- من إدراك Perception وتصور Conception. ويقصد بالإدراك معلومات الشباب ومعارفهم عن المشاركة وقواعدها ومحدداتها، وفوائدها وضرورتها. هو إدراك لا يكون شاملاً وكلياً دوماً، لأنه نتاج المدخلات التي شكلته، سواء في الأسرة أو في مؤسسات التعليم والإعلام والمؤسسات الدينية ومؤسسات المشاركة، أو من خلال الثقافة السائدة في المجتمع والمحددة لقيم المشاركة، سواء كانت ثقافة شعبية أو من المؤسسات الرسمية.

وأما التصور، فيتضمن الموقف من المشاركة:

كان من المنطقي- في دراسة عن المشاركة- أن تستطلع المعاني التي استقرت في أذهان أفراد العينة بشأنها.. فتلك المعاني هي التي تساعدنا في فهم مواقفهم من المشاركة، إقداماً أو إجحاماً، وما يواجهونه من معوقات، وما يقترحونه لتفعيل ممارستهم لها.

أما إجابات الشبان. وإن احتفظت بالدور المجتمعي للمشاركة، إلا أن أعلى نسب الإجابات ارتبطت بأدوار الشباب أنفسهم وتأكيدهم لذواتهم. لقد أتى الشباب في تلك الإجابة بأن المشاركة تجعل الإنسان قادراً على العطاء بدون حدود بنسبة 18.4%، وهي إجابة وإن حملت بعداً مجتمعياً يربط بين المشاركة وإتاحة الفرصة لتحرير الإنسان

دور المشاركة في التطوير المجتمعي من أجل الحرية والعدالة.

2- أهم مدركات الشباب للمشاركة :

ويستقرأ مما سبق :

- أن غالبية الشباب والشابات إحصائياً يهتمون بالمشاركة ويرغبون فيها.

- وأن انشغالهم بهمومهم الخاصة، وتحديات التعليم والعمل والعلاقات الأسرية وغيرها لا يحول دون اهتمام معظم الشباب بالمشاركة

جدول (1) يوضح جوانب من مدركات الشباب للمشاركة

المقولة	عدد التكرارات	% التكرارات
الشباب لا يهتم بكل مجالات المشاركة	168	32.5
الشباب لا يرغب في أي شكل للمشاركة	66	12.8
الأحزاب مهمة في الحياة السياسية	281	54.4
لا يحرص الشباب على المشاركة في الاتحادات الطلابية	185	35.9
الشباب لا يهتم بالمشاركة السياسية	165	32
الشباب لا يثق في العمل السياسي	317	61
الشباب مشغول بهمومه الخاصة	225	63.6
المشاركة حق من حقوق المواطنة	368	71.3
مشاركة الفتاة في العمل السياسي حق من حقوقها	411	79.9

المصدر : الدراسة الميدانية العامة

- إن 68% من العينة يهتمون بالمشاركة السياسية، غير أنهم لا يثقون في ممارسات العمل السياسي السائد في البلدان العربية بنسبة شارفت على حوالي ثلثي العينة.

- سجل الشباب في معظمه إحصائياً أن المشاركة في العمل السياسي حق من حقوق المواطنة 71.3%، وحق من حقوق الفتاة 79.7% .

- لقد تباينت استجابات العينة بشأن مدركات الشباب للمشاركة على أساس النوع الاجتماعي، فالشباب أقل اهتماماً بالمشاركة السياسية بنسبة 72.3%، وأن الكبار يعوقون مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية بنسبة 71.4%، وأن الشباب لا يهتم بكل مجالات المشاركة بنسبة 67.5%، في حين كانت أعلى النسب بين إجابات الشابات أن الأسرة بنسبة 40.2% تمنع الشباب من المشاركة، وأنه لا توجد جمعيات أهلية قريبة من مكان إقامتهن بنسبة 37.6%، وأن الشباب

يشاركون في الجمعيات الأهلية بنسبة 37.8%.

وإذا كان الفارق في النسبة والأولويات على أساس النوع الاجتماعي يعكس التحديات التي تواجه الشابات من خارجهن، أي نتاج تفاعلات في السياقات المحيطة، فهي ترتبط بمحتويات ثقافية تفرضها الأسرة، أو عدم وجود فرص للمشاركة في الجمعيات، في حين أن مواقف الشبان تبدو أكثر ذاتية، إذ ترتبط بالوعي بالمشاركة والرغبة فيها، وهيمنة الكبار على فرص المشاركة. حصاد الممارسات السابقة للمشاركة

يهتم الشباب بالمشاركة الاجتماعية والسياسية ويرغب فيها، إلا أن منهم من لا يثق في الممارسات الراهنة للعمل السياسي العام.

3- حصاد الممارسات السابقة للمشاركة

كان لشبان وشابات العينة خبرة سابقة بالمشاركة بنسبة 58.5% من مجموعهما كانت النسبة لدى الشبان 63.9%، وهي تقرب من ضعف التجربة لدى الشابات 36.1%، وكان في مقدمتها المشاركة في العمل التطوعي في جمعيات أهلية بنسبة 35.2%، ثم المشاركة في النشاطات الطلابية بنسبة 25.3% (من لا يزالون بالتعليم في العينة 30.8%). وتساوت نسب المشاركة في الانتخابات البرلمانية مع تقديم خدمات في إطار المنطقة السكنية ولكل 15.8%، مع أن 89.5% من العينة تقع في فئة العمر 20-29 عاماً.

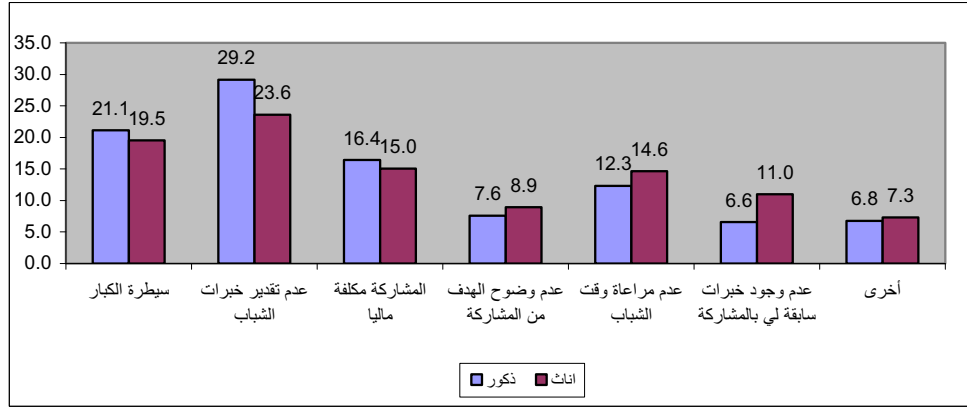
وتوضح البيانات أن المشاركة في الجمعيات الأهلية كانت نسبتها الأكبر 33% و39% لدى الشبان والشابات على التوالي، يليها المشاركة في الاتحادات الطلابية

الحالة الراهنة لمشاركة الشباب والشابات

تتحدد المشاركة- كفعل فردي أو جماعي شبابي- بحصاد مقدمات الوعي بها، والمعرفة بشروطها وضرورتها، والموقف منها، والفرص المتاحة بشأنها تلقت البيانات الانتباه إلى أنه رغم الانحسار النسبي لفرص المشاركة في المجتمع العربي ووجود نقائص ومعوقات في مواجهة التطوير الديمقراطي،

تحددت مصادر الشباب بما يمكن القيام به في نطاق الأسرة: كالقراءة والتعامل مع شبكة المعلومات بنسبة 23.7% و21.2% على التوالي، واحتل العمل التطوعي، وفي حدود المنطقة السكنية والجوار، المرتبة التالية بنسبة 20.3%. وبالنسبة للشبان، أتى الإنترنت ثم العمل التطوعي، وفي الجمعيات الأهلية، غالباً في المرتبتين الأولى والثانية بنسبة 22.6% و21.6% على التوالي.

شكل (1) معوقات مشاركة الشباب في التجارب السابقة



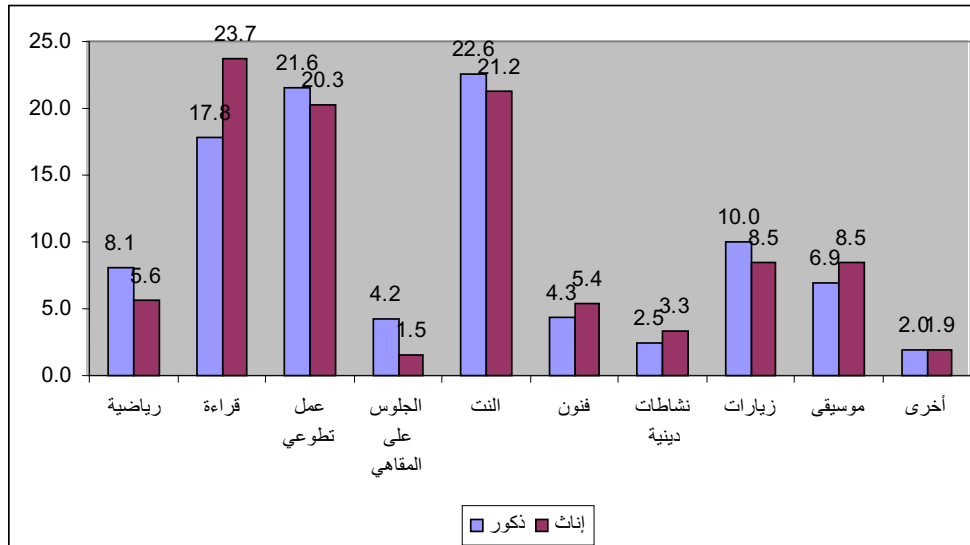
تحددت مصادر الشباب بما يمكن القيام به في نطاق الأسرة: كالقراءة والتعامل مع شبكة المعلومات بنسبة 23.7% و21.2% على التوالي، واحتل العمل التطوعي، وفي حدود المنطقة السكنية والجوار، المرتبة التالية بنسبة 20.3%.

جدول (2) يوضح مصادر المعلومات والمعرفة حول المشاركة

الترتيب	الإنثاء (%)	الترتيب	الذكور (%)	المصدر
الأول	19.1	الأول	24.1	البرامج السياسية بالتلفزيون
الثاني	22	الأول	23.7	الموضوعات السياسية بالصحف
-	34.1	-	65.9	المشاركة في منتديات الإنترنت
-	35.9	-	64.1	الحوار من خلال الإنترنت
الأول	19.4	الأول	22.5	الحوار عبر النت في القضايا السياسية

المصدر الدراسة الميدانية الأولى.

شكل (2) نشاطات الوقت الحر



فإن ثمة فرصاً متاحة للمشاركة من أجل هذا التطوير، يفيد توظيفها وتطويرها في بدء الحركة في الاتجاه نحو الإصلاح، ويعول على الشباب العربي أكثر من غيره في هذا السعى. فهو المعنى بالمستقبل أكثر

انتخابية ومن شاركوا في الانتخابات التشريعية (البرلمانات)، وهي نسبة مرتفعة بالتأكيد مقارنة بما هو شائع حول عزوف الشباب عن المشاركة، في ضوء بيانات وردت في سياق دراسات وبحوث سابقة،

جدول تجميعي (3) لإطلالة عامة حول التعامل مع الفرص المتاحة للمشاركة من قبل العينة

مؤشر التعامل مع الفرص	عدد التكرارات	%
من لديهم بطاقة انتخابية	324	62.8
من شارك في آخر انتخابات برلمانية ممن لديه بطاقة انتخابية	210	64.8
من شارك في الانتخابات البلدية، المحلية	321	99
المشاركة في أمور الأسرة	503	97.5
المشاركة في منتديات الإنترنت	314	60.9
الحوار من خلال الإنترنت	333	64.5
التحاور في السياسة أهم موضوع للتحاور على الإنترنت	209	21.4
شبكة المعلومات كأهم نشاط لقضاء الوقت الحر	339	22.1
العمل التطوعي كثاني نشاط لقضاء الوقت الحر	324	21.1

المصدر الدراسة الميدانية الأولى، الشباب والمشاركة.

من غيره من الأجيال، وهو الأكثر تحرراً من تحيزات المصالح الراهنة. ولهذا أتى شباب العينة ليدلل على صحة هذه المقولة.

ففي ضوء الإطلالة التي وافانا بها الجدول السابق حول تعامل العينة مع فرص المشاركة المتاحة، أو التي أتاحتها هي لنفسها عبر الإنترنت، يمكن رصد الملاحظات الهامة التالية:

- إن تعميم النتائج يجب ألا يتجاوز العينة النوعية للدراسة، لأنه لا يعبر عن مجموع الشباب العربي بتبايناته المختلفة:

• فهي مجموعة أكثر مبادرة حيث تفاعلت مع الاستبيان الإلكتروني للعمل الراهن دون غيرها من الشباب

• وهي عينة من المتعلمين، سواء من أنهى منهم تعليمه، أو ذلك الذي لا يزال يواصل التعليم

• إنها عينة تمتلك مهارات التعامل مع الحاسوب وشبكة المعلومات الدولية، وقدرات مكنتها من استيفاء أسئلة الاستبيان وإعادتها عبر البريد الإلكتروني، وأن 60.9% من العينة يشاركون في منتديات الإنترنت، وأن معظم أفراد العينة من أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي مرتفع نسبياً.

- تظهر البيانات إقداماً ملحوظاً على توظيف فرص المشاركة بنسب واضحة ممن لديهم بطاقة

أو انطباعات أدلى بها البعض في سياق تفسيره لحالة مشاركة الشباب العربي.

- رغم الارتفاع النسبي لمشاركتها في الانتخابات التشريعية العامة، فإن مشاركتها في الانتخابات البلدية كانت أكبر 99% مقارنة بنسبة 64.8% للانتخابات البرلمانية ذات الطابع المركزي، وقد يرجع هذا إلي:

• أن الانتخابات المحلية ترتبط مباشرة بحاجات الشباب وطموحاتهم وطموحات المجتمعات المحلية التي يعيشون بها.

• أن الشباب أكثر معرفة بخصائص وخصال ومواقف وأفعال المرشحين في المجالس المحلية أكثر من المرشحين للانتخابات البرلمانية العامة.

• أن الانتماءات القبلية والعائلية تكون أكثر تأثيراً في سلوك وتوجهات الانتخابات على المستويات المحلية. وقد وردت إشارات إليها ضمن إجابات "أخرى تذكر" في الإجابة على السؤال ذي العلاقة. وهذه نتيجة تتسق مع ما ورد في انتخابات بعض البلدان العربية. فكل البحوث والمحاولات التي عنيت برصد الانتخابات في مصر أكدت أن الإقبال على الانتخابات في الأرياف المصرية غالباً ما يكون أكثر عدداً ونسبة عنها في الحواضر المصرية، نتيجة للعصبية والانتماءات العائلية، رغم أن الريف المصري أقل تعليماً من الحضر، وأكثر أمية

تظهر البيانات إقداماً ملحوظاً على توظيف فرص المشاركة بنسب واضحة ممن لديهم بطاقة انتخابية ومن شاركوا في الانتخابات التشريعية (البرلمانات)، وهي نسبة مرتفعة بالتأكيد مقارنة بما هو شائع حول عزوف الشباب عن المشاركة. في ضوء بيانات وردت في سياق دراسات وبحوث سابقة.

البيان	العدد	%
عدم وجود فرصة للمشاركة	74	14.3
ليس لدى أى معلومات عن المشاركة	21	4.1
الكبار يسيطرون على المشاركة	79	15.3
كثرة مشاكل الشباب	88	17.1
الخوف من المشاركة	69	13.4
ارتفاع سن المشاركة	21	4.1
عدم وجود وقت	28	5.4
إحباط الشباب	122	23.6
أخرى	14	2.7
المجموع	516	100.0

المصدر: الدراسة الميدانية الأولى، الشباب والمشاركة.

هما إحباط الشباب بنسبة 22.3%، وكثرة المشكلات التى يعاني منها بنسبة 17.3% لدى الشباب، وكانت النسب متقاربة مع الشباب بنسبة 22.2% للمعاناة من الإحباط، و17.5% لكثرة مشكلات الشباب، مما يعنى موضوعية خبرة الشباب ووعيهم بالسياق المحيط بهم، وشمولها لهم (شباب وشابات). ويلفت النظر في الإجابة التالية ترتيباً حسب نسب التكرارات، تركيزها على سيطرة الكبار بنسبة 16.3% لدى الشباب، ويقابلها في الترتيب نفسه لدى الشباب، الخوف من المشاركة بنسبة 15.2%، وهو خوف يمتزج فيه اللوم والإدانة من الآخرين، بالخشية من عدم النجاح في تجربة المشاركة، نتيجة لوعي عام حول الفتاة والمرأة العربية، لا يخلو من السلبية والتمييز في أحقيتها بالمهام والأدوار المجتمعية، بالإضافة إلي وعي غير حقيقي بالذات لدى الشباب نتيجة تراكم مضامين وآليات التنشئة الاجتماعية، بدءاً من الأسرة والمؤسسة التعليمية، وأيضاً الصورة السلبية السائدة حولهن عبر وسائل الإعلام.

ماذا يريد الشباب لتفعيل المشاركة؟

أتى الشباب في العينة بمجموعة هامة من الاقتراحات لتفعيل مشاركته، كان في مقدمتها تحفيز الشباب على المشاركة بنسبة 21.1%، وتحمل هذه الإجابة بعض الدلالات المهمة، خاصة وأن نسبة منهم تجاوزت النصف بقليل لها مشاركات سابقة، وتدرك أهمية المشاركة وجدواها، وهى مع هذا لم تشعر بعوائدها الفردية والتنموية، وأن بعضهم واجه معوقات غير قليلة منها سيطرة الكبار على ممارسات المشاركة، ولا يكون التحفيز كما هو شائع، بحوافز مادية فقط، وإنما يحفل بحوافز معنوية، ذات صلة

من الحضر، وأن فرص المرأة الريفية في معظم صنوف المشاركة غالباً ما تكون أقل من فرص نظيراتها في الحضر.

لقد كان أكثر النشاطات التي تقضي العينة بها وقتها الحر تتمثل في التعامل مع شبكة المعلومات الدولية بنسبة 21.1%، وأن الذين يتعاملون مع هذه الشبكة يقيمون حوارات متنوعة بنسبة 64.1%، وأن أكثر موضوعات الحوار

تكراراً كان حول الأمور السياسية بنسبة 21.4%. ويدعم هذا- أيضاً- أن أكثر البرامج والموضوعات التلفزيونية التي لقيت اهتماماً بين الشباب كانت الموضوعات السياسية بنسبة 34.2%، والموضوعات السياسية بالصحف بنسبة 22.1%، وإذا أضفنا إلى هذا أن تأتي نشاطات قضاء الوقت الحر هو العمل التطوعي وبنسبة 21.1% بفارق محدود عن النشاط الأول (الإنترنت)، فإن هذا يدل على مبادرات الشباب للمشاركة، سواء في أعمال منظمة- جمعيات أهلية- أو نشاطات على مستوى المنطقة السكنية، كما سبقت الإشارة عند الحديث عن التجربة السابقة حول المشاركة.

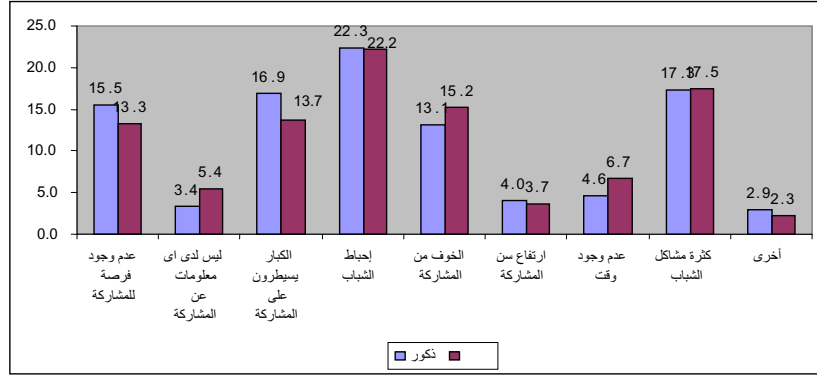
أهم معوقات المشاركة

في ضوء تصنيف معوقات المشاركة إلي معوقات خاصة بالشباب، وأخرى موضوعية تتعلق بأوضاع المشاركة مجتمعياً، هناك مجموعة ثالثة مزيج من النوعين المذكورين من المشاركة، تبدو المعوقات الذاتية هي أقلها تكراراً، وتتمثل في عدم اكتساب الشباب المعلومات عن المشاركة، وعدم وجود وقت لها ومجموعها 9.5%. وأما المعوقات الموضوعية المرتبطة بتصرفات الآخرين المتعلقة بشروط المشاركة، فمنها سيطرة الكبار، وعدم ملائمة تشريعات المشاركة وانحسار فرصها ومجموع نسبها 33.7%. أما الأبعاد المجتمعية المرتبطة بالسياق المجتمعي والذي أثر في المعوقات الذاتية والموضوعية المرتبطة بالمشاركة، فقد انعكست وتجسدت سلباً على أوضاع الشباب ووعيه وصل مجموع نسبها إلى 53.8%، وهى تتعلق بإحباط الشباب وكثرة مشكلاته. فقد اتفق الشباب والشابات على أن أهم معوقين يحولان دون مشاركتهم

فكل البحوث والمحاولات التى عنيت برصد الانتخابات فى مصر أكدت أن الإقبال على الانتخابات فى الأرياف المصرية غالباً ما يكون أكثر عدداً ونسبة عنها فى الحواضر المصرية، نتيجة للعصبيات والانتماءات العائلية. رغم أن الريف المصرى أقل تعليماً من الحضر، وأكثر أمية من الحضر.

فقد اتفق الشباب والشابات على أن أهم معوقين يحولان دون مشاركتهم هما: إحباط الشباب بنسبة 22.3%، وكثرة المشكلات التى يعاني منها بنسبة 17.3% كانت النسب متقاربة بين الشباب والشابات.

جمعت مقترحات الشباب ورؤاه لتفعيل المشاركة بين أسباب ذاتية خاصة بالمشارك- التدريب والتحفيز على المشاركة- وأخرى مرتبطة بسياقها المجتمعي التشريعي- سن المشاركة- وجعل المشاركة آمنة وزيادة أعداد الجمعيات وعلاج المشكلات التي تعطل المشاركة وفي مقدمتها البطالة



واضحاً من ظلال فجوة النوع الاجتماعي، فقد كانت أولى مقترحات الشبان متمثلة في تحفيز الشباب بنسبة 21.5%، وهي تعني وجود بعض الفرص للمشاركة، غير أن الشباب لايقبل عليها، إما لإحباط سابق من تجربتها، أو لإحباط مجتمعي شبابي عام، فثلثا الشبان في العينة كانت لهم تجارب سابقة حول ممارسة المشاركة أما الإجابة الأولى الأكثر تكراراً لدى الشابات، فقد ركزت على حاجتهن للتدريب على المشاركة 21.1%، فحوالي ثلثهن ليس لديه تجربة سابقة، وأنهن منذ التنشئة المبكرة في الأسرة وغيرها من وسائط التنشئة كبلت الشابات بموانع ثقافية، وأتى في الترتيبين الثاني والثالث لدى الشبان الحاجة للتدريب بنسبة 20.3%، ثم مواجهة مشكلة بطالة الشباب بنسبة 20.2%، وتساوت نسبتا تكرارات تحفيز الشباب ومواجهة البطالة ولكل 20.5% لدى الشابات.

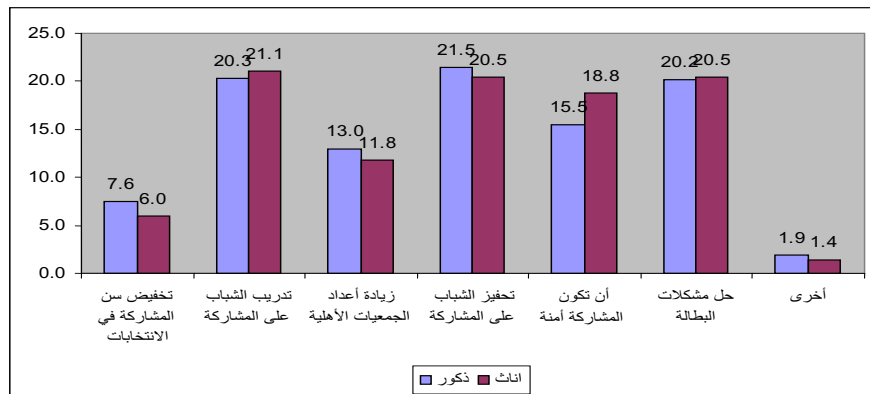
معوقات المشاركة في الجمعيات الأهلية:

- انحسار عدد الجمعيات التي أنشأها ويديرها الشباب، حيث يوجد منها في مصر أقل من 20 جمعية فقط من إجمالي حوالي 17 ألف جمعية،

بفرصة التعبير عن الذات، وتأكيداها واكتساب خبرات ومهارات. والمشاركة تؤكّد- في مجملها- على حاجة الشباب إلي التدريب على مهارات المشاركة.

ولهذا، فقد أتى ثاني الاقتراحات لتفعيل المشاركة المطالبة بتطوير قدرات الشباب وتدريبه بنسبة 20.6%، ثم علاج أهم مشكلات الشباب وهي البطالة بنسبة 20.3%. وأتى في المرتبة الرابعة أن تكون المشاركة آمنة. وبهذا جمعت مقترحات الشباب ورؤاه لتفعيل المشاركة بين أسباب ذاتية خاصة بالمشارك- التدريب والتحفيز على المشاركة- أو مرتبطة بسياقها المجتمعي التشريعي- سن المشاركة- وجعل المشاركة آمنة وزيادة أعداد الجمعيات وعلاج المشكلات التي تعطل المشاركة وفي مقدمتها البطالة. أما عن أخرى، فقد جاءت النتائج بها كالتالي: من حق الشباب إنشاء جمعيات خاصة بهم لكن تحت إشراف قيادي، وعدم وجود فضاءات حكومية ومحلية لتحفيز مشاركة الشباب في الجمعيات، والدعاية في الإعلام هي أهم المحاور التي يجب التركيز عليها لتحفز الشباب على المشاركة.

هذا، وتعكس مقترحات الشباب والشابات قدراً شكل (4) مقترحات تطوير مشاركة الشباب



ولا تبعد الأرقام عن هذا إلا بزيادات محدودة في بلدان عربية أخرى، كلبان والمغرب وتونس على سبيل المثال.

- وأن مشاركة الشباب في مجالس وإدارات الجمعيات الأهلية المدروسة وعددها 31 جمعية من الأردن والبحرين وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر، تراوحت بين 14.2% في الأردن، و24.5% في مصر.

- وأن الشباب- وإن بنسب متفاوتة- يشاركون في اقتراح مشروعات الجمعيات، وتصل النسب في حالة المشاركة المرتفعة إلى 43.3% من إجمالي المشروعات، وفي تنفيذها بنسبة 76.5% توظيفاً لطاقت الشباب وتجاوز بطالتهم في الوقت نفسه، ولوعلى نحو مؤقت، وفي متابعتها بنسبة 42.5%، وتقويمها بنسبة 50%.

مما سبق يمكن استنتاج:

• أن الشباب العربي أكثر مشاركة فيما هو لا رسمي non formal مما هو على نحو رسمي formal - في الجمعيات الأهلية- وفي أمور الأسرة وعبر شبكة المعلومات الدولية؛ ذلك لأن الشاب يكون من خلالها أكثر تحراً من القيود الثقافية والسياسية ومخاوف المشاركة.

• كلما اتجهت دوائر المشاركة الواقعية للشباب إلى الاتساع من الأسرة إلى المجتمع المحلي، ثم إلى العمل السياسي العام على المستوى المجتمعي، انخفضت نسبة مشاركته في كل دائرة تالية، ويرتبط هذا بعوامل متداخلة: المعرفة بالمرشحين، والمشاركة الأكثر أماناً، والارتباط المباشر بمخرجات المشاركة وطموحات الشباب.

• أن أكثر المتغيرات تأثيراً في متطلبات سلوك المشاركة أو فعلها كان متغير النوع الاجتماعي. فالشابات أقل مشاركة من الشبان؛ لعوامل مجتمعية، أبرزها الثقافة السائدة التي تكاد تجعل المشاركة أمراً ذكورياً، وهي ثقافة تعكسها الأسرة في تعاملها مع أبنائها وبناتها، حيث تحدد لهم مهام مختلفة داخل الأسرة، وتحدد لهم أوقات تحركهم خارج نطاق الأسرة؛ ولهذا كان موقف الشابات من المشاركة أكثر اتجاهها نحو دورهن

كلما اتجهت دوائر المشاركة الواقعية للشباب إلى الاتساع من الأسرة إلى المجتمع المحلي، ثم إلى العمل السياسي العام على المستوى المجتمعي، انخفضت نسبة مشاركته في كل دائرة تالية

في المجتمع (التغيير، حقوق الإنسان، ضمان تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية)؛ لوعيهن بأن تغيير البيئة المحيطة بالمشاركة سوف يغير في صورتهم السلبية ومهامهم التقليدية. في حين أن توجهات الشباب كانت أكثر اتجاهها نحو تأكيد الذات المشاركة.

• يحوز الشباب مقادير من المعارف والمهارات حول المشاركة ويرغب فيها، لكن ظروفًا مجتمعية ونوعية تحول دون اطرادها.

- فالتشريعات تحدد العمر عند استخراج البطاقة الانتخابية والترشح في المجالس النيابية، المركزية (البرلمانات) والمحلية، بجانب تدخل الكبار وهيمنتهم وتوجيههم لسلوك مشاركة الشباب في الأسرة والمؤسسة التعليمية وفي الجمعيات الأهلية وغيرها من منظمات المجتمع المدني، وأن بعضاً من الشباب ليس لديه الحافز الكافي نحوها؛ لعدم الثقة في ممارساتها، خاصة السياسية منها.

- أن الشباب بحاجة إلى أنماط غير تقليدية للمشاركة تكون أكثر تحراً من القيود والمحرمات؛ ولهذا كان ميله للمشاركة في حوارات سياسية وعلمية وغيرها عبر شبكة المعلومات الدولية.

- أن العزوف عن بعض صيغ المشاركة، خاصة مجالها السياسي العام، وعزوف بعض الشباب عن كل صيغها هو نتاج لمدرجات الشباب للمشاركة من حيث شروطها وتبعاتها ووصاية السلطة الأبوية في المواقع المختلفة على فكر الشباب وممارساته للمشاركة، وأفعاله بشأنها.

عناصر بيئة داعمة لمشاركة الشباب

تعتمد هذه العناصر في تحديدها وبلورتها على أبعاد أساسية هي:

- إنه يصعب الفصل واقعيًا بين مختلف عناصر البيئة الداعمة للمشاركة، فجميعها يدعم بعضها البعض.

- إن البيئة الداعمة للمشاركة تقوم على التشارك PartnerShip الفعال بين كافة الأطراف الممكنة والمحتملة المعنية بالشباب. ومع هذا، فكل طرف من الأطراف له ميزات نسبية،

يصعب أن تتوافر لغيره، كالأُسرة، والتنشئة المبكرة، والتعلم وتطوير المهارات والقدرات، والوفاء بحقوق وواجبات المواطنة، وإتاحة فرص ملموسة للمشاركة- الجمعيات الأهلية ... إلخ. غير أن الاستفادة من ميزات كل طرف يتطلب إدارة محكمة، للتباين في الأدوار والمهام في إطار وحدة أهداف المشاركة والتمكين.

مكونات البيئة الداعمة:

- دور الأسرة في التنشئة على المشاركة.

- التشجيع على المساواة بين الجنسين في الفرص والأدوار.
- إدراك الأب والأم للأدوار التي تسند للشباب وفق مراحل نموهم النفسي والاجتماعي، والعمل على تمكينهم منها، بدون أي تمييز، خاصة على أساس النوع.
- إتاحة الفرصة للطفل للتعرف والتعلم والمعرفة، التفاوض وإبداء الرأي.
- تغيير اتجاهات الكبار السلبية نحو الشباب، من خلال توعية الأهالي بالحقوق والواجبات.
- تعد الأسرة العربية حجر الأساس في التنشئة الاجتماعية للشباب على ثقافة المشاركة بالتركيز على جدواها.
- تطوير المهارات التفاوضية بين الأهل والأبناء، في ضوء قيم الحوار والاحترام المتبادل
- تشجيع الأهل على التفاعل مع أصدقاء أبنائهم، واحترام حقهم في التعامل الخاص.
- تنمية شعور الشاب بالثقة والاعتزاز بالنفس وبقيمتة الذاتية والاحترام، والتمتع بخصوصية مراحل عمره
- توثيق العلاقة بين أفراد الأسرة ومؤسسات المجتمع.
- ضرورة إشراك الأهل في التخطيط لمشروعات المشاركة على مستوى المجتمع.
- المؤسسات التعليمية والوعي بحقوق المشاركة وواجباتها:

• إتاحة اكتساب مهارات المشاركة.

• توسيع فرص ممارسة الهوايات والمشاركة بالأنشطة، خاصة الصيفية.

• الاستفادة من فرص التحرك والاختلاط التي توفرها الجامعات في دعم حقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، واحترام كل للآخر.

• توفير فرص إبداء الرأي في أمور المجتمع والسياسة، من خلال الاتحادات والأسر الطلابية.

• تطوير المناهج التعليمية وربطها بالتقنيات الحديثة، والربط بين المدرسة والحياة العامة.

• تطوير قدرات وقيم وأخلاقيات المشاركة.

• يعد تغيير الاتجاهات السلبية للعاملين في المؤسسات التعليمية نحو الشباب- من خلال تدريبهم وتنمية قدراتهم وكفاءاتهم- مطلباً أساسياً لدعم مشاركة الطلاب.

• اعتماد أساليب تدريب فاعلة لتنمية التفكير العلمي والحس النقدي لدى التلاميذ والطلاب.

مقترحات تفعيل مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية، بالتركيز على جذب الشباب للعمل التطوعي:

- دمج الشباب في إدارة الجمعيات، وفي اقتراح وتخطيط وتنفيذ ومتابعة وتقويم المشروعات.

- احترام المتطوع، وإشعاره بقيمة الذات، وعدم النظر إليه باعتباره عمالة رخيصة.

- تقديم الحوافز المادية للمتطوعين، وتوفير بدل الانتقالات ووجبات الطعام.

- نشر ثقافة العمل التطوعي عبر الإعلام، ورجال الدين، والمناهج الدراسية، ضرورة لتطوير وعي الشباب بالتطوع.

- اهتمام الجمعيات بالأنشطة المرتبطة بالتبادل الشبابي، والسفر والمعسكرات والمخيمات والأنشطة الترفيهية، باعتبارها أنشطة جاذبة للشباب.

- استثارة الحس الوطني لدى الشباب، وإبراز دور المجتمع المدني والجمعيات الأهلية في النهوض بالمجتمعات العربية.

إنه يصعب الفصل واقعيًا بين مختلف عناصر البيئة الداعمة للمشاركة. فجميعها يدعم بعضها البعض

يعد تغيير الاتجاهات السلبية للعاملين في المؤسسات التعليمية نحو الشباب- من خلال تدريبهم وتنمية قدراتهم وكفاءاتهم- مطلباً أساسياً لدعم مشاركة الطلاب.

والمطوعين، وأن يشاركهم العمل والتنفيذ يدا بيد، وأن يعقد معهم علاقات صداقة، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم الشخصية.

- ضمان تحقق المتعة والمرح والترفيه أثناء العمل.

- تأسيس فرق من المتطوعين ليكونوا نواة في قراهم ومجتمعاتهم المحلية، مما يقلل الجهد الذي يبذله الشباب المتطوع في الانتقال من مقر سكنه إلي أماكن المشروعات، بحيث يمكنه من التطوع في أوقات فراغه بعد العمل مساء على سبيل المثال، وهو ما يصعب فعله حال بعد المسافة .

- العمل على تنويع البرامج التدريبية والتأهيلية لتنمية قدرات ومهارات الشباب، سواء في مجال تخصصاتهم واهتماماتهم.

- تأسيس شبكة إنترنت فاعلة تسهم في نشر ثقافة التطوع، وتعلم الشباب بأماكن الجمعيات الأهلية وكيفية الانضمام لعضويتها، وتسهم في دوام التواصل بين المتطوعين والجمعية، وفيما بينهم.

- تشجيع الدولة للشباب الناشط، ومنحهم حوافز معنوية، وإبرازهم كقدوة.

- كسر الحاجز النفسى بين مدير المشروع

-تأسيس شبكة إنترنت فاعلة تسهم في نشر ثقافة التطوع، وتعلم الشباب بأماكن الجمعيات الأهلية وكيفية الانضمام لعضويتها. وتسهم في دوام التواصل بين المتطوعين والجمعية، وفيما بينهم

مصادر ومراجع

1 – المصادر : وثائق الأمم المتحدة

- Declaration on the Promotion among youth of the Ideals of Peace, Mutual Respect and understanding between Peoples, 1965 .
- برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، ديسمبر 1995.
- إعلان لشبونة بشأن السياسات والبرامج المعنية بالشباب، المعتمد في أثناء المؤتمر العالمي للوزراء المسؤولين عن الشباب، المعقود في لشبونة في الفترة من 5 إلى 12 آب / أغسطس 1998.
- خطة عمل براغا للشباب، المعتمدة في منتدى منظومة الأمم المتحدة العالمي الثالث للشباب، المعقود في الفترة من 2 إلى 7 آب : أغسطس 1998، في براغا (البرتغال).
- تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها. – تقرير الأمين العام، جويلية، 2001 .
- تقرير الشباب في العالم لعام 2005. - تقرير الأمين العام، ديسمبر 2004.
- Objectif du millénaire pour le développement. – Rapport 2005, New York, 2005.

2 – المراجع

- Agrikoliansky, Cardon et Lévêque Radiographie du mouvement altermondialiste : Le second Forum social européen, Éd. La dispute, 2005.
- Beck, Ulrich, Pouvoir et contre-pouvoir à l'ère de la mondialisation, Paris, Aubier, 2003.
- Bhagwati, Jagdish, Éloge du libre échange, Éditions d'Organisation, 2005.
- Canetti, Elias, Crowds and Power, Penquin Books, London 1992.
- Faro, Antimo Les mouvements sociaux. Diversité, action collective et globalisation Montréal, PUM,2000.
- Ferguson, Adam, Essai sur l'histoire de la société civile, trad. de l'anglais, Paris, Puf, 1992.
- Hardt, Michael et Negri, Toni Empire, Paris, 2000.
- Holloway, John, Change the World without Taking Power, Pluto Press, 2002.
- Latouche, Serge, L'occidentalisation du monde : essai sur la signification, la portée et les limites de l'uniformisation planétaire, Paris, La découverte, 2005.
- Rawls, Théorie de la justice, Paris, Seuil, 1987
- The Ad Hoc Working Group for Youth and the MDGs, Youth and the Millennium Development Goals. – Challenges and Opportunities for Implementation
- Thériault, J. Yvon, La société civile ou la chimère insaisissable, Montréal .

الأبعاد النظرية والمعرفية لمشاركة الشباب

مقدمة:

اهتم التقرير في هذا الباب بالتأصيل النظري لقضايا المشاركة. النظرية والمعرفية، نظرا لندرة هذا النمط من المعالجة العلمية لها، مما صاحبه التباسات في تحديد ركائز المشاركة ومجالاتها وتناقضاتها والموقف من حقوق الشباب فيها. ولتوضيح هذا وغيره من قضايا المشاركة ومحدداتها، احتوى الباب على ثلاثة فصول: عنى أولها بالتأصيل النظري لمفاهيم ومصطلحات المشاركة والتمكين في علاقتها بالمتغيرات العالمية والعربية ذات العلاقة، وركز الثاني على الثقافة الداعمة للمشاركة من حيث مضامينها وفضاءاتها المؤسسية، وكان هذان الفصلان بمثابة مقدمة لصياغة الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة الميدانية التي عنى بها لفصل الثالث.

تمكين الشباب ومشاركته: الأبعاد النظرية والمفاهيمية*

مقدمة :

هناك ظاهرة ملفتة للانتباه على امتداد العقود الأخيرة، وتتمثل في المنحني التصاعدي الذي ترسمه قضايا الشباب في الخطاب الرسمي العالمي. فما وجه الواقعية، وما وجه الخطابية في هذا التحول؟ ما الذي تغير فعلا في "واقع" النظام الديموغرافي الدولي، أي في تركيبته، حتى نستعيض عن القسمة العمودية للمجتمعات (طبقات، أغنياء، فقراء، مثلا) بالقسمة الأفقية (شريحة نوعية، شريحة عمرية، مثلا)، ونستعيض عن هرمية القيم المحددة للمراتب والشرائح الاجتماعية بالتجاور النوعي أو الفئوي؟ هل أن التحول يتصل بصميم الوجود الاجتماعي وبشروط عيش الناس، أم أن التحول يكمن في تغيير المنظور الذي من خلاله نرقب الواقع ونلونه بأهوائنا وميولاتنا ومطامحننا السياسية، أم هل يمس التحول هذين البعدين معا؟ إن هذا سؤال قد يكون مثيرا للاستغراب، إذ قد يوحي بأنه متغافل عن التغيرات العميقة، بل التغيرات "الثورية"، التي ما انفكت منذ ثمانينات القرن الماضي، تخلخل بنيان العالم أجمع وتعيد ترتيبه. ومهما يكن من أمر الإجابة عن تلك الأسئلة، فإن هناك واقعة ديموغرافية تبدو صورتها الكمونية (الافتراضية)، أي إسقاطاتها المستقبلية، على غاية من القمامة، وهذه الواقعة هي نزوح سكان العمورة إلى الشيوخوخة في البلدان المتقدمة على الأقل، بل وفي بعض البلدان النامية أيضا¹. وربما هذا الشبح البعيد يبعث إلينا بإشارات وتنبهاته، ولكأن لسان حاله يقول: عناية بمستقبل العالم! بشباب العالم!

ليس ممكنا البتة للمراقب الحصيف أن ينكر ما طرأ على العالم من تحولات على جميع الأصعدة العلائقية، سوى أن ما حدث من تحولات في تصورات الناس لأنفسهم ولواقعهم ولعلاقاتهم بين بعضهم البعض قد يكون أكثر أثرا من تلك التحولات التي تنعت بالموضوعية، والتي تلحق بالعالم، وتلخصها

مفاهيم، مثل: "العولمة"، أو "الكوكبية"، أو "الاتصال الافتراضي"، أو "القرية الواحدة"، أو "النوع البشري". وما تريد هذه الورقة أن تتكفل به إنما المساهمة في تدقيق العناصر التصورية، أو المفهومية، المؤسسة لسياسة التمكين كما تراها بعض المنظمات الدولية، والمساهمة، تبعا لذلك، في تحديد السياق الفكري والثقافي والأيدولوجي العام الذي يتنزل ضمنه مشروع الإعلان العربي لتمكين الشباب، لا من باب شرحه أو نقده أو التعليق عليه، وإنما من باب إنارته عبر الوصلات التي تصله بإعلانات عالمية مشابهة من أجل إدراك مواضع التواصل والانقطاع، التشابه والاختلاف، بين الإعلان العربي وغيره من الإعلانات الشبيهة.

وأما محور التفكير في هذا، فهو التساؤل عن المنزلة المعرفية والأيدولوجية لمفهوم تمكين الشباب: ما الذي تغير حتى يستبدل مفهوم التمكين بمفاهيم كانت سائدة لعقود عديدة، مثل مشاركة وتعاون وتضامن؟ وإلى أي مدى يستعيد المفهوم الجديد أو يستبعد بعض القضايا الإيجابية المتضمنة في المفاهيم القديمة، ويحقق بعض معانيها؟ وما الإضافة الفاعلة التي يأتي بها؟ هناك زخم كبير من الألفاظ والمصطلحات والعبارات الجديدة التي طرأت في أثناء العقد الأخير، فهل هي كالعنسة الجديدة اللازمة لقراءة نظام العالم "الجديد"، أم هي غشاوة تحجب التجربة السابقة، وتطبق النسيان على الماضي تماما؟ لندقق السؤال عن طريق المثال التالي: بم يمكننا أن نفسر الاستعاضة عن المشاركة بالتمكين؟ فإن كانا متوافقين أو متكاملين فأيهما يحتوي الآخر؟

لمعالجة جملة هذه الأسئلة سنتوخى النهج التالي المشتمل على آونتين للتحليل: الأولى آونة التحليل النقدي لمفهوم التمكين، والثانية آونة العرض التأليفي للبرامج والتقارير الرئيسية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة.

ما حدث من تحولات في تصورات الناس لأنفسهم ولواقعهم ولعلاقاتهم بين بعضهم البعض قد يكون أكثر أثرا من تلك التحولات التي تنعت بالموضوعية، والتي تلحق بالعالم، وتلخصها مفاهيم، مثل: "العولمة"، أو "الكوكبية"، أو "الاتصال الافتراضي"، أو "القرية الواحدة"، أو "النوع البشري".

في مصطلح التمكين

صيغة دالة على شرطية خارجية، لا على شرطية ذاتية، إذ الفعل لا يأتيه الفاعل بذاته وحسب، وإنما بمساعدة عامل خارجي أو بتأثير منه. لكن الملفت للنظر في الأدبيات العربية المتصلة بسياسة التمكين أو بسوسيولوجيا التمكين هو طمسها لمعنى الاستقلالية ولاكتساب القوة بطريقة ذاتية.

وهكذا، فإننا لسنا إزاء قضية لغوية صرف، أو إزاء ما يعرف باستحالة تراكم الألفاظ الأجنبية على بعضها البعض، والقائلة بأنه لا توجد مترادفات لا بين اللغات الأجنبية بل وحتى داخل اللغة الواحدة أيضا. إننا لسنا إزاء هذه القضية، وهي لا تهتم بمبحثنا هنا، وإنما نحن إزاء قضية انتقاء ثقافي واع، واختيار فكري وسياسي موزون، وليس إزاء عائق لغوي.

يتبع ذلك أن لفظ اقتدار كفيّل- في زعمنا- بنقل الدلالة الإنجليزية إلى العربية، فهو ليس أدقّ وأبلغ في ترجمة اللفظ وحسب، وإنما في الجمع أيضا بين معنيين اثنين حاضرين في الأصل: معنى القدرة والتّمكّن أولاً، ومعنى الاستقلالية والتدبير الذاتي ثانياً. فالمتقندر في العربية هو ما كان قادراً بذاته. هناك إذن فرق بين أن نقول "تمكين الشباب"، وأن نقول "اقتدار الشباب". إن الاقتدار ينقل لنا كذلك آثار البيئة الديمقراطية، بيئة الجمعيات والتنظيمات الأهلية، التي نشأ فيها مفهوم Empowerment.

ومهما يكن من أمر الصعوبة اللغوية التي عرضنا ملامحها العامة، فإن المعالجات الحالية تحاول تذليلها وتجاوزها بواسطة ما تضمّنه للتمكين من عناصر سياسية واجتماعية وتربوية. وتنسبط مسألة التمكين في بعدين أساسيين متكاملين ينتج عن اجتماعهما وعن تفاعلها بعد ثالث:

قدرة الفعل، أو المقدر، وهي مجموع العوامل الذاتية التي توفر "طاقة الفعل"، ويمكن- على سبيل الاقتراح- نعتها بـ"العنفوان" (ومنه قولنا "عنفوان الشباب")، والمقصود به جملة المؤهلات والقدرات الذاتية المجسمة في الكفاءات الفردية بالخصوص. وهو يعني- أيضاً- الطاقة والجهد اللذين يعبر عنهما مصطلح (virtù) اللاتيني، والذي من معانيه "الكمون" (Virtual, virtuality)، و"القوة الكامنة" أو "القوة الافتراضية". وهو مصطلح بالغ

مفهوم التمكين من بين المفاهيم المستحدثة أخيراً في مجال المواطنة، والتنشئة الاجتماعية، والتنمية الذاتية والمحلية، والنوع الاجتماعي. إنه وليد ذلك التغير القويّ والسريع، الذي هو بمثابة الانقلاب العميق، أو بمثابة الثورة في حقل التصورات والمقاربات للاجتماع السياسي وتنمية القدرات، وهو التغير الحاصل منذ أكثر من عقدين، والمنعوت بالعولمة. فأما من حيث اللفظ، فكلمة "تمكين" هي المرادف العربي لكلمة Empowerment الأنجلوسكسونية، وهي كلمة مركبة، لا يخلو أصلها من تعدد في المعاني: منح السلطة، التجويز، تقوية الملكة أو القدرة، اقتدار الذات، التدبير الذاتي. كما يجمع عدد من الباحثين على صعوبة ترجمتها إلى لغات أوروبية أخرى، كالفرنسية على سبيل المثال². ففي هذه اللغة الأخيرة كثيرة هي المفردات التي ترجمت بواسطتها كلمة Empowerment، مثل Capacitation المستقاة من السجل البيولوجي والوراثي وذات العلاقة بالإخصاب، أو Habilitation وتعني التأهيل، أو Réappropriation du pouvoir وتعني تملك القدرة والسلطان، أو Autonomisation ومن معانيها اكتساب الاستقلالية والتدبير الذاتي والقيام بالذات. وعلى الرغم من كل محاولات الترجمة الفرنسية تلك، فليس في أي من المفردات الفرنسية المقترحة ما يفي بالمعنى الإنجليزي الأصلي، لذلك نرى الكتابات الفرنسية تستخدم اللفظ الإنجليزي لانعدام مكافئ له في اللسان الفرنسي.

وأما في اللغة العربية، فإن كلمة "تمكين" أبلغ في نقل المعنى المتضمّن في اللفظ الإنجليزي. وهي ترد في القرآن في صيغة فعلية بمعنى منح السلطان والقدرة والملك، كما جاء ذلك في التفسير والشروح الكبرى. غير أن صيغة المصدر في العربية (التمكين) لا تنقل ما في اللفظ الإنجليزي من "ذاتية"، ونعني بذلك المقدر الذاتية التي للفرد أو الجماعة أو الهيئة الاجتماعية على الإتيان بفعل ما. والمقصود في أدب الجمعيات المعاصر أن يأتي الفاعل فعلاً بمحض إرادته وتدبيره الذاتي. لا ننكر أن صيغة التفعيل التي في البناء اللغوي لمفهوم Empowerment هي

مفهوم التمكين من بين المفاهيم المستحدثة أخيراً في مجال المواطنة. والتنشئة الاجتماعية. والتنمية الذاتية والمحلية. والنوع الاجتماعي. إنه وليد ذلك التغير القويّ والسريع، الذي هو بمثابة الانقلاب العميق، أو بمثابة الثورة في حقل التصورات والمقاربات للاجتماع السياسي وتنمية القدرات. وهو التغير الحاصل منذ أكثر من عقدين، والمنعوت بالعولمة.

صيغة المصدر في العربية (التمكين) لا تنقل ما في اللفظ الإنجليزي من "ذاتية"، وتعني بذلك المقدر الذاتية التي للفرد أو الجماعة أو الهيئة الاجتماعية على الإتيان بفعل ما. والمقصود في أدب الجمعيات المعاصر أن يأتي الفاعل فعلاً بمحض إرادته وتدبيره الذاتي

الأهمية في التحديث السياسي وفي فلسفة القوة عند مكيافيللي. وليس العنقوان بهذا المعنى ببعيد عن العصبية الخلدونية. ولا أحد ينفي الآن أن للشباب قوة كامنة هائلة تشترط سياقاً مناسباً ومشجعاً للخروج من حالة الكمون (virtual state) إلى حالة الفعل والتحقق (actual state)، وهو ما يعبر عنه مفهوم التمكين. أن يتوافر للشباب العربي الشرط السياسي والقيمي (axiologique) والاقتصادي معناه فتح المجال أمام مخيلته الفعالة وأمام ملكته على التصور وعلى الإبداع وعلى الاستباق الخلاق (anticipation créatrice)، وهو ما يجعل الشباب لا يستشعر أنه مجرد مُحَاكٍ أو مقلِّد أو مستهلك، بما ما في المحاكاة وفي التقليد من شعور بالدونية والقهر، وبما في الاستهلاك من استلاب، وإنما أنه متحكم في مصيره، متدبر لشأنه الخاص (التدبير الذاتي) (auto-gouvernance)، ومقبل على العمل والإنتاج وتنمية الثروات بالطريقة التي يرتضيها. إن وضعاً كهذا ينعكس بدوره - أول ما ينعكس - على صورة الشباب لذاته، فتكون صورة معبرة عن الثقة في النفس، وما يتبع ذلك من شعور بالرضا والاعتزاز. ويدل تاريخ المجتمعات المعاصرة على الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الصور في نمو البلدان وقوتها، فهي تحول ذلك العنقوان من قوة قد تكون فوضوية أو سلبية أو انفعالية في أحسن الحالات إلى قوة بناءة. وهذا الفعل البناء يمنح الشباب إمكانية الاندماج، ويغذي لديه التفاؤل بالمستقبل. وهكذا دواليك. ولا غضاضة في القول بأنه من دون هذا الشرط القطعي يظل الشباب العربي - مثل سائر شباب البلدان النامية - في حالة القصور والتبعية، وهي حالة منافية جذرياً لحالة التمكين المنشودة.

التمكين معاً أو القدرات المشتركة، وهو المعروف من منظور آخر - بـ"التضامن الاجتماعي". والفرق بين المفهومين أن التضامن يركز على الاتحاد، في حين يركز "التمكين معاً" على تنامي الاقتدار وتزايد القوة. وما يشار إليه - أحياناً - بكلمة لوبي هو ضرب من ضروب التمكين معاً أو التآزر. وهو لا يكون - فقط - داخل الفئة الواحدة أو المنطقة الواحدة، بل يتعدى ذلك بكثير ليكون بين فئات، أو بين قوى، أو بين لوبيات مختلفة ومتباعدة.

ومؤدى التحكم معاً أن ينتظم الشباب في مجموعات ذات وزن وتأثير في مجالات عديدة ومتنوعة، بحيث تساهم في رسم الاستراتيجيات وفي توجيهها، ومنها المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي على وجه الخصوص. يشترط هذا البعد تحديد هدف رئيسي مشترك تنعقد حوله إرادات المجموعة. وإذا كانت قدرة الفعل تمثل بعداً داخلياً للتمكين، فإن التحكم معاً يمثل بعده الخارجي. وإذا كانت قدرة الفعل تمثل الطابع الفردي وربما "الأناي" للتمكين، فإن التحكم معاً يمثل طابعه الاجتماعي والتنشيطي. وإذا كان البعد الأول يعمل بمثابة القوة الطاردة خارج المركز الاجتماعي، فإن البعد الثاني يعمل بمثابة القوة الجاذبة نحو ذلك المركز. ولا سبيل - فيما نعتقد - إلى أي تمكين دون تفاعل وتكامل بين البعدين بما لهما من تنافر وتضاد. وهكذا، فإن استحداث الشباب لا يكون بلغة أخلاقية، لغة الوعظ والإرشاد، ولا بطرق تسلطية، وإنما بواسطة المصلحة أكانت مادية (الكسب والتحكم في الأشياء)، أم معنوية (الاعتزاز بالذات أو تقدير الذات self esteem)، ولا عجب في الأمر، فإن التمكين يقوم على مفارقة مفادها أن البناء الاجتماعي والمدني إنما يتحقق بفضل الديناميكية الفردية. وليس خافياً ما لهذا المبدأ الديناميكي من تهيؤ واستعداد ليترجم سياسياً واقتصادياً ترجمة ليبرالية مؤداها تشجيع المبادرة الخاصة والكسب الفردي كعنصرين فاعلين في التنشئة الاجتماعية وفي الاندماج الاجتماعي. وهذا المعنى - الذي هو من صميم التمكين - يقدم الدليل على السياق العولي والليبرالي الجديد الذي نشأ فيه هذا المفهوم وتطور منذ أقل من عقد.

-السلطة على-: وهو البعد الثالث التابع للبعدين السابقين، والمرتبط بالتفاعل بين الشرط الفردي الأناي والشرط الاجتماعي المدني. والمقصود بـ"السلطة على" هو "التمكين في" الغير وفي الأشياء. وهذا الضرب من السلطة موضوع خلاف ونزاع بين الناس، ذلك أن مقدار السلطة على الغير - سواء كان هذا الغير بشراً أو متاعاً - يكون دائماً محدوداً، في حين لا يكون الطلب محدوداً. ففي رأي الكثير من نظريات النمو الليبرالية ما يتوافر من أشياء ومن إمكانات في العالم يبقى دوماً أقل مما تقصده

ولا أحد ينفي الآن أن للشباب قوة كامنة هائلة تشترط سياقاً مناسباً ومشجعاً للخروج من حالة الكمون (virtual state) إلى حالة الفعل والتحقق (actual state)، وهو ما يعبر عنه مفهوم التمكين.

وإذا كانت قدرة الفعل تمثل بعداً داخلياً للتمكين، فإن التحكم معاً يمثل بعده الخارجي. وإذا كانت قدرة الفعل تمثل الطابع الفردي وربما "الأناي" للتمكين، فإن التحكم معاً يمثل طابعه الاجتماعي والتنشيطي. وإذا كان البعد الأول يعمل بمثابة القوة الطاردة خارج المركز الاجتماعي، فإن البعد الثاني يعمل بمثابة القوة الجاذبة نحو ذلك المركز. ولا سبيل - فيما نعتقد - إلى أي تمكين دون تفاعل وتكامل بين البعدين.

التنمية المستدامة ومشكلات الفئات المستضعفة والمجموعات المضطهدة، والأقليات كالجماعات العرقية والدينية والفئات العمرية والنوع الاجتماعي والمحرومين من اتخاذ القرار.

وأقوى دلالات هذا المفهوم على الصعيد النظري- إنما هو اندراجه ضمن مقاربة إصلاحية تطالب بالحد من المغالاة الليبرالية الجديدة، ومن مساوئ العولمة. ترى هذه المقاربة أن القول بالحقوق الكونية غير كاف، وقد لا يكون مجدياً، بل ربما قد تؤدي كونية الحقوق إلى نتيجة مناقضة للمنشود، لذلك وجب معالجة مشاكل الفروق والتفاوتات بين الأعراق، أو بين الفئات الاجتماعية، أو بين الفئات العمرية، أو بين الجنسين، مشكلاً بمشكل، وحالة بحالة، ومعنى ذلك أنه وجب النظر لا إلى ما يساوي بين الناس فقط، وإنما أيضاً إلى الاختلافات بينهم من أجل "تسييرها" والحد من غلواتها.

ومثال ذلك، أنه لو طبقنا مبدأ المواطنة المجردة على الشباب ربما كنا غير منصفين معهم؛ لذلك وجب معالجة وضعهم من جهة كونهم يمثلون فئة خصوصية تتطلب معالجة خصوصية، وليس النظر إليهم كأنهم من سواية الناس أو كسائر المواطنين. والنتيجة أنه لم يعد من المعقول ولا من المشروع أن نطبق مبدأ واحداً ومساوياً على أناس مختلفين ومتفاوتين في الوضع، وفي المقدرة، وفي الحاجة، بل المطلوب تناول كل حالة مخصوصة بمعالجة مخصوصة. يتبع ذلك أنه من الضروري التمييز بين العدالة وبين الإنصاف، فالأولى تقول بأحادية المبدأ وتأويله، والثاني يراعي المتغير التوزيعي بحسب السياقات. إذا سلمنا بذلك نكون إزاء وضع حقوقي مستحدث على نحو ما بينه جون راولس في كتابه الذائع الشهرة "نظرية العدالة" (The Theory of Justice)، حيث يسعى إلى التوفيق بين مبدأ العدالة (الكونية) ومبدأ التعدد والاختلاف (الفئات الأقل حظاً). ومثل هذا التوفيق هو ما يسميه البعض بسياسة "التمييز الإيجابي": تطبيق المبدأ القانوني بطريقة تراعي حالة المحرومين والأقل حظاً من الناس. من هذا المنظور الدقيق يكتسب مفهوم تمكين الشباب منزلة خاصة، لأنه يعكس إرادة تعديل

رغبات الناس بكثير. لذلك بقدر ما تحوز أنت من خيرات وما تكسب من نفوذ تكون حيازتي أنا ويكون نفوذي أقل. وهكذا، فإن البعد الأناني للتمكين يدفع بمبدأ التحكم "في" نحو التسلط والاستبداد، مما يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي والمدني، أي إلى اهتراء قاعدة المواطنة والمشاركة والاندماج. وعلى نقيض ذلك، يدفع مبدأ التحكم "معاً" بمبدأ التحكم "في" أو السلطة "على" إلى وضع التوازن والاعتدال. وفي كل الأحوال، يقلل التحكم معاً من استفحال علاقات السيادة والتبعية المتحكمة في المجتمعات والدول. لذلك، فإن الأدبيات الدولية المتصلة بالتمكين، وبالنوع الاجتماعي، وبالتمنية، وبالشباب، تنشأ ترحيح الكفة لصالح مبدأ التحكم معاً.

مفاد الأمر هنا أن مفهوم التمكين- على ما فيه من غموض- يدل على تغير حقيقي في العقليات، أي على انتقال من عقلية التواكل والتبعية إلى عقلية الاستقلالية والقيام بالذات، مع المحافظة على أوامر التضامن الاجتماعي والمدني.

لم يعد بإمكان الحركات الاجتماعية التي تقف موقفاً نقدياً من الصيغة الليبرالية للعولمة أن تقوم بجهد التوعية من أجل بديل اجتماعي إلا باستغلال الممكنات التي تتيحها العولمة، أي باكتساح الفضاءات العمومية ذات الطابع الاستقلالي. من هذه الجهة يعبر مفهوم تمكين الشباب عن هذه الإمكانية. وكما سلف قوله، فإن ثراء مفهوم التمكين- في أصله الإنجليزي على الأقل- إنما مأتاه جمعه بين معنى العنفوان، أي الطاقة الخلافة للشباب، وبين الاندماج الاجتماعي وما له من قيمة على صعيد الرقابة الاجتماعية.

ولكن عندما ننقل هذا المفهوم إلى ثقافتنا العربية وإلى دائرة تصوراتنا السياسية، حرّينا بنا الأنا نسمى مطلقاً أنه لما نشأ في أمريكا الشمالية (وبكندا على وجه الخصوص)، ثم انتشر في بلدان أمريكا الجنوبية، قبل أن تشمل "عدواها"³ المعمورة وينتشر في المحافل الدولية، إنما للتعبير عن مطلب اجتماعي يريد التوفيق بين الجدوى وبين الشفافية، بين حرية التنافس وشعاراتها حول الكفاءة الفردية العالية وبين الحقوق المدنية والمساواة الاجتماعية. والمرجح أن مفهوم التمكين جاء- بالخصوص- لمعالجة قضايا

القول بالحقوق الكونية غير كاف. وقد لا يكون مجدياً، بل ربما قد تؤدي كونية الحقوق إلى نتيجة مناقضة للمنشود؛ لذلك وجب معالجة مشاكل الفروق والتفاوتات بين الأعراق، أو بين الفئات الاجتماعية، أو بين الجنسين، مشكلاً بمشكل، وحالة بحالة.

وتحسين الوضع الخصوصي لفئة تعاني من الحرمان بسبب صنفها الديموغرافي العمري.

ومفاد الأمر - وهو ما يلزم الانتباه إليه - أن مفهوم التمكين قد يكون في بعض السياقات مؤلدا لعدم المساواة بين الناس باعتبارها شرطا لحرية التنافس والاستقواء. فإذا ما أخذنا مأخذ الجد ما يبدو للوهلة الأولى وكأنه مجرد أدبيات وخطب غير فاعلة، ألفينا - على العكس من ذلك - أن مفهوم التمكين، على ما فيه من سلبيات نتيجة نزعتة الفردانية، بمقدوره أن يكون عاملا ديناميكيا من بين عوامل أخرى تتعاون على إفشال القوى الكابحة وكسر المواضع الستاتيكية في مجتمعاتنا. وهو ما سنعود إليه في معرض حديثنا عن توطين المفهوم في الباب الثاني من هذه الدراسة.

توطين التمكين في بيئة عربية: الإمكانات والمعوقات

والآن وقد جاء البحث على ما هو جوهري في مفهوم التمكين، من حيث دلالاته ونشأته (الديمقراطيات المصنعة)، وقبل التبسط في مسائل تدويله بقراءة أدبيات الأمم المتحدة، يحسن بنا النظر في شروط أساسية أربعة لتوطين هذا المفهوم تسويغيا، ومعرفيا، ومعياريا (رمزيا)، وسياسيا في البيئة العربية:

مسوغات التوطين :

والمقصود بها البيئة العامة أو الأرضية الأساسية التي تمنح مشروعية معينة لتوطين التمكين باعتبار مقتضيات التنمية البشرية المستدامة في المجتمعات العربية. ويتمثل أهم مسوغ - بلاشك - في توافر كتلة ديموغرافية عريضة جدًا متكونة من الشباب يعد الأكبر حجماً في تاريخ الشباب العربي، ما بين 20-30% من السكان⁴. يقينا أن الشباب يمثل مبدئياً وكمونيا (potentially) لحة المجتمع وقوة المد والتجديد الحيوي على الصعيد السكاني، الأمر الذي يجعل المجتمعات العربية تواجه تحديا بشريا وتنمويا هائلا يقودها إلى أحد أمرين :

النزعة الأولى: إذا ما استمرت الأوضاع الراهنة

على حالها، تحولت تلك القوة الكمونية التي يمثلها الشباب إلى قوة عاطلة، بل وإلى نقمة ووبال أيضا، أو إلى "لعنة ديموغرافية" كما وصفها البعض⁵. فليس خافيا على أحد ارتفاع نسبة البطالة، ونسبة غير المتدرسين، ونسبة غير المشاركين في الشؤون العامة، ونسبة المهاجرين، ارتفاعا كبيرا بين شباب البلاد العربية مقارنة لا بالبلدان المتقدمة وحسب، بل وحتى ببلدان نامية أيضا، وهو ما تقره الوثائق المرفقة لدوائر رسمية جادة⁶. أمثلة ثلاثة تفي بالدلالة على "اللعنة": أولها بطالة الشباب العربي التي تبلغ نسبتها قرابة 26%، وهي أعلى نسبة في العالم، وثانيها الأمية، فأكثر من 13 مليون شاب عربي هم من الأميين، أي حوالي 36% من مجموع الأميين، ثلثهم من الذكور والثلثان من الإناث⁷، ومن سخرية القدر أن تنقلب قاعدة الميراث ما دام الأمر متصلا باقتسام الأمية وهي واحدة من مواريث عصور التخلف، وثالثها، وهو في علاقة تشارط مع الأمية ومع البطالة، تدني نسبة المشاركة الشبابية، وهي جانب من جوانب نواقص التنمية العربية التي تعاني من حالة الاستكانة والقصور (نقيض التمكين)، ومن الاستقالة وعدم الشعور بالمسؤولية، علما بأن البلدان العربية تأتي - أيضا - في آخر مرتبة في العالم بالنسبة للمشاركة والاستمتاع بالحرية⁸! في وضع كهذا، من اليسير أن نتصور سيناريوهات معيقة على صعد كثيرة: من تعاضم الستاتيكية الاجتماعية والاقتصادية إلى تخلف التنمية البشرية، من هدر الكفاءات العالية واغترابها إلى "مراكب الموت" في البحر المتوسط الناقلة لشباب يائس وعاطل عن العمل، من تعاضم شريحة الشباب المهمش في الداخل إلى اللجوء إلى التمرد والعصيان والإرهاب، وهي أشكال منافية للمشاركة الديمقراطية التي يجب توفيرها. تلك هي صورة (بورترييه) الشاب العربي في العالم، وخاصة لدى أجهزة الأمن الدولي. وأمام انسداد آفاق التنمية الشاملة - ومن شروطها تمكين الشباب - تلجأ الدول لأساليب القوة. فتتغلق دائرة الشد إلى الوراء على الوطن العربي، وذلك من الجهتين: تخلف يولد مزيدا من القمع والتبعية، وقمع وتبعية يولدان مزيدا من التخلف.

النزعة الثانية: إذا حزمت الدول العربية

يكتسب مفهوم تمكين الشباب منزلة خاصة، لانه يعكس إرادة تعديل وتحسين الوضع الخصوصي لفئة تعاني من الحرمان بسبب صنفها الديموغرافي العمري.

تدني نسبة المشاركة الشبابية، وهي جانب من جوانب نواقص التنمية العربية التي تعاني من حالة الاستكانة والقصور (نقيض التمكين)، ومن الاستقالة وعدم الشعور بالمسؤولية. علما بأن البلدان العربية تأتي - أيضا - في آخر مرتبة في العالم بالنسبة للمشاركة والاستمتاع بالحرية

بواسطة المصلحة، أكانت مادية (الكسب والتحكم في الأشياء)، أم معنوية (الاعتزاز بالنفس).

الشرط المعرفي العام لتوطين مفهوم التمكين

رأينا كيف أن "التمكين" مفهوم وثيق الصلة بالاستقلالية، وبالتسيير الذاتي، وتبدير الاختلافات التي نشأت في سياق تعددية "الديمقراطيات المصنعة". ومن مقاصد أشكال التنظيم المدني هذه إجراء معالجة خصوصية لأوضاع وحالات خصوصية، وضعا بوضع، وحالة بحالة، قصد توفير المزيد من القوة والافتقار لها. ومعنى ذلك أن كونية القوانين السارية على جميع المواطنين والجماعات والفئات المكوّنة للمجتمع الواحد أو للدولة الواحدة لا بد لها- عند التطبيق- من مراعاة تلك الحالات، فتتوخى إزاءها طريقة "تعديلية"، باعتبار أن الإنصاف ليس في التطبيق الآلي لقانون واحد على أناس مختلفين في الوضع والقدرة، وإنما في مراعاة الفوارق بين القوى والإمكانات، وتبدير الاختلافات والتحكم فيها. التمكين- كما تؤوله الدراسة- "فائض مدني"، وهو ما يعني أن المجتمع قد بلغ من درجات النمو وأطوار التقدم المعرفي والوفرة المادية ما يتيح له إعادة توزيع فوائض الخيرات. وهكذا، على قاعدة التجانس التشريعي، وتحت سقف المواطنة الواحدة، يُعترف بالاختلافات والهويات الجماعية، سواء أكانت اجتماعية، أم ثقافية، أم عرقية، أم دينية.

جدير بنا- إذن- أن نأخذ بواجب الحيطة عند دراسة أو تطبيق سياسة الحالات الخاصة في الوطن العربي (الشباب، المرأة، الطائفة، الأقلية العرقية أو الدينية، المسنون، جيوب الفقر... الخ)، ليس لأن هذه الحالات الفئوية ليست مشروعة أو غير جديرة بالتميز والتخصيص، وإنما القصد عدم الشطط، لكي لا يرسخ العمل بالحالات الخاصة الفروق الاجتماعية، أو ما يعرف بـ"الامتيازات التقليدية"، فيتآكل مبدأ كونية القوانين ومبدأ المواطنة ومبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، والحال أنها مبادئ نبيلة ما تزال في بداياتها في البعض من مجتمعاتنا، أو في البعض من القطاعات الاجتماعية.

لتوضيح رأينا ذلك يمكن أن نسوق مثال تمكين

أمرها على أن يكون من أولياتها السياسية تحقيق تنمية تكون شاملة بحق، ووضعت استراتيجيات نهوض بعيدة المدى، وخطط تمكين محكمة قريبة ومتوسطة المدى، فإن ما يخشى أن يكون لعنة يصبح فرصة ديمغرافية، أي عامل تفوق تنموي بشريا، وذلك باعتبار الوضع الجديد الذي صار يحتله الشباب والوظيفة الجديدة التي صار يؤديها في سياق العولمة ومهمات التحول التكنولوجي والمعرفي والخدمات والاتصالي والرمزي التي تقتضيها "الثورة الاقتصادية" (أو "ثورة السوق المضادة"، باعتبار ما حدث منذ سقوط حائط برلين). وهي- بلا شك وباعتراف الهيئات الدولية المختصة- تحولات شديدة الصلة بالشباب حاضرا ومستقبلا. فهو لا يتمثل في كم الشباب بالحساب المطلق، وإنما في الأوقات الاجتماعية والسياسية بالدرجة الأولى، التي ما يزال يعاني منها إقليم يحوي أضخم احتياطي للطاقة في العالم، وله من المدخرات المالية ومن الخيرات الطبيعية ومن القيم الثقافية ومن الرأسمال الرمزي ما يؤهله لأن يكون من أرقى القوى العالمية. فبم نفس الـ 13 مليون أمة، هذا دون احتساب أشكال الأمية الأخرى المتفشية في ربوع الوطن العربي، كالأمية الثقافية والأمية التقنية؟ ليس من المحال أن تنجح إرادة قوية تقودها سياسة رشيدة بتحويل "الفرصة الديمغرافية" إلى "فرصة تنموية" إذا تم تمكين الشباب من الوسائل الاقتصادية أولا، بإطلاق حرية المبادرة وبالمساهمة في التحكم في آليات الإنتاج، ومن الوسائل السياسية ثانيا، بإطلاق حق المشاركة السياسية وترسيخها، ومن الارتقاء الاجتماعي ثالثا، بالقضاء على الأمية، وبالحد من البطالة إن لم يكن بالقضاء عليها، وبمكافحة الأوبئة والمخدرات، وبتجنيب الأطفال والشباب كل أنواع الفتن والحروب الداخلية. "الفرصة الديموغرافية" هي بمثابة "نافذة" كبيرة تنفتح على المستقبل، ذلك أن الشباب العربي يشكل مبدأ ديناميكية من حيث هو طاقة عنفوان يمتلكها أفراد هذه الفئة، فيدفعون بالمجتمع بأكمله إلى الأمام، مقابل المبدأ الستاتيكي، وهو مبدأ السكون والكبح المسيطر على مجتمعاتنا. المطلوب إذن تهيئة الأرضية العامة لاستحداث الشباب، لا بلغة أخلاقية بالية، لغة الوعظ والإرشاد، ولا بطرق سياسية تسلطية، وإنما

إذا حزمت الدول العربية أمرها على أن يكون من أولياتها السياسية تحقيق تنمية تكون شاملة بحق، ووضعت استراتيجيات نهوض بعيدة المدى، وخطط تمكين محكمة قريبة ومتوسطة المدى، فإن ما يخشى أن يكون لعنة يصبح فرصة ديمغرافية، أي عامل تفوق تنموي بشريا.

المرأة: الكل يعلم أن عدم المساواة الذي تعاني منه المرأة العربية في بعض مجتمعاتنا أو في قطاعات من مجتمعاتنا يقتضي سن تشريعات تؤسس المساواة في الحقوق والواجبات على أنها حق، أي شامل للجنسين معا. والحال أن المعالجة الخصوصية مهما كانت منصفة من جهة أولى، تكون مغذية لترسبات التمييز والاختلاف من جهة ثانية. وههنا تكمن المفارقة: التمكين بما هو سياسة سكانية لمعالجة قضايا مجموعة ذات خصائص مميزة لا يخلو من مزالق، كأن يميز أفراد تلك المجموعة خارج دائرة التساوي الحقوقي، بل إنه قد يؤول إلى نقيض الهدف المنشود، ألا وهو تعزيز عقلية التواكل عوض التمكين، والتبعية عوض تفعيل الذات، والامتيازات عوض المساواة، والمذهب المليء والطائفية (communitarianism) عوض الإندماج والتكامل الوطني. لنكن واضحين بما فيه الكفاية ومنطقيين إلى النهاية حتى نفهم الإحراج (aporie) الذي تضعنا إزاءه ثقافة العولة اليوم: إما التمييز الإيجابي وهو ما يناهز مبدأ المساواة المدنية (المواطنة)، وإما المساواة المدنية وهو ما يناهز الإنصاف، أي المعاملة الخاصة لحالات خاصة. الإحراج قائم، ولكنه ليس أمرا مبررا، وإنما الواجب الخروج منه والبحث عن بدائل توفق بين الكونية والخصوصية، بين الوحدة والاختلاف، بين الانسجام والتفرد، وهو ما تلخصه عبارة "تواجد المساواة مع الفارق"، وهي عبارة مبتكرة وبليغة، كان أحد رواد نهضتنا الفكرية - وهو أديب اسحق - قد وضعها منذ القرن التاسع عشر لتحديد وضع المرأة، ولرسم مشروع تحررها وتمكينها. وهو يقصد بـ"المساواة" المشاركة في المدنية والإنسانية، ويقصد بالفارق الحرية من حيث هي ترجمان الطبائع والكفاءات الفردية⁹. وإن نحن ذكرنا ههنا هذا المفكر، فلأنه كان أول من قدم في ثقافتنا الحديثة صياغة متكاملة لمفهوم "الاستقلال الذاتي" (التمكين بلغة هذا اليوم!) بطريقة غير متوقعة في عصره ذلك.

التوطين المعياري أو رمزية التمكين

ما لا يلزم التغافل عنه- إذن- هو أن تسيير الفوارق وتدبير الاختلافات (gestion des

(différences) يخضع لمعيارية (normativity) مستحدثة أخيرا في البلدان الغربية، ولكنها مسبقة بتقليد حقوقي عريق. ومهما كثرت الدعوات الاختلافية في الغرب- وهي ذات مضامين رمزية وقيمية وفنية وسلوكية بالخصوص- فلن تزعزع بسهولة ذلك التقليد الراسخ الذي يعود تأسيسه في أوروبا إلى عدة قرون. نعيد ما قلناه سابقا: إن التجانس المعياري الذي جلبته الحداثة منذ قرون إلى البلدان الغربية هو الذي يجيز لها اليوم قبول الاختلاف الذي تفرضه ثقافة ما بعد الحداثة. أما في مجتمعاتنا التي لم تعرف قط "ثورات حقوق إنسان"¹⁰ مماثلة لتلك التي عرفتها أوروبا، فإن الأمر يختلف جذريا: المغالاة في الرؤى الاختلافية والهوياتية تؤدي في البلاد العربية إلى ارتداد عن الحداثة أو بقاء دونها. ليس من الجائز أن ننفي أن تأثير الدعوة المليء أو الطائفية لا يمكنه أن يكون هو عينه في إنجلترا وفي البلدان العربية، ومخاطر التفكك والتبعثر بينة في الوضع العربي، فلا نزيدنها تمكنا بواسطة مفهوم التمكين!

ومن الجائز أن يؤدي إطلاق الحريات الفردية وتغيير رمزيته الاجتماعية- بدل فوضى "الحريات" القائمة على الانتماء الملي أو الطائفي أو على الهويات العرقية والإقليمية التي عادت تنتشر في مناطق من بلاد العرب- إلى تغليب قيم الفرد ذات المنزغ الشبابي أساسا على قيم الجماعة ذات المنزغ التقليدي. فأما الأولى فتتلائم مع حرية الاختيار ومع الاستقلالية. وأما الثانية فهي "معايير نقلية" وعرفية ننحو منحى الإلزام والإكراه. وهكذا، مقابل "ثقافة الذاكرة" والتقليد والحنين إلى التأسيسات الأسطورية تقوم ثقافة المخيلة الخلاقة، وهي عادة ما تكون غالبية لدى الشباب. لم تعد المخيلة ميدانا للانفعالات، بل ملكة تمثيل وتخطيط واستباق للمستقبل. وهي من هذه الناحية تلتقي تماما مع بعض العلوم المعرفية (sciences cognitives)، ومع علوم الافتراض أو الكون (sciences du virtuel) السائرة إلى السيادة والكونية.

أضف إلى ذلك أن القيم صارت متصلة بالنشاط الاقتصادي إنتاجا وتوزيعا واستهلاكا. القيم والنشاط

الكل يعلم أن عدم المساواة الذي تعاني منه المرأة العربية في بعض مجتمعاتنا أو في قطاعات من مجتمعاتنا يقتضي سن تشريعات تؤسس المساواة في الحقوق والواجبات على أنها حق، أي شامل للجنسين معا.

أما في مجتمعاتنا التي لم تعرف قط "ثورات حقوق إنسان" مماثلة لتلك التي عرفتها أوروبا، فإن الأمر يختلف جذريا: المغالاة في الرؤى الاختلافية والهوياتية تؤدي في البلاد العربية إلى ارتداد عن الحداثة أو بقاء دونها.

الاقتصادي يشتركان في مفاهيم الذاتية، والفاعلية، والتدبير الذاتي، والطاقة الخلاقة، والإنتاج الرمزي، أي القدرة على خلق المعايير، وعلى "شحن" الأشياء بدلالات قيمية قابلة للتداول بين الناس. ولن نغالي إن قلنا إن الشباب العربي يشكل "رأسملاً رمزياً"، إذا جاز هذا التعبير. وثمة من الأحداث الدرامية في السنين الأخيرة ما أظهر - بجلاء - الحد الأقصى الذي تبلغه الطاقة الرمزية ويبلغه المكبوت الرمزي لدى الشباب العربي. وكثيراً ما عيب على "الذهنية" العربية انغماسها في التعبيرات الإنشائية، والأحكام القيمية والصور المتخيلية، وربما أن الأوان لتحويل ما يعتبر عائقاً ملازماً "لطبيعة" العرب إلى محفز وعامل قوة. وقد بينا في دراسة أخرى مدى التلازم بين الخيار المعياري والخيار الشبابي على نحو ما هو مطروح اليوم أمام المجتمعات العربية¹¹.

التوطين السياسي

كان الفكر السياسي العربي الحديث - منذ الطهطاوي حتى أنور عبد الملك مروراً بالكواكبي وغيرهم كثيرون - يتحرك ضمن شبكة من المفاهيم من ثوابتها: "وطن"، و"شعب"، و"أمة"، و"استقلال"، و"طبقة"، و"جماهير"، و"حزب"، و"ديمقراطية". غير أن هذه الشبكة بالذات آيلة اليوم إلى التفكك ومعها "التجمعات العضوية" أو "شبه العضوية" التي تكونها. والظاهر للعيان أن عصر التنظيمات الكلاسيكية قد ولى. تكاد تجمع الدراسات الجادة على ما طرأ من تغير عميق في كيان الدولة القومية، وهو تغير تلازم مع تخلخل أشكال السيادة، وأشكال التعبير السياسي، وأشكال المقاومة السياسية التي صاحبت - في السابق - تكون تلك الدولة القومية وتطورها. أما الآن فقد انحسر نفوذ الأحزاب والنقابات وغيرها من الأطر والهيئات والكيانات المعهودة التي كانت تعبئ الجماهير وتنظمها وتسوسها.

لذلك، فإن أزمة مشاركة الشباب العربي - وهي أزمة حقيقية بلا شك - جزء من أزمة أعم وأخطر، وسيكون لها - لا محالة - أثر على المستقبل السياسي للتنظيمات المدنية في البلاد العربية، ألا وهي أزمة مشروع المواطنة، وأزمة الفضاء العمومي الذي هو بصدد التكون فيها، ولا يمكن التكهن بمصيره: هل

القيم والنشاط الاقتصادي يشتركان في مفاهيم الذاتية، والفاعلية، والتدبير الذاتي، والطاقة الخلاقة، والإنتاج الرمزي، أي القدرة على خلق المعايير، وعلى "شحن" الأشياء بدلالات قيمية قابلة للتداول بين الناس

وتتمثل الظاهرة "الاجتماعية السياسية" في بروز كيان "بشري سكاني" من شتى صنوف "الفئات الاجتماعية"، وهو كيان متحرك وغير متجانس يسمى الجمهور Multitude فإذا سلمنا بهذا التحليل أمكن القول بأن الشباب العربي - بحكم وزنه الديمغرافي الهائل - لا يمثل الجزء الأعظم من هذا الجمهور وحسب، بل القوة الفاعلة فيه

سيُستكمل بناؤه، أم سيُستبدل به أشكال تعبير غير مسبوقة؟

لقد كشفت بعض التظاهرات الاحتجاجية ضد حرب الخليج عن ظاهرة عالمية جديدة في المجال السياسي: حشود بشرية ضخمة مكونة من مئات الألوف من الأشخاص تملأ ساحات وشوارع عدد من العواصم والمدن الكبرى في العالم، بل وفي مدن غير متوقعة، مثل سيدني، وأكثرهم من الشبان والشابات غير المنضوين تحت أية يافطة تقليدية، حزبية كانت أو نقابية أو غيرها. وتتمثل الظاهرة "الاجتماعية السياسية" في بروز كيان "بشري سكاني" من شتى صنوف "الفئات الاجتماعية"، وهو كيان متحرك وغير متجانس يسمى "الجمهور" Multitude¹² فإذا سلمنا بهذا التحليل أمكن القول بأن الشباب العربي - بحكم وزنه الديمغرافي الهائل - لا يمثل الجزء الأعظم من هذا الجمهور وحسب، بل القوة الفاعلة فيه: والامتلة على ذلك كثيرة، أهمها الانتفاضة وأطفال الحجارة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ما نستخلصه في هذا المضمار ونسوقه على وجه الفرضية الأساسية هو أن الشباب العربي يكون "الجمهور" الفعلي لسكان البلاد العربية. ومن حيث هو كذلك فإنه ليس جيل المستقبل عن مجرد رغبة أو بمقتضى اختيار ذاتي، وإنما بحكم الوضع الوجودي الملزم الذي يعيشه: الوضع الشبابي للجمهور يؤكد - بشكل ساطع - أن هذه الفئة هي قوة الكمون والافتقار، أي أنها - هي بالذات - محمل القيم التي تتجاوز دوماً سلطة الواقع. ليس لمشروع تمكين الشباب العربي - إذن - من جدية عملية، ومن تماسك حقوقي، ومن صرامة نظرية، إلا من خلال هذا المنظر الذي تمثل دراساتنا في مجال الشباب مساهمة من بين المساهمات الكثيرة والجادة من أجل بلورته وتثبيتته.

هناك إذا شروط مواتية لتوطين مفهوم التمكين. وما ساقته هذه الدراسة من تحديات نقدية ليس الغرض منها ولا من نتائجها التشكيك في هذا المشروع ولا التحفظ عليه، بل على العكس لتيسير التوطين: بقدر ما نكون واقعيين، أي بقدر ما ندرك العوائق، نتسلح بخطط وأدوات لإزاحة تلك العوائق. وبالمقابل، فإن المشاريع قبل أن تتحقق تبدو دائماً غير واقعية،

ولذلك تحديداً يجب علينا أن نتبناها، لأنها تبدو غير واقعية.

وأولى العوائق أمام توطين التمكين ما يتصل بالحوار السياسية والإدارية، ومن ضمنها الحوار الإحصائية التي من الواجب رفعها (وفي مثل هذه الحالات ليس لنا سوى النطق بالواجب)، وفي مقدمتها الحاجز السكاني والإحصائي: فماذا نعرف عن الشباب في شتى المجالات النفسية والجنسية والدينية والاجتماعية والسياسية؟ ولا نقصد بالمعرفة الظنية والمستندة لمعطيات متعددة المصادر، لا يغربلها ولا يصنفها سوى النقد وحرية البحث والرأي¹³.

كما يتطلب توطين التمكين توجهها تشريعياً يقر- أولاً- بالوضع الخاص للشباب العربي كقناة مستضعفة يتوجب تمكينها، ويقر- ثانياً- بالمبدأ التمكيني كمبدأ عام سار في مجموع الهيئة الاجتماعية والمدنية والسياسية، وهو التالي: التمكين مطلب اجتماعي غايته التوفيق بين الجدوى القصوى والشفافية القصوى، بين حرية المنافسة وواجب العدل والإنصاف.

مشراكة الشباب في إعلانات الهيئات الدولية:
لوحة سينوبتيكية

في سنة 1965 أصدرت الأمم المتحدة "إعلان نشر مبادئ السلام والاحترام المتبادل والتفاهم بين الشعوب في صفوف الشباب". كان هذا الإعلان- وقتئذ- ضرباً من الميثاق الدولي الذي لم يكن من اليسير التوصل إليه في سياق علاقات دولية متأزمة تخيم عليها أجواء الحرب الباردة. وربما تلك الأجواء هي التي جعلت ذلك الإعلان يقف في مستوى باهت لا يجاوز الإعلان عن النوايا أو العهد المعنوي الذي تقتصر وظيفته على تذكير الدول والأمم بواجباتها الأخلاقية العامة. ومع ذلك، يبقى إعلان 1965 رمزا قيماً في التاريخ الدولي لحقوق الشباب، إذ كان الأول من نوعه الذي تصادق عليه هيئة دولية في مقام الأمم المتحدة، ولأن الكفاحات الفعلية للفئات المستضعفة تبدأ دائماً بإعلانات النوايا وبالمشاريع التي تظهر في بداياتها وكأنها خيالية أو وهمية.

وفي سنة 1995 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، وهو برنامج يدل محتواه وشكله على مدى العناية المولاة لقضايا الشباب. فالأمر لم يعد مقتصرًا على تحديد بعض الضوابط العامة، وإنما صار يقضي بقيام برنامج متناسق يشمل جملة من العناصر المتكاملة: كعناية الوضع العالمي للشباب، وترتيب أولوياته، والتخطيط لحل قضايا الأساسية، واستنباط وسائل إنجاز المشاريع المتعلقة بكل ذلك، واستحداث الدول والهيئات المعنية لمعالجة تلك القضايا على الصعيد الإقليمي والوطني والمحلي. إن ظهور هذا البرنامج يعني إقراراً بأن الشباب يمثل لوحده قضية قائمة الذات، وأنه يشكل مركزاً لمنظومة من الأبعاد الأفقية العابرة للمجالات (المجال التربوي، والاقتصادي، والاجتماعي، والصحي، والسياسي... الخ).

وعلى أثر برنامج 1995، تتالت البرامج والمنتديات العالمية والدولية والإقليمية بوتيرة متسارعة لا سابق لها، منها، على سبيل المثال لا الحصر: إعلان لشبونة (1998)، وخطة عمل براغ (1998)، و"تقرير الأمين العام" للأمم المتحدة حول تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها (2001)، والمنتدى العالمي الرابع حول الشباب بداركار (2001)، ثم توجت هذه الأعمال، في سنة 2005 بعملين في غاية من الأهمية: الأول تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المعروف بـ"تقرير الشباب في العالم لعام 2005"، والثاني "الشباب وأهداف التنمية الألفية: التحديات وفرص التنفيذ". وواضح أننا لم ننتق هنا إلا أبرز الأحداث وأكثرها دلالة على المستوى العالمي، فلم نورد الأعمال والخطط والقرارات، وهي كثيرة على صعيد التجمعات الإقليمية أو القارية، كالصعيد الأوربي والصعيد العربي والصعيد المتوسطي، وهي صعد خصت الشباب باهتمام متزايد، وأولته وزناً غير معهود.

ومما لا شك فيه أن أمراً ما بالغ الأهمية قد حدث في منعطف التسعينيات من القرن العشرين، وأن أهميته لا تقاس بالفسحة الزمنية القصيرة نسبياً

فماذا نعرف عن الشباب في شتى المجالات النفسية والجنسية والدينية والاجتماعية والسياسية؟ ولا نقصد بالمعرفة الظنية والمستندة العلمية الراسخة والمستندة لمعطيات متعددة المصادر، لا يغربلها ولا يصنفها سوى النقد وحرية البحث والرأي

القصوى¹⁴ على قدر ما تجوز له قواه ومؤهلاته والوسائل المتاحة أمامه.

بيد أن مبدأ العمل بمقتضى الكفاءات والمواهب ليس بالجديد في حقيقة الأمر، إذ يندرج ضمن الاتجاه المنفعي والليبرالي الكلاسيكي الذي صار تقليدياً في الدول الغربية والمتقدمة، وإنما الجديد هو تحوله إلى نموذج وحيد آيل إلى التعميم والعولمة، والتطبيق على المجموعات المدنية والمهنية وعلى الفئات الاجتماعية وعلى المؤسسات، بعد أن كان مقتصرًا على الأفراد في الغالب. والجديد—أيضاً—هو مفهوم "الحد الأقصى" الذي لم يعد في الحقيقة حدًا نهائيًا: مفهوم التمكين يتأسس على معنى المضاعفة والتقوية، أي القدرة على تقوية القدرة بطريقة لانهائية، وهو ما يجوز لنا أن ننتهه بالممكنية (نسبة إلى الممكن possible) ومعلوم أن الممكنية نزعة ذات أصل علموي (scientisme) وتقنوي (techniciste) ترى أن الممكن يكتسب مشروعيته وصلاحيته من كونه ممكنًا لا غير، وهو ما يعني إضفاء الجواز والشرعية على ما يكون قابلاً للتحقق، بصرف النظر عن الموانع الحقوقية والأخلاقية. ولقد أثرت هذه المسألة في سياق النقاشات "البيو أخلاقية (bioéthique)"، وخاصة عند تناول قضية الاستنساخ. وهكذا، فإن مفهوم التمكين وليد سياق تقنوي يتغافل عن الأوامر والنواهي الأخلاقية، ولا يولي قيمة إلا لمكثات العالم الافتراضي أو الكموني (virtuel monde). ولا يعني كلامنا إقامة علاقة سببية وآلية بين هذا السياق وبين تطور مفهوم التمكين في مجال المجتمع والسياسة والتربية، ولكن استحضار هذا السياق العام لازم للإحاطة بظاهرة معقدة بحكم العوامل الفعالة المتداخلة فيها.

لم يكن مفهوم التمكين دارجا بعد في سنة 1995 عندما تبنت هيئة الأمم المتحدة برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، فهو لا يرد إلا عرضاً ومرة واحدة في أحد البنود الفرعية المتصلة بالمرأة¹⁵. الإسهام الحاسم والتجديد الرئيسي الذي جاء بهما هذا البرنامج يتمثلان—من ناحية أولى—في فكرة برنامج ذي بعد عالمي، وفي معاينة

والمتأسسة من ثلاثين سنة والفاصلة بين 1965 و1995، ومفاده تحويل الشباب من مسألة جزئية ملحقة بأحد المجالات الرئيسية—تربوية كانت أو اجتماعية أو أيديولوجية—في أحسن الحالات، إلى قضية استراتيجية لا تتحلّى بالاستقلالية وحسب، وإنما تؤدي—أيضاً—وظيفة المعيار العالمي الذي تقاس به وتُقَيَّم على ضوءه مسائل تنموية وسياسية وأمنية ومعرفية وتكنولوجية متعددة. لقد صار العالم يُقَيَّم أيضاً بمنزلة الشباب فيه، إلى جانب قضايا قطاعية ونوعية ومدنية أخرى، كالمسألة النسوية مثلاً. ومن هنا تولد مفهوم النوع الاجتماعي تعبيراً عن الوحدة والاختلاف في الوقت معاً.

صحيح أن الشباب ما فتئ يلعب طوال القرن العشرين وظيفة سياسية تعبوية ودعائية، باعتباره قوة بشرية أو "رأساً بشرياً"، كما كان يقال، لكن ما بات متأكداً—منذ تسعينيات القرن الماضي—إنما هو الطابع الاستراتيجي الجديد الذي اكتسبته الفئة الشبابية، والذي يؤشر إلى تحول عميق في القيم وفي المكانة الاقتصادية للشباب. ولئن كانت المشاركة بالأمس تشكل المفهوم المركزي داخل دائرة العلاقات السياسية، فإن التمكين يشكل اليوم المفهوم المركزي داخل دائرة العلاقات الاقتصادية، بل إنه مفهوم اقتصادي في جوهره، على الرغم من محاولات العديد من منظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية إضفاء مسحة مثالية عليه. ومهما يكن من أمر، فإن الإيجابية الأولى للتحول الاستراتيجي المذكور إنما هي الانتقال من مجتمع الواجبات إلى مجتمع الحقوق. وليس في قصدنا أن نقابل بين الحقوق والواجبات، بل أن نؤكد على مركز الثقل في كلا المجتمعين.

فأما مجتمع الواجبات فهو مجتمع المراتب التقليدية والأعراف والطاعة، أي المجتمع الذي يعمل بمقتضى هرمية القيم وتفاضلها، لا بحكم النجاعة والمصلحة والمردودية، بل إنه قد يضحي بالنجاعة في سبيل قيمة من القيم، كالشرف وما شابهه.

وأما مجتمع الحقوق فهو—تحديداً—مجتمع التمكين بلغة وقتنا هذا: من حق كل كائن بشري—فرداً كان أم جماعة مدنية—أن يعمل من أجل تنمية ذاته وتديرها بشكل مستقل، وأن يبلغ بها درجتها

لقد صار العالم يُقَيَّم أيضاً بمنزلة الشباب فيه، إلى جانب قضايا قطاعية ونوعية ومدنية أخرى، كالمسألة النسوية مثلاً. ومن هنا تولد مفهوم النوع الاجتماعي تعبيراً عن الوحدة والاختلاف في الوقت معاً.

إن مفهوم التمكين وليد سياق تقنوي يتغافل عن الأوامر والنواهي الأخلاقية، ولا يولي قيمة إلا لمكثات العالم الافتراضي أو الكموني

قضايا الشباب الأساسية وضبط آليات ومراحل متابعتها، وتحديد المجالات ذات الأولوية، وهي عشرة: التعليم، والعمل، والجوع والفقر، والصحة، والبيئة، وإساءة استعمال المخدرات، وجنوح الأحداث، وأنشطة أوقات الفراغ، والفتيات والشابات، ومشاركة الشباب، مشاركة فعالة في حياة المجتمع وفي اتخاذ القرارات.

ويقوم برنامج 1995 على رؤية مستقبلية واستباقية من الممكن تلخيصها في العناصر الأساسية التالية:

- التوجه المستقبلي: وهو واضح لا من عنوان البرنامج المنفتح على الألفية الثالثة وحسب، وإنما من تكرار أفكار ومفاهيم دالة على الاحتياط لتطورات الشأن الإنساني المشترك في مجالات اقتصادية وصحية وبيئية وأمنية مرهونة بتنمية قوة التجديد والابتكار، وهي بالتعريف قوة المستقبل، أي الشباب. ونسبة الشباب إلى المستقبل ليست كنسبة أية فئة أخرى إلى هذا المستقبل، وسبب ذلك مزدوج: فالشباب- هنا والآن- ليس مجرد "غد" يظل منفصلاً عنّا إلى أن يأتي، وإنما هو عين المستقبل المتحرك داخل الحاضر، أو هو وجه المستقبل في الحاضر، كما أنه يمثل- من جهة ثانية- الأجيال القادمة. والأرجح أن ثقافات الإنسانية ورموزها الزمنية كانت تغلب عليها في السابق نزعة استعادة الماضي، وهي "ثقافات الذاكرة"، سوى أن فكرة "شباب العالم" تحملها إلى المستقبل وليس إلى الماضي، لذلك يشكل الشباب رمزاً لـ"ثقافة المخيلة" كمقابل وكمتمم لثقافة الذاكرة. إن فكرة الأجيال القادمة التي تتكرر في أدبيات هيئة الأمم المتحدة المتصلة بالشباب فكرة توجيهية ومعيارية على غاية من الأهمية إذا ما أحسنا تأويلها: فمن حيث يرمز الشباب للمستقبل، فإن هذا الرمز الذهني يهذب- قدر المستطاع- أخلاقيات الأجيال الراهنة، ويقلل- قدر المستطاع- من مساوئ الأوضاع الحاضرة، ويجعل البشر في عصرنا هذا ينشدون- قدر المستطاع- التعالي عن أهوائهم وعن مصالحتهم الضيقة وعن شحنائهم، ويؤسسون للمستقبل، أي يشيدون قواعد صلبة قابلة للدوام، وينشدون السلم، الذي هو دوماً مثلاً أعلى يظهر في الأفق أمام الإنسانية

وليس خلفها. إن تأكيد هيئة الأمم المتحدة على ضرورة النهوض بوضع شباب اليوم كشرط لاستقبال الأجيال القادمة يعني الدعوة الصريحة إلى الحد من غلواء "الأنانيات"- التي هي دوماً وبالتعريف أنانيات الماضي أو الحاضر- والتعاون للحفاظ على البيئة وعلى النظام الطبيعي وعلى الموارد الطبيعية، وإرساء السلم بين الأمم، وتنمية القدرات، والقضاء على الفقر والجوع والامية والجهل، والكفاح من أجل عالم خال من الأوبئة ومن الجريمة. هذا هو معنى المستقبل الذي بدونه يتحول "الشرط الإنساني" الراهن إلى مجرد ميكانيزمات لآلة تتحرك عبثاً، أي بلا إرادة ولا هدف ولا توجيه. ليس من باب المصادفة- إذن- أن يقرن برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها بين "المشاركة والتنمية والسلم" وبين أجيال المستقبل. وقصدنا هنا إنما التأكيد على أن اتصال التفكير بالأجيال القادمة له وظيفة تعديلية (régulatrice) لا يستهان بها. إن استحضار المستقبل في برنامج 1995 هو الذي يفسر استمرار بعض المقولات، كمقولة التقدم مثلاً، ومدى مقاومتها للتصفية النظرية بعد أن تعرضت للنقد والمراجعة من كل حذب وصوب، بل وتم الآن تجاوزها لا على المستوى السياسي والاقتصادي وحسب، وإنما على المستوى النظري أيضاً. ومهما قيل عن سلوك الشباب الاستهلاكي الذي يدفع به إلى أن يصبح جمهوراً رَحوماً وقوة محافظة، فإنه يبقى تواقاً للحياة على كوكب أجمل برموزه التقدمية على مستوى الحياة الذوقية والروحية والرياضية والبيئية: يكفينا أن ننظر من حولنا حتى نرى إلى أي مدى يجب الشباب الموسيقى كأرقى أشكال الحساسية الذوقية والفنية، وحتى نتصور العالم الذي يحلمون به وينزعون إليه.

- المشاركة: تمثل المشاركة مفهوماً رئيسياً في برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، وتطبع أهم تقصلاته السياسية والاجتماعية، وترسم رؤاه المستقبلية وقراراته العملية. وهي تعني- في هذا السياق الخاص- إفساح المجال أمام الشبان والشابات لتشخيص واقعهم وتحديد قضاياهم، واتخاذ القرارات التي يتعلق عليها

والأرجح أن ثقافات الإنسانية ورموزها الزمنية كانت تغلب عليها في السابق نزعة استعادة الماضي، وهي "ثقافات الذاكرة"، سوى أن فكرة "شباب العالم" تحملها إلى المستقبل وليس إلى الماضي، لذلك يشكل الشباب رمزاً لثقافة المخيلة كمقابل وكمتمم لثقافة الذاكرة

إن استحضار المستقبل في برنامج 1995 هو الذي يفسر استمرار بعض المقولات، كمقولة التقدم مثلاً، ومدى مقاومتها للتصفية النظرية بعد أن تعرضت للنقد والمراجعة من كل حذب وصوب، بل وتم الآن تجاوزها لا على المستوى السياسي والاقتصادي وحسب، وإنما على المستوى النظري أيضاً

في المرادف الفرنسي (Autonomisation)، أو في المرادف العربي (تمكين).

وفي الجملة، فإن وثيقة 1995 يتنازعها اتجاهان متممان لبعضهما البعض: فهي من ناحية أولى تريد القطع مع تراث اجتماعي وتربوي كان يتسم بالحركية الاجتماعية والنسقية السياسية الأيديولوجية الصارمة، وهي النسقية التي دخلت في أزمة مفتوحة منذ ثمانينيات القرن الماضي، وهي من ناحية ثانية، ظلت تحمل آثار تلك الحقبة الماضية، حقبة ما قبل التسعينيات، واللغة السائدة فيها هي لغة المشاركة والتنمية والتقدم، وهي المقولات التي لا تعكس خصائص مقتصرة على الشباب أو تنطبق عليه وحده، وإنما من الممكن أن تشمل سائر الفئات الاجتماعية المهمشة، أو ذات الوضع الهش.

غير أن ما صار يميز الشباب عن غيره من الفئات - وهو ما نستخلصه من برنامج 1995- إنما هو خضوعه لمفارقة عميقة تخترق كيانه بأكمله، ألا وهي تأرجحه بين القوة والضعف، بين التمكين والتبعية، بين الاندماج والتغيير¹⁸. بقي أن هذه المفارقة التي ينسبها برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها إلى الشباب باعتباره كيانا واحدا منسجما إنما تترجم- في الحقيقة- على تمايزات واختلافات وتفاوتات تشق هذه الفئة العمرية على جميع الأصعدة- الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية- بين متفوقين وفاشلين، بين مقتدرين ومستضعفين، بين متمكنين وتابعين، سواء أكانوا شبانا أم شابات.

لن يرسخ مفهوم تمكين الشباب لفظاً ومعنى في أدبيات ووثائق الأمم المتحدة إلا انطلاقاً من التقرير الذي أعده الأمين العام في سنة 2001 حول "تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها". ففي هذه الوثيقة التقييمية يتحول مفهوم التمكين إلى مفهوم محوري داخل بنية متكاملة ومتعاضدة من المفاهيم والتصورات المشاركة في حقل دلالي واحد. ويبين التقرير مبادئ التمكين ومقتضياته وتوابعه الممكنة في سياق العولة التي صارت أمراً واقعاً: بناء الشباب لقدراته الذاتية، واكتسابه للاستقلال الذاتي، والاستفادة إلى أقصى

مصيرهم. وهذا في حقيقة الأمر- ومن الناحية المبدئية المحض، أي بصرف النظر عن مدى تطبيق البرنامج على المستوى الإقليمي والوطني والمحلي- موقف مستحدث ومتقدم على الصعيد التنشيطي والتربوي، وذو نزعة ديمقراطية على الصعيد السياسي العام، حتى وإن كانت كلمة ديمقراطية مسكوتاً عنها في هذا النص. ولمزيد توضيح معنى السكوت يمكن أن نضيف دليلاً آخر، وهو أن كلمة "مواطنة" لا يذكرها برنامج 1995 إلا مرة واحدة مدسوسة بين جملة من الكلمات والعبارات الوصفية والخطابية في مجال التعليم وعلاقته "بالانتقال إلى مرحلة الرشد التام والمواطنة الفعالة والعمالة المنتجة المجزية"¹⁶. إن كلمتي ديمقراطية ومواطنة وما شابههما أو ما ارتبط بهما ارتباطاً دلالياً لن يظهر للعيان إلا في سياق مختلف، وهو سياق إعلان لشبونة بشأن السياسات والبرامج المعنية بالشباب (1998). ولا نغالي إن قلنا بأن مثل هذه "الإعلانات" الفرعية هي التي تكشف عن المسكوت عنه في البرامج المركزية وفي القرارات ذات الشأن الكبير التي تتخذ في أعلى المستويات الدولية. هناك إذن بنية تعبر عنها الكلمات التي هي جزء من تلك البنية. وهكذا، لئن آل مفهوم المشاركة بكل ما يحمل أو بما يوحي من مثل وقيم- إلى الانطماش التدريجي، فإن مفهوم التمكين آل هو- أيضاً- إلى الظهور التدريجي. لا شك في أن حق المشاركة لم يكن في الماضي يوحى كثيراً بالاستقلال والقيام بالذات، وربما كان مشحوناً بقيم التواضع والاعتراف بالحدود التي لكل واحد منا متغافلاً عن عزة النفس التي كثر الحديث عنها هذه الأيام، ولكنه كان يعبر في الثقافة السياسية الغربية على أن الفوز بالاستقلال وبالاستقلال الذاتي يشترط المنازعة والنضال والمطالبة. على العكس من ذلك، يثبت التمكين عزة النفس الفردية، ويثبت الاستقلال الذاتي كقيمة عليا، ولكنه يحيل في نفس الوقت إلى تصور جديد للفضاء العمومي وللشأن العام والسياسة، وهو تصور لا يقوم على المنازعة، وإنما على ضرب من المهادنة الاجتماعية، وربما من الهدنة السياسية¹⁷ المتضمنة في صيغة التفعيل نفسها، والتي يعثر عليها التحليل، سواء في الأصل الإنجليزي (Empowerment)، أو

يثبت التمكين عزة النفس الفردية. ويثبت الاستقلال الذاتي كقيمة عليا. ولكنه يحيل في نفس الوقت إلى تصور جديد للفضاء العمومي وللشأن العام والسياسة. وهو تصور لا يقوم على المنازعة، وإنما على ضرب من المهادنة الاجتماعية. وربما من الهدنة السياسية

درجة من الفرص المتاحة، وذلك قصد التحول إلى قوة إيجابية فاعلة. وإذا كان مفهوم التمكين يشير بالإيجاب إلى حالة مثلى يمكن الاقتراب منها على الأقل، فإن التقرير لا يتغافل عن المساوئ الحالية التي يتوجب مقاومتها والخروج منها: فعلى الشباب الخروج من حالة السلبية والقصور الذاتي الموسومة بالافتقار للقوة، وبالتبعية "لجهات خارجية" كانت تتخذ قرارات تخص مصيره بدلا عنه¹⁹. زد على ذلك شروط إضافية صعبة ومعقدة تعوق تمكين الشباب في البلدان النامية، والمقصود بها الفقر وغياب الديمقراطية أولا وقبل كل شيء، بصرف النظر عن جملة من المعوقات الأخرى التي يعددها التقرير، والتي يضيق دونها المجال هنا. لذلك يشير التقرير -بفطنة شديدة- إلى أنه يتوجب البدء بـ"إزالة الحواجز"²⁰ (السلب) كشرط لبناء القدرات وبلوغ مستوى التمكين (إيجاب).

ما يستفاد هُنا من تقرير 2001 بشأن تمكين الشباب ثلاثة أمور بالغة الأهمية:

- يعد مفهوم التمكين الصيغة الجديدة للمشاركة كما يقتضيه سياق العولة. ونحن نعتقد أن العولة في صيغتها الليبرالية الجديدة قد بدأت بتبديد تلك اللغة الآيلة إلى الاهتراء، والتي كانت في الماضي تعبر عن كونية القيم، التي يشترك الناس في نحتها كل من موقعه الخاص، وبحسب وضعه وإمكاناته وقدراته الخاصة. وفي رأينا- أيضا- أن العولة في صيغتها الإمبراطورية الحالية صارت ذات بعد أفقي لا يكتفي بقلب القيم قلبا كاملا وحسب، وإنما يتجاوز ذلك لوضع حد لفكرة القيم أصلا. وهذا معنى قولنا في الفقرة الأولى لهذا البحث بأن العالم يشهد تحولا من التصور العمودي إلى التصور الأفقي، أي تحولا من هرمية القيم إلى التجاور النوعي أو الفئوي. ونقصد بذلك أن المراتبية الأكسيولوجية (القيمية) والتفاضلية القديمة قد دخلت في أزمة عامة وجذرية، ولا ندري أية مدة زمنية سيتطلبها بناء المراتبية الجديدة، هذا إن كان لها أن ترى النور يوما. أما الآن، فيبدو أن كل شيء قد صار طريح الأرض. وهذا هو معنى الأفقية. لم يبق إذا إلا التجاور في المكان أوالتتابع في الزمان بلا قيمة ولا هدف. والعولة

في صيغتها الراهنة أميل إلى التجاور الأفقي، لأنه كفيل بأن يمحو حدودا ليعيد تقسيم جغرافية العالم، ولينشئ تعريفات جديدة للكيانات، سواء السيادية أو الاجتماعية أو المدنية. فإذا ما سلمنا بهذا التحليل النقدي للعولة، قلنا بأن مفهوم "التمكين" يساهم في إعادة توزيع القوى والمراكز في اتجاه استقلالية الكيانات والفئات وربما في اتجاه انعزاليها إزاء مراكزها الاجتماعية والسياسية القديمة (السيادات الوطنية مثلا)، ودخولها في شبكة عنكبوتية عالمية أفقية السطح، يصعب بعد تحديد مركز ثقلها الأكبر، ومراكز ثقلها الثانوية، وتخومها البعيدة والقريبة .

يقضي التمكين بتوافر أربعة شروط قبلية ذات طبيعة: سياسية أولا (الديمقراطية)، واقتصادية ثانيا (حد أدنى من الرفاهية المادية)، واجتماعية ثالثا (حد أدنى من المساواة والمجتمعات المدنية)، وثقافية رابعا (حد أدنى من التعلم ومن المعارف ومن أوقات الفراغ ومن الممارسات الفنية والرياضية)²¹. كهذا أرضية متينة ذات تقاليد متجذرة، يمكن لسياسة التمكين أن تتدخل لتعزيز المسار الاستقلالي ولتنمية قوة المجتمعات المدنية إزاء السوق من ناحية، وإزاء الدولة من ناحية أخرى. في هذه الحالة يعمل التمكين كمستوى راق ومتقدم من مستويات الممارسة الديمقراطية، كـ"فائض مدني"، إنه يرسم على تلك الأرضية السابقة هندسات الاختلاف الجديدة، كما يرسم الفارق "المدني" داخل وحدة المؤسسة الديمقراطية والوطنية. أما في البلدان النامية، فإن الأمر يختلف، إذ ما يزال تمكين الشباب فيها يتطلب تدخل قوى خارجية، أي خارجية عن الشباب، لخلق الشروط اللازمة لتحقيق التمكين. كما أن الوهن الاقتصادي الذي يميز تلك البلدان يقلل من حظوظ استقلالية الدوائر المدنية فيها. وهذا ما يتناقض مع مقولة التمكين نفسها من ناحية، ويدخلنا في دور فاسد من ناحية أخرى. ولقد تنبه تقرير الأمين العام سنة 2001 حول تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها إلى هذه الصعوبات والمفارقات، فأشار- في نقطته الثانية "قضايا الشباب ذات الأولوية بالنسبة للقرن الحادي والعشرين: العولة وتمكين الشباب"- إلى لزوم البدء

فعلى الشباب الخروج من حالة السلبية والقصور الذاتي الموسومة بالافتقار للقوة، وبالتبعية "لجهات خارجية" كانت تتخذ قرارات تخص مصيره بدلا عنه. زد على ذلك شروط إضافية صعبة ومعقدة تعوق تمكين الشباب في البلدان النامية، والمقصود بها الفقر وغياب الديمقراطية أولا وقبل كل شيء

يمكن لسياسة التمكين أن تتدخل لتعزيز المسار الاستقلالي ولتنمية قوة المجتمعات المدنية إزاء السوق من ناحية، وإزاء الدولة من ناحية أخرى. في هذه الحالة يعمل التمكين كمستوى راق ومتقدم من مستويات الممارسة الديمقراطية، كـ"فائض مدني"، إنه يرسم على تلك الأرضية السابقة هندسات الاختلاف الجديدة.

ثلاث إشكاليات أو قضايا كبرى:- الشباب في الاقتصاد العالمي: الفقر، والتعليم، والعمل.-
الشباب في المجتمع المدني: البيئة، وأوقات الفراغ، والمشاركة.-
الشباب المعرضون للخطر: الصحة، والمخدرات، والجروح، والتميز ضد الفتيات والشابات.

بـ"إزالة العقبات"، وإلى أن التمكين في البلدان النامية يشترط -أولا- القدرة على التمكين، وإلى أن الكثير منها (أي من منظمات الشباب) يحتاج إلى استخدام هذه القدرة في تمكين ذاته من إزالة الحواجز التي تحول دون التعبير عن آراء الشباب والاعتماد على الذات²².

يقيم تقرير 2001 علاقة تلازم وتضمن بين العولمة و"تمكين الشباب". ولكن خلافا للمقاربات التي تتناول فئات أخرى باعتبار آثار العولمة عليها، أي باعتبارها فئات منفصلة أكثر منها فاعلة، كالمرأة، أو الأحزاب السياسية، أو الفلاحين، على سبيل المثال، فإن الشباب يتناول كعنصر دينامي ومحرك للعولمة، بل وأكثر من كل ذلك كإحدى الغايات الإنسانية المشرعة للعولمة. ويزيد التقرير في بيان تلك العلاقة بأن يقدم تعريف مسألة تمكين الشباب على أنها تعميق الوعي بالعولمة ومعوقاتها²³. ونضيف فنقول إن هذا الإقحام لمفهوم الوعي- وهو مفهوم آل إلى التراجع وإلى الأفول في الأدب السياسي المعاصر- يمنح التمكين هالة من المتالية لم تعد شائعة في وقتنا الحاضر.

وعلى هذا النحو تكون الأرضية المفاهيمية قد هيئت على نحو جيد لاستقبال الألفية الجديدة بمشاريعها وتقاريرها وبرامجها التي تؤكد مرة أخرى على القيمة المتزايدة التي صارت تسند للشباب. ويمكن اعتبار تقرير الشباب في العالم لعام 2005 بمثابة الترويج لجملة من المراحل التي بدأت برنامج 1995 والتي لم يأت هذا البحث إلا على بعضها.

وأول ما يلاحظه القارئ عند الموازنة بين برنامج 1995 وتقرير 2005 إنما هو الاختلاف الكبير بين بنية النصين. فعلى الرغم من أن تقرير 2005 يستعرض مجالات الأولوية العشرة الواردة في برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، مجالا مجالا، فإنه يعيد تصنيفها وتبويبها في ثلاث إشكاليات أو قضايا كبرى:

- الشباب في الاقتصاد العالمي: الفقر، والتعليم، والعمل.
- الشباب في المجتمع المدني: البيئة، وأوقات الفراغ، والمشاركة.
- الشباب المعرضون للخطر: الصحة، والمخدرات،

والجروح، والتميز ضد الفتيات والشابات.

والأرجح أن هذا التصنيف- بالعلاوة على تقديمه للفقر على التعليم خلافا لبرنامج 1995- ليس مسألة شكلية لا تتجاوز الصيغة، وإنما يستجيب لمقتضيات الإشكاليات السياسية والعملية بهدف تكوين منظورات برنامجية تتجاوز -أولا- ما قد يبدو مجالات متفرقة، وترفع -ثانيا- المسائل الشبابية إلى مستوى راق من الترابط والتكامل. وهذا الترابط هو الذي يمنح تمكين الشباب- باعتباره استقلالا ذاتيا- أساسا نظريا صحيحا: إن معنى الاستقلال الذاتي لا يتكامل بدون هذا الترابط العضوي بين المسائل التي تهتم الشباب وبدون تحويلها إلى قضية مستقلة وذات أبعاد متكاملة. وهذه واحدة من ميزات تقرير 2005 مقارنة ببرنامج 1995.

إضافة للمجالات العشرة التي كان برنامج 1995 قد حددها، يطرح تقرير الشباب في العالم لعام 2005 خمس مسائل جديدة:

- العولمة.
- زيادة استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات.
- انتشار وباء نقص المناعة البشرية /الإيدز.
- تعاظم مشاركة الشباب في الصراعات المسلحة.
- أهمية العلاقات بين الأجيال في المجتمع العالمي الأخذ في الشيخوخة.

والواضح في هذا التقرير- خلافا لبرنامج 1995- ما يعلنه من مفاهيم وأفكار وتوجهات، سواء على الصعيد الاقتصادي أو على الصعيد السياسي. ويمكن قراءة التقرير انطلاقا من هذين المنظورين المتممين لبعضهما البعض:

فأما على الصعيد الاقتصادي، فإن حاجة العولمة للشباب كحاجة الشباب للعولمة، والحال أن أداتها الرئيسية تتكون من تكنولوجيات المعلومات والاتصالات التي يمثل الشباب الجيل الأكثر حدا لها وإقبالا على استخدامها. فالشباب- في رأي التقرير- هم "الأكثر مرونة، وربما الأكثر قدرة على التكيف وعلي استخدام الفرص الجديدة المتاحة. وهم أجود الأجيال تعليما فيما يختص بتكنولوجيات المعلومات الجديدة،

وهم يستفيدون من النمو الاقتصادي، والعديد منهم يسافرون حول العالم للعمل والدراسة ومشاريع التبادل والعطلات، والهاتف والإنترنت يمكنهم من أن يكونوا على اتصال مع أصدقائهم وأقربائهم²⁴. إن العلاقة العضوية بين الشباب والعولة، من حيث كونها علاقة فائدة، هي التي تثنى هذا الجيل، وتمنحه مزيدا من التبجيل، بل إنه يصبح هو بدوره مجالا من مجالات الاستثمار²⁵، وهي كلمة تتكرر طوال التقرير على أصعدة مختلفة: اقتصادية، وسياسية، ورمزية. كما تتكرر في سياق استعمالات متنوعة: من استثمار الشباب، إلى استثمار في الشباب وفي الأفراد طوال حياتهم، مروراً بالاستثمار لصالح الشباب. بدون هذا التثمين وهذا الاستثمار القائمين في سياق العولة الليبرالية يصعب جدا القضاء على الفقر المدقع وعلى الأمية المطبقة، ويصعب الحد من الأوبئة الفتاكة ومن الجرائم المنظمة، أو غير المنظمة، فردية كانت أو جماعية، إذ لا بد للعولة من أن تحقق حدا أدنى من التجانس للعالم، وإلا صار مفهوم العولة ذاته ضربا من الهراء. إن تحقيق الحد الأدنى من هذا التجانس الذي يتطلبه السوق العالمي كفيل بأن يستجيب- ولو نسبيا- لشرط من أهم الشروط الاقتصادية للعولة، أي الإطاحة بنظام تقسيم العمل القديم، وإنشاء نظام جديد لا عهد للبشرية به سابقا، وذلك على أكثر من صعيد تقني ومالي وديموغرافي واجتماعي وثقافي وجغرافي سياسي. إن تقسيم العمل على صعيد المجتمع العالمي صار مختلفا عما كان عليه قبل إنشاء الاقتصاد الكموني (الافتراضي). والظاهر أن جيل الشباب- من حيث هو مكمّن العنفوان والمستقبل- مؤهل أكثر من غيره لأن يساهم بقوة في توحيد العالم: سكانيا واجتماعيا، ماديا ورمزيا. ليس "تمكين الشباب" سوى بعد بشري وسكاني من أبعاد العولة، من حيث إن العولة هي علاقة العالم الآنية بذاته. إن هذه "العلاقة بالذات" هي التي يقدم السوق العالمي أرقى أشكال التعبير عنها، وهي التي تفرض مفهوم الاستقلال الذاتي، أي السير بمقتضى قانون الحركة الذاتية كسير الساعة الميكانيكية، على نحو ما كان يتصور رواد الاقتصاد السياسي أو كانوا يحملون به قبل ما يزيد على القرنين.

وأما على الصعيد السياسي، فإن تقرير الشباب في

العالم لعام 2005 يتهج في هذا المضمار -أيضا- لغة الوضوح مقارنة ببرنامج 1995. والمقصود بالوضوح هنا هو دقة بعض المصطلحات ذات الدلالة الخاصة، وهي تلك التي يمكن اعتبارها من مقومات بنية النص. يثير التقرير- بشكل ملفت للانتباه- علاقة الشباب بالسياسة ودوره فيها، وضرورة استشارته وإشراكه في اتخاذ القرارات المصرية، وبالخصوص تلك التي تخصه هو بالذات.

أما من حيث المساوئ، فإن ظاهرة العزوف عن السياسة أو عدم المبالاة بها أخذت في الانتشار بين صفوف الأجيال الشابة في عديد من البلدان²⁶. والشباب الرازح تحت كابوس البطالة في المناطق الحضرية ذات الكثافة السكانية عرضة للتجريد وللعنف السياسيين والأيدولوجيين²⁷. وفي بعض المناطق الساخنة يكون الشباب- وحتى الأطفال أيضا- من بين المشاركين الفاعلين، بل والرئيسيين في العديد من الصراعات المسلحة الوطنية والدولية، وهو ما يدعو التقرير إلى وقفه ليصبح الشباب عامل سلم وبناء وتوحيد. كما أن شروط الكبت والحرمان- وهي متعددة ومتشابكة الأوجه اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا- هي شروط قابلة لأن تدفع بالشباب إلى الالتحاق "بصفوف الإرهاب الوطني والدولي"²⁸.

وأما من حيث الإيجابيات، فإن ما حدث من "تطورات مميزة" في السنين الأخيرة قد غير "الطريقة التي تتم فيها مشاركة الشباب وتواصلهم الاجتماعي"، منها أن دوره داخل مجتمعه أو داخل مجموعته الوطنية صار متأثرا "بتقافة شبابية عالمية جديدة، توجهها وسائل الإعلام إلى درجة كبيرة ناجمة عن النمو السريع في تكنولوجيات المعلومات والاتصالات". وعلى الرغم مما يبدو من عزوف عن التنظيمات السياسية التقليدية، فإن للشباب تواجدا فعليا في الجمعيات الأهلية وفي المجتمعات المدنية، وهو ما يبرهن عليه دور الشباب الطلابي في غالبية بلدان العالم، حيث إن طموحاته ما تزال تتزايد لتتجاوز "شواغل الإصلاح التعليمي"، وتشمل "قضايا الإصلاحات الديمقراطية، والعمالة، والصحة، والعنصرية وانتشار الأسلحة، والشواغل البيئية". إن هذه الشواغل المتعددة والمتداخلة تؤكد مرة أخرى ما سبق أن نعتته هذه الدراسة بالبعد الشبابي العابر للمجالات.

من استثمار الشباب. إلى استثمار في الشباب وفي الأفراد طوال حياتهم. مروراً بالاستثمار لصالح الشباب. بدون هذا التثمين وهذا الاستثمار القائمين في سياق العولة الليبرالية يصعب جدا القضاء على الفقر المدقع وعلى الأمية المطبقة. ويصعب الحد من الأوبئة الفتاكة ومن الجرائم المنظمة أو غير المنظمة، فردية كانت أو جماعية. إذ لا بد للعولة من أن تحقق حدا أدنى من التجانس للعالم، وإلا صار مفهوم العولة ذاته ضربا من الهراء.

فإن للشباب تواجدا فعليا في الجمعيات الأهلية وفي المجتمعات المدنية. وهو ما يبرهن عليه دور الشباب الطلابي في غالبية بلدان العالم، حيث إن طموحاته ما تزال تتزايد لتتجاوز "شواغل الإصلاح التعليمي"، وتشمل "قضايا الإصلاحات الديمقراطية، والعمالة، والصحة، والعنصرية وانتشار الأسلحة، والشواغل البيئية". إن هذه الشواغل المتعددة والمتداخلة تؤكد مرة أخرى ما سبق أن نعتته هذه الدراسة بالبعد الشبابي العابر للمجالات.

ما سبق أن نعتته هذه الدراسة بالبعد الشبابي العابر للمجالات.

"العولة"، و"الاستثمار"، و"الفائدة"، و"الاستقلال الذاتي"، و"المجتمع المدني"، و"الاتصال"، و"الإصلاح الديمقراطي"، ودرء "الإرهاب الوطني والدولي"، تلك هي المفاهيم ذات الدلالة الاقتصادية والسياسية البالغة في تقرير الشباب في العالم لعام 2005، ولكنها تكتسب المزيد من المعنى ومن المشروعية بفضل مفهوم رئيسي وبرنامجي يفتح أمامها آفاق المستقبل، ألا وهو مفهوم "المواطنة العالمية" الذي ينتهي إليه التقرير في ملحقه المخصص لـ"استعراض الشواغل الجديدة الخمسة منذ اعتماد برنامج العمل العالمي".

ومعلوم أن ابتكار هذا المفهوم يعود إلى رواقيني العصور القديمة، فما مزية "شباب العالم" اليوم؟ إن ما لم يكن الرواقيون قادرين عليه في العصور القديمة، وما لم يكن الفيلسوف كنط- أيضا- قادرا عليه في العصور الحديثة- وكنط هو صاحب مشروع السلم الدائم، وصاحب النظرية الكسموبولوتيكية والمبشر بالأمم المتحدة- إنما هو ما نعتته تقرير 2005 بـ"المواطنة الإلكترونية" وعلاقتها الحميمة بالمواطنة العالمية والفعالة، وهي مواطنة يقدر عليها الشباب أكثر من غيرهم لتحكمهم في "التكنولوجيات، باعتبارها بعدا هاما من أبعاد المواطنة العصرية"، مثلما يقول التقرير بشكل بليغ وغير متوقع.

الكسموبولوتيكية والمبشر بالأمم المتحدة- إنما هو ما نعتته تقرير 2005 بـ"المواطنة الإلكترونية" وعلاقتها الحميمة بالمواطنة العالمية والفعالة. وهي مواطنة يقدر عليها الشباب أكثر من غيرهم لتحكمهم في "التكنولوجيات، باعتبارها بعدا هاما من أبعاد المواطنة العصرية".

خاتمة:

لم يكن قصدنا في هذا البحث أن نفاضل قط بين الاختيارات، وإنما أن ندرك المعاني المستبطنة، وأن نجلو مكامن الأيديولوجيا الدفينة فيما يبدو من المستلزمات الطبيعية للتغيير أو من مقتضيات التحكيم العالي. إنما قصدنا أن نفهم السياقات التي تنحت فيها المفاهيم وتنطق الكلمات، وأن نرى كيف أن أي نهج في الشأن السياسي العام مهما كان نبيلًا- يقوم على مفارقات عدة، كمفارقة الديمقراطية والنخبة، أو مفارقة الديمقراطية والتمكين. ولما كانت دراستنا مبحثًا في تقنيات المفهمة وتكوين التصورات، فلقد أسقطنا عمداً أية إحالة إلى الأرقام والنسب والمقادير. إن الهندسة في هذا البحث بالذات لا تحتاج لحساب الإحصاءات. ولا نقول ذلك غرورا، وإنما على العكس- حتى يظل عملنا المفهومي هذا في مستوى الفرضيات النظرية التي ربما تتعطرس وتستبد بنفسها وبغيرها إذا ما حاولت الحاجة بواسطة المعطيات الإمبريقية والإحصائية من دون أن يلزمنا السياق بذلك.

ومع ذلك، فليس في النهج الذي اخترناه هنا تعسفاً تنظرياً، ذلك أن التمكين في ذاته ليس مجرد قدرة، أو مجرد تملك للموارد، أو مجرد حصول على صنوف السلطة، أيا كانت اقتصادية أو سياسية أو رمزية، ولو كان التمكين كذلك لكان مجرد مشاركة أو اشتراكا ليس إلا، وإنما "التمكين هو قدرة المرء- أيضاً- على أن يمنح وجوده معنى وتبريرا ودلالة واتجاها"29، كما نقرأ في أحد التعريفات النابذة للتمكين. والمعنى لا يشترط رقما. لذلك ارتبط التمكين بالإرادة أولا، أي برسم غاية وبطلبها، وبالتملك ثانيا، أي بكسب الموارد، وبالمعرفة ثالثا، أي بالمهارة الذهنية والجسدية، وبالسلطان رابعا، أي بالشكل الأدنى للسلطة ألا وهي السلطة على الذات، وتدبير الشخص لحياته، وتقرير مصيره بنفسه.

فما حال الشباب العربي من كل هذا؟ حاولنا في القسم الثاني من هذه الدراسة أن نرسم- من موقعنا وتخصصنا- بعض الاتجاهات الأساسية التي يمكن طرفها للبحث عن جواب، أو بالأحرى عن أجوبة. وللخبراء وصناع القرار السياسي تحقيق الباقي، وهو الأهم والأكثر استعجالا. حسبنا- في دائرة الفكر التي نتحرك داخلها- أن يساهم بحثنا هذا في تحديد

العناصر النقدية لمفهوم التمكين من حيث سياقه العالمي، ومن حيث سياق وشروط توطينه في البيئة الاجتماعية العربية، فبدون هذه المقدمة النقدية يعسر أصلا طرح السؤال حول حال الشباب العربي وحول آليات تمكينه.

وهكذا، فإن التمكين- من حيث هو اقتدار واستقواء- يستبدل بشكل إيجابي العنف المرئي والبدائي بالعنفوان غير المرئي للشباب، أي بالطاقة غير المرئية للشباب، وهي القدرة على المزيد من القوة بشكل لا متناه. ولئن صارت اللغة السوسولوجية والسياسية والتربوية تستخدم اليوم مصطلحات القوة والسلطان (empowerment)، و"القدرات"، و"المسالك والمسارات الفردية (parcours individuels)"، فلأن عالم اليوم هو "عالم المخاطر" أيضا (monde à risques)، وهو ما يشترط الإقدام والشجاعة بهدف "تحسين الفرص المواتية". لقد ولى العصر الذي كان فيه التقدم في العمر قيمة في حد ذاته وعنوانا عن التجربة وعن عالمنا المعاصر، بدءا بأكثر صور الإشهار وضاعة، وانتهاء إلى أرقى الأشكال السياسية، نراها تمجد المثل الشبابية بقدر ما تتخوف من نزوع سكان العالم نحو الشيخوخة على الصعيد الديموغرافي، ومن شيخوخة البلدان أو حتى القارات على الصعيد السياسي. وكلنا يذكر عبارة "أروبا القديمة"، قبل بضع سنوات، على لسان أحد كبار صناع القرار في هذا العالم. أليس لأن مركز الثقل السياسي الآن قد تحول إلى بلد يعتبر هو بالذات بلدا جديدا وشابا؟ ليس التمكين بهذا المعنى سوى الصورة المثلى لعالم الخوصصة (التخصيص). لم يعد عالما إذن "أفضل العوالم الممكنة" (الذي منه بدأت الحداثة السياسية في أوروبا)، وإنما "عالم المخاطر الممكنة" واللائهائية (الذي منه تبدأ ما بعد الحداثة في أمريكا)، وهي مخاطر لا يقدر على مواجهتها إلا إنسان يكون متحكما في حاضره و متمكنا من مستقبله في الوقت معا؛ وليس هناك فئة تعبر عن مخاطر المستقبل- بكل ما لديها من قدرة على الأمل وعلى الخوف. وبكل ما لديها من اندفاعات ومن كابحات- أكثر من فئة الشباب.

لم يعد عالما إذن "أفضل العوالم الممكنة" (الذي منه بدأت الحداثة السياسية في أوروبا)، وإنما "عالم المخاطر الممكنة" واللائهائية (الذي منه تبدأ ما بعد الحداثة في أمريكا)، وهي مخاطر لا يقدر على مواجهتها إلا إنسان يكون متحكما في حاضره و متمكنا من مستقبله في الوقت معا؛ وليس هناك فئة تعبر عن مخاطر المستقبل- بكل ما لديها من قدرة على الأمل وعلى الخوف. وبكل ما لديها من اندفاعات ومن كابحات- أكثر من فئة الشباب.

- 1- راجع : الأمم المتحدة، تقرير الشباب في العالم لعام 2005. - تقرير الأمين العام، ديسمبر 2004، "الفقرة 5".
- 2- Cf . Terselic, Vesna. L'empowerment : juste une autre expressin ?. Orissa conference on Nonviolence and Social Empowerment. 2001
- 3- ليس للعدوى هنا دلالة سلبية، وإنما قصدنا أن نستحضر النظرية الطريفة التي يطورها Malcolm Gladwell في كتابه the Tipping Point، الصادر سنة 2000، وفيه يجمع المؤلف بين سريان العدوى (ذات الأصل البيولوجي) وبين نقطة الرجحان (ذات الأصل الفيزيائي) لتفسير تكون الظاهرة الاجتماعية وانتقالها وانتشارها (الموضة مثلا، أو النجاح الباهر لنجم فني، أو الانتشار الواسع والسريع لرواية كتبها مؤلف كان من قبل مجهولا تماما). ويتمثل التمكين-في هذه الحالة- في أن يتحيز الشخص فرصة نقطة الرجحان، أو الشعرة التي تقسم ظهر البعير، بلغة العرب القدامى. ونقطة الرجحان هي تلك التي ينقلب فيها الوضع تماما لتنتشر عدوى الظاهرة الجديدة. ويجوز لنا أن نتساءل هنا : ألا نجد في هذه النظرية بعض الصدى مهما كان ضعيفا لأفكار مكيا فيلي التي تقوم على الجمع بين مفهوم العنفوان (القدرات والكفاءات الشخصية) ومفهوم الحظ أو القدر (الشروط الموضوعية)؟
- 4- كمال نجيب، التحديات وآفاق المستقبل، ضمن "تطوير منظومة التربية العربية من أجل تمكين الشباب"، القاهرة، إدارة السياسات السكانية والهجرة [جامعة الدول العربية]، 2005، ص 2.
- 5- كمال نجيب، نفسه، ص 2.
- 6- راجع منشورات إدارة السياسات السكانية والهجرة [جامعة الدول العربية] المتصلة بإحصاءات الشباب وقضايا التربية والتمكين، وبالأخص مشروع دليل السياسات المعنية بتمكين الشباب العربي، وثيقة مرفونة، سبتمبر 2006.1 إدارة السياسات السكانية والهجرة، نفسه، ص 17.
- 7- إدارة السياسات السكانية والهجرة، جامعة الدول العربية، ص 15.
- 8- راجع: أديب اسحق، "حقوق المرأة" (1881)، الكتابات السياسية والاجتماعية، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، ص 167.
- 9- صار بعض المؤرخين يستخدمون عبارة "ثورة حقوق الإنسان" عوضا عن "الثورة البورجوازية" أو "ثورة الشعب" أو "ثورة الطبقة الثالثة"، المقصود بها الثورات الكبرى التي عرفتها بلدان أوروبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أشهرها الثورة الفرنسية. راجع،
- 10- Gauthier, Florence. Triomphe et mort du droit naturel en Révolution. Paris. PUF, 1992
- 11- راجع، لبيب عبد العزيز، الشباب العربي وأزمة القيم في عصر العولمة: نحو أكسيولوجيا مطبقة، القاهرة، إدارة السياسات السكانية، جامعة الدول العربية، 2006
- 12- Negri & Hard. Multitude. – War and Democracy in the Age of Empire. Penguin Press Paperback, 2005
- 13- ربما هذا ما يمنح تسويغا لإنشاء مرصد عربي للشباب.
- 14- راجع: الأمم المتحدة، تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها. – تقرير الأمين العام، جويليه 2001، "الفقرة 10".
- 15- والعبارة المستخدمة هي Empowerment بالنسبة للإنجليزية والنهوض بالمرأة وتمكينها بالنسبة للعربية و promotion et autonomisation des femmes بالنسبة للفرنسية
- 16- الأمم المتحدة، برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، "فقرة 21"
- 17- من اللزوم ألا يغفل المرء عن السياق السياسي العام السائد منذ أكثر من عقدين والمتميز بانحلال العمل السياسي المؤسسي في صيغه التقليدية وبظهور لغة جديدة تمجد "الانطواء" و "التواجد مع"، و"الأخذ بيد الآخر"، و"الفكر الضعيف". وربما يكون التمكين-من حيث هو استقلال ذاتي- قلبا تعبيريا لنزعة الانطواء الشخصي والانغلاق المحلي
- 18- المصدر السابق، "الفقرة 1"
- 19- تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها. – تقرير الأمين العام، جويليه 2001، "الفقرتان 9 و 10"
- 20- المصدر السابق، "الفقرة 10"
- 21- المصدر السابق، "الفقرة 6"
- 22- المصدر السابق، "الفقرتان 9 و 10"
- 23- المصدر السابق، "الفقرتان 9 و 10"
- 24- تقرير الشباب في العالم لعام 2005. - تقرير الأمين العام، ديسمبر 2004، "مرفق استعراض الشواغل الجديدة الخمسة منذ اعتماد برنامج العمل العالمي"، الفقرة 1"
- 25- المصدر السابق، "الفقرة 15"

26- المصدر السابق، راجع بالخصوص الفقرتين 52 و53

المصدر السابق، "الفقرة 33".

27- المصدر السابق، "الفقرة 33"

28- Caubergs, Vanderhulst, Peeters et Marleyn ، Empowerment : un apprentissage

.social. ATOL، 2003

مصادر ومراجع أساسية

1 - المصادر: وثائق الأمم المتحدة

- Declaration on the Promotion among youth of the Ideals of Peace, Mutual Respect and understanding between Peoples, 1965
- برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها، ديسمبر 1995.
- إعلان لشبونة بشأن السياسات والبرامج المعنية بالشباب، المعتمد في أثناء المؤتمر العالمي للوزراء المسؤولين عن الشباب، المعقود في لشبونة في الفترة من 5 إلى 12 آب / أغسطس 1998.
- خطة عمل براغا للشباب، المعتمدة في منتدى منظومة الأمم المتحدة العالمي الثالث للشباب، المعقود في الفترة من 2 إلى 7 آب : أغسطس 1998، في براغا (البرتغال).
- تنفيذ برنامج العمل العالمي للشباب حتى سنة 2000 وما بعدها. - تقرير الأمين العام، جويليه، 2001.
- تقرير الشباب في العالم لعام 2005. - تقرير الأمين العام، ديسمبر 2004.
- Objectif du millénaire pour le développement. - Rapport 2005, New York, 2005

2 - المراجع

- Agrikoliansky, Cardon et Lévêque Radiographie du mouvement altermondialiste : Le second Forum social européen. Éd. La dispute, 2005
- Beck, Ulrich, Pouvoir et contre-pouvoir à l'ère de la mondialisation, Paris, Aubier, 2003
- Bhagwati, Jagdish, Éloge du libre échange, Éditions d'Organisation, 2005
- Canetti, Elias, Crowds and Power, Penquin Books, London 1992
- Faro, Antimo Les mouvements sociaux, Diversité, action collective et globalisation Montréal, PUM, 2000
- Ferguson, Adam, Essai sur l'histoire de la société civile, trad. de l'anglais, Paris, Puf, 1992
- Hardt, Michael et Negri, Toni Empire, Paris, 2000
- Holloway, John, Change the World without Taking Power, Pluto Press, 2002
- Latouche, Serge, L'occidentalisation du monde : essai sur la signification, la portée et les limites de l'uniformisation planétaire, Paris, La découverte, 2005
- Rawls, Théorie de la justice, Paris, Seuil, 1987
- The Ad Hoc Working Group for Youth and the MDGs, Youth and the Millennium Development Goals. - Challenges and Opportunities for Implementation
- Thériault, J. Yvon, La société civile ou la chimère insaisissable, Montréal

الثقافة الداعمة لمشاركة الشباب من أجل تمكينه

في هذا المبحث محاولة لإثارة بعض التساؤلات حول القيم الثقافية الداعمة لمشاركة الشباب من أجل تمكينه، ومع التأكيد على كافة المنطلقات التي تؤسس لهذه الغاية من منظور حقوق الشباب، فإن الفرضية التي نطلق منها تقول بصعوبة الفصل- على صعيد الممارسة- بين ما يتصل بالقيم وما يرتبط بالمؤسسات. فالقيم ليست مطلقات معلقة خارج الفضاء الاجتماعي، ولكنها مرجعيات يحيل إليها الأفراد والجماعات لتبرير مواقفهم أو اختياراتهم أو ما يرونه حقيقياً أو عادلاً أو صائباً، وقد تتجلى عبر الممارسات القابلة للصد. والمؤسسات بدورها إذا ما أخذت بالمعنى الواسع الذي يذهب من الأسرة إلى الدولة، مروراً بالإعلام والمدرسة، ليست بالأوعية الفارغة من المحتوى، كما أنه يصعب اختزالها إلى نصوص وهياكل وإجراءات. وفي هذا المبحث محاولة للمزاوجة بين كلا المفهومين، وهو ينقسم إلى ثلاثة محاور: يتعرض أولها لبعض المفاهيم حول المقصود بالمشاركة في أبعادها المختلفة، ويناقش الثاني بعض القيم المعوقة لثقافة المشاركة لدى الشباب والمجتمعات العربية ككل، وتجلياتها المؤسسية، على حين يطرح المحور الثالث تصوراً استشرافياً عن القيم الإيجابية وآليات تفعيلها.

المشاركة: بعض المفاهيم والقضايا

- إن النظر في أمر مسألة المشاركة يكشف عن ملمحين متكاملين علي ما بينهما من تعارض، حيث يتضح للوهلة الأولى، وبناء علي منظور بالغ التحديد، أن المشاركة بمختلف أشكالها ومستوياتها- تبدو فعلاً استثنائياً، إذ أن الفئة المشاركة تظل هي الأقلية، وإن اتسعت، علي حين تحجم غالبية المواطنين عن الانخراط في مثل هذه الأنشطة، إذا ما أخذت بالمعنى المؤسسي المحدد. ولا تكتمل هذه الرؤية إلا بروؤية مقابلة، تؤكد علي أن كل الأفراد الذين يضمهم مجتمع ما- بما فيه الهوامش والتخوم-

هم بمعنى من المعان، مشاركون فيه، حتى وإن كان علي نحو سلبي، إذ يشاركون في إنتاج الموارد الجماعية لهذا المجتمع، ويستفيدون منها، هذا إن لم يتحملوا تبعات الاستبعاد من هذه الموارد. كما أن جميعهم أعضاء ضمن شبكات اجتماعية ممتدة ومتعامدة ومتقاطعة، تخضع لإعادة التكوين المستمر، وإن اختلفت مواقع الأفراد والجماعات بطبيعة الحال. وبهذا المعنى، فإن الدعوة إلي المشاركة من أجل التمكين لا تنطلق من فراغ مجتمعي، بل هي بمثابة دعوة لتضييق الفجوة بين معنيين للمشاركة، بحيث يتحول المشاركون- بحكم الأمر الواقع عليهم- إلي مشاركين بالفعل في تغييره إلى الأفضل، وبما يفترضه ذلك من اعتقاد، ليس في حقهم فحسب، وإنما- أيضاً- في قدراتهم وكفاءتهم على القيام بذلك. ويصدق الأمر ذات بالنسبة للشباب العربي، بما يمثله الشباب من ثقل ديموغرافي؛ فهم جزء فاعل من المجتمع ومؤشر علي تجده أو إعادة إنتاجه، وهم الفئة العمرية التي غالباً ما يقابلها نشاط وفعل اجتماعي مهم هو اكتساب المعرفة، ومن ثم فإن الدعوة إلي المزيد من إشراك الشباب قد تنطلق من أرضية أنهم مشاركون وحاضرون بالفعل، وإن كان المقصود هو ذلك النوع من المشاركة الذي يكفل لهم فرصة في صنع القرارات التي تتعلق بحاضرهم ومستقبلهم.

- وبهذا المعنى الذي لا يقصر المشاركة علي حرية التعبير أو إبداء الرأي وإنما يتعداها إلي التأثير الغرضي والفاعل، فإن المشاركة في صنع القرار هي في واقع الأمر مشاركة في أحد جوانب ممارسة السلطة بمعناها الواسع- من القائد السياسي إلي رب الأسرة، مروراً بمدير المدرسة- وانتقاصاً من سلطان من يضطلعون بممارستها (من النخب التقليدية). فكلما ازداد عدد المشاركين فعلياً، يفترض ذلك أن تتوزع فيما بينهم السلطة التي تمارسها الأقلية. وفي حالة الشباب العربي، تفترض المشاركة الفاعلة

فإن الفرضية التي نطلق منها تقول بصعوبة الفصل- على صعيد الممارسة- بين ما يتصل بالقيم وما يرتبط بالمؤسسات. فالقيم ليست مطلقات معلقة خارج الفضاء الاجتماعي، ولكنها مرجعيات يحيل إليها الأفراد والجماعات لتبرير مواقفهم أو اختياراتهم أو ما يرونه حقيقياً أو عادلاً أو صائباً، وقد تتجلى عبر الممارسات القابلة للصد.

الدعوة إلي المزيد من إشراك الشباب قد تنطلق من أرضية أنهم مشاركون وحاضرون بالفعل، وإن كان المقصود هو ذلك النوع من المشاركة الذي يكفل لهم فرصة في صنع القرارات التي تتعلق بحاضرهم ومستقبلهم.

انتقاصاً من سلطة الكبار، علي الأقل فيما يتعلق بتلك الرهانات التي تخص الشباب بشكل مباشر. ويجدر بنا أن نتساءل أحياناً إن كانت الدعوات إلي مشاركة الشباب علي استعداد للمضي في الشوط إلي نهايته، بما يفترضه ذلك من زعزعة لمواقع ممارسة السلطة، وتغيير في آليات صنع القرار وفي الافتراضات الكامنة والصريحة حول قدرة وكفاءة الشباب.

غالباً ما تنص التحليلات التي تدور حول المشاركة إلي إبراز ما فيها من قيم الإيثار والتضحية أو تفضيل المجموع علي الذات، وكلها أمور صحيحة، وإن كانت جزئية إلي حد ما، إذ ينبغي التأكيد - أيضاً - علي أن المشاركة، وهي شكل من أشكال استثمار الذات والوقت في أمور تتصل بالشأن العام - سواء كان حياً أو وطنياً - هي أيضاً وبنفس القدر استجابة لحاجات واحتياجات فردية، فيها ما هو عقلائي وما يتصل بالعواطف والمشاعر. وقد تتعدد تفسيرات المشاركة والإقدام عليها، وتختلط لدى الفرد الواحد بين دوافع نفعية ذاتية، وأخرى ذات علاقة بالقيادة والزعامة والحصول علي اعتراف الأنداد، أو اكتساب المهارات. كما تعد المشاركة سبيلاً إلي تكوين صلات اجتماعية أوسع أو أكثر حميمية مع من يشاركون الفرد قيمه أو تفضيلاته، وإلي إبداء الرأي، خاصة إن كان نقدياً، كل ذلك دون استبعاد دوافع الإيثار والاهتمام بالآخرين. وبطبيعة الحال، فإن وزن هذه الدوافع يختلف من شخص إلي آخر، بقدر ما يختلف - أيضاً - وفق منطلق وطابع المؤسسات التي تجري في إطارها المشاركة. وما يبدو مهما التأكيد عليه - علي أية حال - هو أن العائد الذي يتوقعه الفرد من المشاركة ليس حصيلة الطرح بين النتائج المتوقعة والجهود المبذولة في ذلك السبيل، ولكنه علي نحو ما حصيلة الجمع بين كليهما.

تشير بعض الكتابات إلي ما يمكن أن نسميه بدورات المشاركة/ الانسحاب، التي تميز السلوك الجماعي علي صعيد المجتمع ككل. إذ إن انخراط عدد مهم من المواطنين في العمل العام كثيراً ما يقترن بعوامل ظرفية، مثل: العدوان الخارجي، أو تزايد القمع، أو بدايات الإصلاح. أما الانسحاب والانكفاء علي

وخلافاً لما يظنه - أحياناً - القائمون على السلطة بمعناها الواسع. فإن "السكوت ليس بالضرورة علامة الرضا- والموافقة الضمنية، بل تتعد دلالاته، فهو قد يكون علامة على اليأس والانسحاب الدائم أو المؤقت، أو عدم المبالاة، أو الاحتجاج الصامت.

دائرة الحياة الخاصة، فقد يرتبط بتغير الظروف الاقتصادية، إما نحو مزيد من الرخاء، أو علي عكس ذلك في اتجاه الكساد والأزمة، مما يعني تخصيص اهتمام أكبر ووقت أوفر لما يتعلق بكسب العيش. وعلي صحة هذه التحليلات الظرفية، فإن كتابات أخرى تشير إلي ضرورة الأخذ في الاعتبار بالعوامل الداخلية، أي ما يتصل بخبرة المشاركين وتقديرهم النقدي لخياراتهم وتجاربهم واستعداداتهم إزاء خوض تجارب جديدة مختلفة الطابع. ويشار هنا - بطبيعة الحال - إلي ما يساهم به الإحباط في تغيير تفضيلات المشاركين والانسحاب من دائرة العمل العام للانكفاء علي الحياة الخاصة، ليس ذلك بالضرورة لأن المشاركة لم تتحقق "أغراضها"، بل لأن الخبرة التي تحققت ظلت أدنى مستوى من التوقعات المختلفة والمتعددة التي راهن عليها المشاركون. وإن صح مثل هذا التحليل، فإن دورات المشاركة/ الانسحاب لدى الشباب قد تكون أكثر تأرجحاً، أو أنها قد تستقر نهائياً علي حالة الانسحاب. وخلافاً للقول الشعبي المأثور، وخلافاً لما يظنه - أحياناً - القائمون على السلطة بمعناها الواسع، فإن "السكوت ليس بالضرورة علامة الرضا" والموافقة الضمنية، بل تتعد دلالاته، فهو قد يكون علامة على اليأس والانسحاب الدائم أو المؤقت، أو عدم المبالاة، أو الاحتجاج الصامت.

ثمة استقطاب بين الكتابات المعنية بالمشاركة حول من يقولون بمحورية غرس القيم والتربية وبين من يركزون علي دور المؤسسات والترتيبات المؤسسية. والمقصود بالأولى هو التربية بمعناها التاريخي والمتسع، أي تلك العملية التاريخية البعيدة المدى، والواسعة النطاق، التي اقترنت بالاعتراف بحق الحكوميين في اختيار من يحكمهم أو من ينوب عنهم، والتي تعرضت لها مجتمعات بأكملها، بما أسفرت عنه من صناعة المواطن المشارك وغرس القيم للديمقراطية، من خلال العديد من آليات الضبط الاجتماعي. وبهذا الوصف، فالمشاركة هي تربية وقيم يتم استنباطها وإعادة إنتاجها علي صعيد المجتمع ككل، ولا سبيل أمام المجتمعات إلا المرور - وإن في عجلة - بمختلف مراحل التجربة التاريخية التي مرت بها واختبرتها النظم السياسية الديمقراطية. أما التيار الآخر، فينتصر لفكرة

الترتيبات المؤسسية، الكفيلة في رأي القائلين بهذه الفكرة- بإنتاج الأفراد المشاركين والديمقراطيين. فتأسيس قواعد اللعبة وتوضيحها ووضع ضوابطها يدفع بالمشاركين علي الالتزام بها وبما تفرضه من مقتضيات، بغض النظر عن قيمهم واستعداداتهم. وعليه، فإن المجتمعات الحديثة العهد بالمؤسسات الديمقراطية الحديثة، ليست بحاجة كما يقال إلي دهور من التربية لإنجاز هذه التحولات، وإنما هي بحاجة إلي مؤسسات وضوابط حاكمة لتشغيل هذه المؤسسات وآليات للمراقبة والمحاسبة. وبغض النظر عن الجدل النظري المستفيض حول الموضوع- تربية أم مؤسسات؟- فمن الواضح في حالة المجتمعات العربية والشباب العربي، أن أسبقية المؤسسات هي الشرط الضروري- وإن لم يكن كافياً- للمشاركة، وأنه لا سبيل لتدعيم قيم المشاركة إلا عبر المشاركة ذاتها ومؤسساتها، وليس عبر التلقين ولا الحشد، وإن اقترن الأمر- بطبيعة الحال- بالعثرات والتجاوزات.

- كذلك فإن التزام بين مستويات المشاركة من سياسية واجتماعية، وتعدد أشكالها بين النشاط الحزبي أو الأهلي بمختلف تنوعاته من دعوية وخيرية وخدمية، وأصعدتها من قومية ومحلية، لا ينفي حقيقة أن المجتمع قد يشهد- في بعض مراحل- عزوفاً نسبياً عن بعض هذه الأشكال وتوجهها نسبياً إلي أشكال أخرى، ويتصل ذلك بالمزاج السياسي العام، وبمدى مصداقية المرجعيات المطروحة، قدر ما يتصل- أيضاً- بالقيود المفروضة علي مختلف هذه الأشكال، أو ما تسمح به في المقابل من إمكانات، وما قد يطرأ من تداخل فعلي بين وظائف هذه المؤسسات، علي الرغم من التمايز المفترض نظرياً. وهنا فإنه ينبغي التفكير في كلا الأمرين معاً، أي اتجاه الشباب نحو تفضيلات معينة، تطابقاً مع المزاج العام أو انفصالاً عنه، فضلاً عن حقيقة التداخل الواقع بين أصعدة وأشكال المشاركة ورهاناتها وأهدافها المتنوعة. فالفصل بين السياسي والاجتماعي والثقافي والديني أو القيمي كثيراً ما يكون فصلاً نظرياً متعمداً لا سند له في الواقع. وعلي المستوى العملي، فإن القيود الواقعة على المشاركة والتعبير في الوطن العربي، كثيراً ما تدفع بما هو سياسي إلى

قنوات الاجتماعي، أو هي على العكس تسبغ صفة السياسي علي ما يبدو اجتماعياً.

- يبقى أخيراً أن نشير إلي أن مشاركة الشباب تثير معضلة نظرية لم يتم البحث فيها بعد علي نحو كاف، فالتفكير في أمر المشاركة عادةً ما يقترن بالحد الأدنى من المؤسسات. ويبقى أن نتساءل عن مدى انطباق مفهوم المشاركة علي طائفة هامة من الأنشطة التي عادةً ما تقترن بالشباب. وإن صح الأمر فهي مشاركة لا تخلو من قواعد، وإن كانت مشاركة "أثرية" إن صح التعبير، كالتصويت في البرامج التلفزيونية، والتداول عبر الإنترنت، ونسج شبكات غير مرئية بين شباب ينتمون إلي مجتمعات مختلفة، قد لا يلتقون قط، وقد يصنعون لأنفسهم شخصيات وهمية لا وجود لها في العالم المادي الملموس، ولكنها تصير واقعاً متي صار لها حضور في حياة الشباب. ويبقى التفكير في كيفيات الترابط والتداخل بين هذه العوالم وبين عالم المؤسسات والالتزامات.

القيم المعوقة لثقافة المشاركة لدى الشباب

من القيم التي تقف في وجه مشاركة الشباب ما يتصل بالمجتمعات العربية ككل، وما يتصل ويتقاطع مع ذلك من أبعاد تخص الرؤى المتبادلة بين الشباب والكبار.

- علي المستوى العام، يمكن أن نقول أنه حيث يسود الخوف من السلطة يزداد العزوف عن المشاركة. ومن الصحيح أن الحكوميين يلجئون- أحياناً- إلي الحيلة والتحايل والسخرية، وأنهم نادراً ما يواجهون أصحاب السلطة وأحكامهم وقد لا يعود ذلك- كما يقال أحياناً- إلي غلبة قيم الخنوع واليأس، بقدر ما يعود إلي معطيات موضوعية تتصل بتكلفة الاحتجاج المحتمل، وقياس عوائده، ومن ثم إلي تكلفة المشاركة إن هي خرجت عن الأطر الرسومية لها. يصدق ذلك علي العمل الحزبي والأهلي، بقدر ما قد يصدق- مثلاً- علي السلطات التي يواجهها الشباب في حياتهم اليومية، كحالة الإدارة في مواجهة الاتحادات الطلابية المدرسية.

- وفي مقابل ذلك، فإن السلطة هي الأخرى تخاف "الشارع" إن صح التعبير، وإذا كان هذا التخوف

فمن الواضح في حالة المجتمعات العربية والشباب العربي، أن أسبقية المؤسسات هي الشرط الضروري- وإن لم يكن كافياً- للمشاركة، وأنه لا سبيل لتدعيم قيم المشاركة إلا عبر المشاركة ذاتها ومؤسساتها. وليس عبر التلقين ولا الحشد. وإن اقترن الأمر- بطبيعة الحال- بالعثرات والتجاوزات.

فالمجتمعات العربية وإن قبلت بتعليم النساء لتربية "الأمهات الصالحات" وإن قبل بعضها بعمل المرأة للمشاركة في الأعباء الاقتصادية، فهي قلما تقبل دون تحفظ بمشاركة المرأة في العمل العام، إذ يبدو ذلك غير ذي معنى، لأن المرأة - في نظر البعض - غير مهيأة لهذه الأدوار

يعني- في بعض النظم السياسية- الأخذ في الاعتبار بردود فعل الرأي العام، وتحسب أجهزة الرقابة والمحاسبة، ففي نظم أخرى وفي العديد من المجتمعات العربية، يصبح الخوف من الشارع بمثابة استشعار تهديد دائم ومبالغ فيه، لا يستند إلي الوقائع قدر ما يستند إلي مخاوف غير مبررة لحكومات تستشعر التهديد، وتحاط له بسياج من الاحتياطات الضخمة التي لا تتناسب وحجم الاحتجاج المحتمل، وإن كانت تفلح في إحباط أي نزوع نحو المشاركة لدى الجمهور. وما يدور علي الصعيد السياسي الكلي ينسحب علي سائر الأصعدة المحلية والجزئية من المدرسة إلي المصنع. وفي ظل الخوف المتبادل بين الحكام والمحكومين تظل أكثر أشكال المشاركة اعتيادية، محل نظر وتشكك، ما لم تحظ بمباركة رسمية، تظلها بالحماية وتفرض عليها القيود في آن واحد. وتصدق هنا مقولة إن من يخضع للهيمنة يهيمن بدوره على من هم أقل منه منزلة في التراتبية الاجتماعية.

من القيم التي تحول دون المشاركة في المجتمعات العربية ذلك التوجس إزاء احتمالات الاختلاف والتعامل مع الاختلاف بوصفه مشكلة.. فالمشاركة لا تفترض الإجماع ولا تتطلبه، وإلا أصبحت إذعائاً وطقوساً شكلية، بل هي تفترض الاختلاف والتعدد في وجهات النظر. والأمر أن العديد من المجتمعات- ومن بينها المجتمعات العربية- يميل إلي النظر إلي الاختلاف علي أنه أمر غير مرغوب فيه، بل ومحفوف بالمخاطر، وفي هذا مصادرة علي المطلوب من المشاركة أصلاً، خاصة إذا ما تم النظر إلي الخلاف والاختلاف بوصفهما ظواهر صحية، بل وآليات للتنشئة والتعايش وللتعرف علي الآخر، متى أتاحت أطر المشاركة بغرض إدارة الاختلاف- لا إثارته ولا إذكائه بالضرورة- وليس الاحتفاء بالإجماع.

تسود المجتمعات العربية بعض الرؤى السلبية تجاه المشاركة، والتي قد تدعمت نتيجة لتراكم الخبرات، فهناك من يرى فيها "عملاً لا طائل من ورائه"، أو "مضيعة للوقت". والأمر الأهم أن هذه الرؤى قد تقترن لدى البعض الآخر بما يتصورونه عن المنافع الفردية والامتيازات التي تتخفى وراء الاهتمام

بالصالح العام، سواء كانت مكاسب اقتصادية أو سياسية، يقصد بها الاستثمار في مجال آخر، وإذا كان من الصحيح أن من التجارب والخبرات ما يؤيد صحة هذه الرؤى السلبية، إلا أنها لا تصدق- بطبيعة الحال- علي كافة الحالات. ويبقى التساؤل حول سبل تغيير هذه الصورة، وحول بعض مصادقية أشكال أخرى للمشاركة ظلت بعيدة عن هذه الشكوك وعلامات الاستفهام.

كذلك، فمن المهم أن نتوقف عند القيم المعوقة لمشاركة النصف الآخر من المجتمع، ونعني بذلك المرأة: فالمجتمعات العربية وإن قبلت بتعليم النساء لتربية "الأمهات الصالحات"، وإن قبل بعضها بعمل المرأة للمشاركة في الأعباء الاقتصادية، فهي قلما تقبل دون تحفظ بمشاركة المرأة في العمل العام، إذ يبدو ذلك غير ذي معنى، لأن المرأة- في نظر البعض- غير مهيأة لهذه الأدوار، التي تتناقض وطبيعتها الأنثوية أو وظائفها الطبيعية، ومتى تم تقبل المجتمع ذلك، فهو استثناء لصالح نخبة النساء، أو لصالح أدوار تعد امتداداً طبيعياً للأدوار المتخيلة للمرأة، إذ تبدو أصح لدى البعض للأنشطة الخيرية والإنسانية، أو الاحتفاليات التي تضم نخبة الخاصة الموسرة. أما سائر الأنشطة التي تتبدى من خلالها المشاركة، فقلما يتم قبولها عن طيب خاطر، بما في ذلك لدى النساء أنفسهن. فالأمر قد لا يصل إلي حد المعارضة الصريحة أصلاً، وإلا لتصدت له النساء الساعيات إلي المشاركة، لكن الأمر يمتد من الأساس إلي آليات التنشئة واستبطان المرأة- أحياناً- للأدوار المقررة، بما فيما ذلك تحمل النساء والفتيات لأعباء العالم الخاص الأسري/ المنزلي، إضافة إلي العمل أو الدراسة. وحتى علي هذه الأصعدة فإن العمل المنزلي لا يؤخذ به بوصفه عملاً. وتبقى الإشارة إلي أن استعدادات الشباب من الذكور تجاه الشابات قد لا تختلف كثيراً عن الرؤى السائدة، فهم يقبلون بالشابات كزميلات دراسة أو عمل، ولكن هل يقبلون بهن كشريكات متى تعلق الأمر بالمشاركة في صناعة القرارات؟

كذلك، فإنه من المؤكد أن كل المجتمعات لديها تعدد في المعايير التي تعين ما هو قابل للقول العلني وما يظل ضمنياً أو مستتراً. ومن المؤكد كذلك أن هذه

المعايير ليست ثابتة ولا دائمة، إذ تتعرض للتغير والخرق. وإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه، فإن أحد الشروط المسبقة للمشاركة هو تداول المعرفة وإتاحة المعلومة وشفافية المعطيات، إذ يصعب تصور أي مشاركة للشباب مع غياب المعطيات حول ما يشاركون فيه والغزى من هذه المشاركة، بقدر ما يصعب تصور الجدوى من المشاركة في جدل عام تحيط به المحاذير والخطوط الحمراء. وهنا، فإن ثمة قيم وأساليب فعل تعوق المشاركة من قبيل احتكار المعلومة أو التخوف من تداولها بدعوى حماية من ليسوا أهلاً بها من إساءة الاستخدام. وهنا، فإن بعض الكتابات تشير- عن حق- إلى خطورة "الكذب" على الشباب، بما يؤدي إلى فقدان المصداقية، وصعوبة استقرار علاقة الثقة المتبادلة بين الشباب والكبار.

- وأخيراً، فإذا ما انتقلنا إلى خصوصية العلاقة بين الشباب والكبار، فإن أول ما يطرق على ذهن هو الرؤيا السائدة أو الغالبة حول الشباب، ونعني بذلك- أولاً- سيادة تصور عن الشباب "كمشكلة" ينبغي حلها، مشكلة فيما يمثلونه من مطالب تتعلق بالتعليم والعمل، وما يتطلبه من موارد، ومشكلة فيما يتعلق بممارسة الضبط الاجتماعي علي هذا "الحشد" الذي قد يمثل حضوره في المجال العام مصدر "إزعاج"، ومشكلة كذلك في تفضيلات وأذواق هؤلاء الشباب التي يرى فيها البعض مؤشراً على تدهور الذوق العام، ومشكلة أخيراً فيما يقول به البعض باختلال ميزان القيم والمعايير وتسيّد الفردية والعنف والانحراف الأخلاقي والمسلك الهروبي. فالشباب كأفراد يقعون ضمن مستويات تأطير مختلفة ومتشابهة، متحالفة ومتصارعة أحياناً، تمتد من الدولة إلى الأسرة، مروراً بالمؤسسة التعليمية والوسائط الإعلامية، وطبيعة الحال فمتى تمت صياغة القضية علي هذا النحو، فإن الخطاب السائد علمياً أو سياسياً يدور حول كيفية "حل المشكلة". ويقترن هذا الخطاب- في الكثير من الحالات- بمخاوف المستقبل المجهول، وخطاب تدهور القيم والمعايير والأخلاق. وبالطبع، فإن تجاوز هذا الطرح لا يعني السقوط في برائن الميثولوجيا المناقضة التي تفرق بين الشباب والمستقبل الواعد وكل ما هو متقدم وجديد،

فالشباب جزء من الحاضر، وليسوا مشروعاً مؤجلاً للمستقبل فحسب. وبهذا المعنى، فإن بعض الشباب قد يعيد إنتاج القواعد الاجتماعية السائدة، وقد يجمع بين استعدادات إيجابية نحو التغير- علي صعيد العمل التطوعي مثلاً- وبين توجهات محافظة علي صعيد آخر، كالاختيارات الزوجية. علي أن أجدديات المشاركة تقتضي تسيّد خطاب مختلف حول الشباب كفرصة وجزء من حل، لا كمشكلة.

- وعلي صعيد آخر، نجد أن تثنين "حكمة الشيوخ" قد يقابلها- علي نحو ضمني أو صريح- إقلال من شأن خبرات الشباب. فالقيم السائدة غالباً ما تميل إلى إنكار أن لهذه الفئة العمرية من الخبرات والتجارب ما يستحق الاعتراف به مما لا يعرفه الكبار. إذ تسود رؤية عن الشباب كصفحة بيضاء أو مادة لينة ينبغي إخضاعها للتشكيل، وتكوينات ناقصة ما تزال في طور الاكتمال، أو قوة جامحة ينبغي كبحها. إن نظرة واحدة إلى الحياة اليومية للشباب- علي تنوع وضعياتهم الاجتماعية- تكشف عن ثراء الخبرات المكتسبة عبر التعليم أو العمل والصدقة والإعلام، والتي تؤهل الشباب للمشاركة علي نحو قد لا يعيه الشباب ذاته، لأن الرؤى الأبوية السائدة قد رسخت فكرة الشباب ككائنات ضعيفة وهشة هي بحاجة إلى الحماية، أو كائنات جامحة يلزم إخضاعها للضبط. وبين هذا وذاك تترسخ فكرة أن الشباب مجرد من الخبرات، وأنه لا سبيل لإنضاجه إلا بتلقيه خبرات الكبار.

- ولعل أحد المشتركات بين المجتمعات العربية هو الإعلاء من قيمة "الطاعة"، ويصدق ذلك بشكل خاص فيما يتعلق بالشباب، فالصورة المثالية للشباب أو الشابة هو المتفوق دراسياً، والملتزم أخلاقياً، والصحيح جسدياً، غالباً ما تقترن بها صفات من قبل قلة المجادلة والانصياع لتوجيهات الكبار، والطاعة هنا في تعارض واضح مع قيمة "الحوار"، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن مثل هذا الحوار قد لا يسفر- بالضرورة- عن تسيير وجهات نظر الكبار. وثمة شكل إضافي هو ذلك الاختلاط بين قيمة "الطاعة" والاحترام الواجب بين الشباب والكبار. فالاحترام غالباً ما يجري تصويره علي

ايصعب تصور الجدوى من المشاركة في جدل عام تحيط به المحاذير والخطوط الحمراء. وهنا، فإن ثمة قيم وأساليب فعل تعوق المشاركة من قبيل احتكار المعلومة أو التخوف من تداولها بدعوى حماية من ليسوا أهلاً بها من إساءة الاستخدام.

فإن بعض الشباب قد يعيد إنتاج القواعد الاجتماعية السائدة. وقد يجمع بين استعدادات إيجابية نحو التغير- علي صعيد العمل التطوعي مثلاً- وبين توجهات محافظة علي صعيد آخر، كالاختيارات الزوجية. علي أن أجدديات المشاركة تقتضي تسيّد خطاب مختلف حول الشباب كفرصة وجزء من حل، لا كمشكلة.

نحو أحادي الاتجاه، باعتباره واجباً علي الشباب تجاه الكبار، ونادراً ما يتم تناوله كعلاقة متبادلة تقتضي في جانب احتراماً لعقول الشباب وإرادتهم. علاوة علي ذلك، فإن نظرة إلي تفاعلات المدرسة أو الأسرة تكشف عن قدر من الاختلاط بين الاحترام والطاعة، حيث يعد "الخروج عن الطاعة" لدى بعض الكبار بمثابة خروج عن الاحترام الواجب تجاههم، وانتقاص من العرفان بما يبذلونه من جهود، أو ما يمثلونه من سلطة. وبطبيعة الحال، فإن الطاعة كمحور للعلاقة بين الشباب والكبار تتخذ أشكالاً مختلفة، سواء تعلق الأمر بالأسرة وطابعها الحميم، أو بالمؤسسات كدور العلم. وفي مختلف هذه الأحوال، فإن الإذعان إيتاراً للسلامة، أو المراوغة، أو الصدام، كمخارج محتملة، ليست بدورها من القيم الداعمة للمشاركة.

تميل منظومة القيم السائدة إلي التركيز علي "واجبات" الشباب والتزاماتهم، علي حين يظل مكملها وهو فكرة "حقوق الشباب" مبهماً وغير محدد علي أهميته، الأمر الذي يعيق بلا شك من مشاركة الشباب، التي غالباً ما ينظر إليها كمكمل تجميلي أو إضافة أو منحة من البالغين القائمين علي السلطة. وقلما تتم الإشارة إلي أن المشاركة حق للشباب بقدر ما هي احتياج فعلي يسمح لمؤسسات المجتمع بالقيام بوظائفها علي نحو أفضل، أي أكثر كفاءة وعدالة. وإذا كانت المواثيق الدولية والداستير الوطنية والتشريعات الاجتماعية والقوانين المتعلقة بمباشرة الحقوق السياسية- علي تنوعها- قد تكفلت بسن وتعريف هذه الحقوق، فإن ثمة أبعاداً غير قابلة للتقنين يعد غيابها من معوقات المشاركة الشبابية. ففي منطقة التقاطع بين الدولة والأسرة والسلطات الاجتماعية بالمعنى الواسع، يمكن التساؤل- مثلاً- عن ممارسة الشباب "للحق في الاختيار". والاختيار هنا يتصل بتوسيع طائفة الاختيارات المتاحة موضوعياً، حسب منظور التنمية البشرية، لكن ثمة معنى أكثر مباشرة وآنية، وإن لم يكن أقل تعقيداً، يتصل بما يتاح للشباب من فرص لممارسة الاختيار الواعي، سواء فيما يتعلق بمصائرهم، كاختيارات الدراسة والعمل والزواج، أو فيما يتعلق بتسيير حياتهم اليومية، كالاختيارات المتعلقة بأوقات التسرية

ولا يبدو أن ثمة سبيلاً آخر لتجاوز معضلة الخوف المتبادل بين الحكام والمحكومين، أو لإعلاء وتثمين قيمة التعدد في الرأي واحترام المخالفين واحترام ما تتفق حوله الأغلبية من رأي. ولا يعني القول بالمواطنة التوصل إلي التوافق الكامل. بل هي علاقة صراعية قوامها حقوق والتزامات، لكنها علاقة منضبطة. ولذا فإن ما يكملها ويخفف من طابعها الصراعي هو التسامح، وهو قيمة لصيقة الصلة بالمشاركة.

وشلة الأصدقاء وتوزيع الوقت والاهتمام بين المجال العام وعلوم الأسرة أو الأذواق فيما يتعلق بالزني مثلاً أو بالسلع الثقافية. ويصعب أن نتصور أن يقدم الشباب علي المشاركة، في ظل غياب حقهم في تكوين عالمهم الخاص المنسوج بما يتاح لهم من اختيارات. ومن الطبيعي أن يكون ذلك إحدى مناطق العلاقة الصراعية بين الشباب وسلطة الكبار، وأن ينتهي الأمر إلي نوع من التوافق أو إلي المقاومة بالحيلة والمراوغة، بحيث ينال بعض الشباب هامشاً متفاوت الأهمية لممارسة حقهم في العالم الخاص. وإذا كان التمكن من هذا العالم هو شرط الانخراط في المشاركة، فإن المشاركة تكون- في حالات أخرى- هي السبيل نحو تكوين ذلك العالم الخاص عبر المجال العام، وأداة لتعزيد الشباب، في مجتمعات كثيراً ما تذكر الشباب بواجباتهم، وقد تعترف لهم ببعض الحقوق، ولكنها قلما ترضي بالاعتراض إلي مدها.

القيم الثقافية الإيجابية وآليات تفعيلها

من المسلم به أن القيم الداعمة لثقافة المشاركة لدى الشباب هي في جانب منها نقيض للقيم السائدة، وإن كان من الممكن الإشارة إلي ما تنبني عليه الصلات الاجتماعية في المجتمعات العربية من أبعاد إيجابية يجدر الالتفات إليها.

ولعل تأكيد قيم المواطنة هو الكفيل بحفز الشباب نحو المشاركة، فبالمواطنة وحدها يتحقق التوازن في العلاقة بين الحكام والمحكومين، وليس المقصود بذلك قيمة في المطلق، كما أن الأمر لا يقتصر علي التشريعات وإنما علي نسق من الحقوق والواجبات التي تتجلى- علي وجه الخصوص- في علاقة المواطنين بأجهزة الدولة، ولعل فعل الشباب هو الأقدر علي ترسيخ وتأكيذ هذه القيمة من خلال الممارسة وإن علي المستويات الجزئية والمحلية، ومن خلال إدارتهم لما يقومون به من مبادرات، ومن الطبيعي أن يصطدم هذا المسعى بالآليات السياسية الراسخة أو بتقل أجهزة الدولة البيروقراطية. ولا يبدو أن ثمة سبيلاً آخر لتجاوز معضلة الخوف المتبادل بين الحكام والمحكومين، أو لإعلاء وتثمين قيمة التعدد في الرأي واحترام المخالفين واحترام ما تتفق حوله الأغلبية من رأي. ولا يعني القول

بالمواطنة التوصل إلى التوافق الكامل، بل هي علاقة صراعية قوامها حقوق والتزامات، لكنها علاقة منضبطة، ولذا فإن ما يكملها ويخفف من طابعها الصراعي هو التسامح، وهو قيمة لصيقة الصلة بالمشاركة، طالما أن رهانها هو القدرة علي التعايش مع من نختلف عنهم، وحل ما يطرأ من صراعات وتناقضات علي نحو سلمي.

- وربما كان من المهم الأخذ في الاعتبار بالقيم الدينية والأخلاقية ذات الحضور القوي في المجتمعات العربية، والتي تحث علي التضامن والتكافل، وترسي مبدأ المسؤولية الاجتماعية والصالح العام. وفي المقابل، يبقى التأكيد ضرورياً علي قيمة الحرية والتي تتوقف عند حد المساس بحرية الآخرين. وعلي الاحترام المتبادل بين الشباب والكبار، واستثمار ما ينطوي عليه التضامن الأسري من قيم إيجابية، بحيث لا يقتصر علي ممارسة السلطة الأبوية والخضوع لها أو الاصطدام بها. فالورث ينطوي علي بعض الأبعاد الإيجابية، كما يعبر عنها المثل القائل "إن كبر ابنك خاويه".

- تعكس المواثيق الدولية اتفاقاً حول ضرورة تفعيل مشاركة الشباب بغرض تمكينهم، وتأكيداً علي منطلق الحقوق الإنسانية وتوسيع فرص الاختيار، علي أن تبني هذه المنطلقات وتحويلها إلي برامج فاعلة علي صعيد الوطن العربي، يقتضي الأخذ في الاعتبار بطائفة من الاعتبارات التي تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمعات العربية ككل، وبوضعيات الشباب العربي علي وجه التحديد.

- وتأتي علي رأس هذه الاعتبارات حقيقة التفاوت في توزيع الفرص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. إذ لا يشكل الشباب كتلة متجانسة. وعلي سبيل المثال، فإن دراسات التنمية البشرية في البلدان العربية- علي تنوعها- تشير إلي حقيقة التفاوت القائم علي أساس الإقليم. ففي مقابل الرخاء النسبي للعواصم والحواضر والانحيازات الحضرية أو الجهوية التي حكمت السياسات التنموية، كثيراً ما يكون الانتماء إلي الأقاليم والمناطق الأقل حظاً في ذاته معوقاً أمام تعدد

الخيارات، حتى مع تساوي الموارد الاقتصادية. ويشار هنا- علي وجه الخصوص- إلي توافر الحد الأدنى من البيئة الأساسية والخدمات من تعليم وصحة ووسائل تسرية، وهي تعد من أدوات تفعيل الحقوق الإنسانية والاجتماعية والوصول بها إلي مستحقيها. يضاف إلي ذلك، أنه في إطار الشريحة العمرية الواحدة، تتنوع أوضاع الشباب وتتوزع علي نحو غير متكافئ، فهناك- أولاً- من هم منخرطون في سلك التعليم في مختلف مستوياته (مدرسي، متوسط، عال) وفق ما يقتضي التصور الرسمي عن مراحل الحياة، مع مراعاة أن من بين هؤلاء تفاوتاً حسبما يثمن المجتمع مختلف المسارات التعليمية (تعليم عام مجاني في مواجهة تعليم خاص بمصروفات، تعليم جامعي في مواجهة تعليم فني)، علي أن شباباً آخرين قد لا يقطعون الشوط التعليمي (إن هم دخلوه أصلاً) إذ يقذف بهم مبكراً إلي سوق العمل، علي حين أن فئة ثالثة في طور البحث عن عمل، تلك المرحلة التي قد تستطيل بالنظر إلي ازدياد البطالة. ولعله من المهم أن نشير -أخيراً- إلي ذلك التفاوت القائم علي أساس النوع، والمتمثل في حصول الشابات علي فرص أقل من حيث التعليم والعمل والخروج إلي المجال العام. ويتصل ذلك باستعدادات المجتمع بشكل عام قدر ما يتصل برقابة الأسرة التي قد تبدي قدراً أعلى من التحفظ إزاء حضور الشابات في المجال العام، وخروجهن عن عالم الأسرة والمنزل، وانخراطهن فيما قد يبدو "غير ضروري" من الأنشطة (بخلاف التعليم والعمل).

- وحسبنا أن نشير إلي أوجه التفاوت الثلاثة هذه لنطرح التساؤل حول تفعيل مشاركة الشباب: فهل تكفي المؤسسات المعنية بإيجاد آليات وفتوات المشاركة وفتحها أمام الجميع، أم تعمد إلي استهداف قطاعات معينة من الشباب؟ ذلك هو ما تسميه بعض الكتابات بـ "التمييز الإيجابي"، وهو يعد مفهوماً خلافاً متار جدل واسع، يقصد به استهداف الفئات الأقل حظاً من الموارد، وتعويضها علي نحو ما، وفي مجالات محددة، بما يسمح لها بتحسين جزئي لمواقعها، دونما إخلال بهيكل توزيع الموارد القائم في المجتمع. إن مشاركة الشباب غالباً ما تقتصر علي تلك المجموعات التي يتوافر

إذ لا يشكل الشباب كتلة متجانسة. وعلي سبيل المثال، فإن دراسات التنمية البشرية في البلدان العربية- علي تنوعها- تشير إلي حقيقة التفاوت القائم علي أساس الإقليم. ففي مقابل الرخاء النسبي للعواصم والحواضر والانحيازات الحضرية أو الجهوية التي حكمت السياسات التنموية، كثيراً ما يكون الانتماء إلي الأقاليم والمناطق الأقل حظاً في ذاته معوقاً أمام تعدد الخيارات. حتى مع تساوي الموارد الاقتصادية.

إذ يبدو- أحياناً- أن البرامج والمواثيق الدولية- وإن حسنت نواياها- تتوجه إلي أفراد شباب يتمتعون بقدر لا بأس من الاستقلالية التي تتيح لهم التفكير في شأن المشاركة والانخراط فيها علي نحو واع قائم علي الاختيار الحر. فهل تنطبق هذه المقومات علي الشباب العربي. وعلي الضائر بين سلطة الدولة والمؤسسة التعليمية والأسرة التي يخضع لها الشباب؟

ن المدرسة والأسرة من المؤسسات التي يتعين استهدافها بشكل خاص. إذا ما تعلق الأمر برفع العقبات التي تحول دون مشاركة الشباب. وأن مخاطبة الشباب وحدها ليست كافية. خاصة مع ما تمثله مشاركة الشباب- أحياناً- من تهديد محتمل لآلية عمل هذه المؤسسات. من وجهة نظر القائمين عليها.

لها قدر من الموارد الاجتماعية والقدرة البلاغية وفائض الوقت، والتي غالباً ما تنتج بالفعل "واجهه مشرفة" تستقطب خيرة الشباب، لكنها قد ترك في الظل من هم في أشد الحاجة إلي التمكين. أما "التمييز الإيجابي" لصالح الفتيات، فيتعين له أن يزاوج بين اعتبارات متعارضة، فهناك من جانب أول- مقتضيات تتصل بالقبول الاجتماعي وما تراه الأسرة واجباً من ضمانات "المشاركة الآمنة" إن صح التعبير، وهناك من جانب آخر- ذلك الاعتبار الذي يرى في المشاركة سبيلاً لتطوير الخبرة والقدرة، ومن ثم إكساب الشبان والشابات خبرة الاختلاط ومعرفة الآخر، خاصة مع الاتجاه الضمني أو الصريح والمؤسسي أحياناً إلي الفصل بين دوائر الشبان والشابات. والسؤال حول التمييز الإيجابي يدور هنا حول أشكال المشاركة التي تكفل للشبان والشابات حالياً وليس مستقبلاً نوعية حياة أفضل، أو علي الأقل شروط حياة أقل قسوة، ومدى مشاركتهم، ليس فقط في الاستفادة مما تعود به هذه الأشكال من عوائد، وإنما أيضاً في صياغة و تسيير البرامج.

- وينقلنا ذلك إلي نقطة ثانية تتعلق- أيضاً- بترجمة المبادئ العامة وفق مقتضيات الواقع، ونقصد بذلك مقولة استقلالية الشباب. إذ يبدو- أحياناً- أن البرامج والمواثيق الدولية- وإن حسنت نواياها- تتوجه إلي أفراد شباب يتمتعون بقدر لا بأس من الاستقلالية التي تتيح لهم التفكير في شأن المشاركة والانخراط فيها علي نحو واع قائم علي الاختيار الحر. فهل تنطبق هذه المقومات علي الشباب العربي، وعلي الضائر بين سلطة الدولة والمؤسسة التعليمية والأسرة التي يخضع لها الشباب؟

- إن مشاركة الشباب بغرض تمكينهم ينبغي تفعيلها أخذاً في الاعتبار ظروف واستعدادات شبان وشابات غالباً ما يعيشون في كنف أسرهم حتى الزواج، وترتبط بينهم وبين أسرهم علاقات وطيدة، قوامها- في أغلب الأمر- موافقة ضمنية علي أنشطتهم اليومية، ومن ثم فإن "الموافقة الاجتماعية" والأسرية- ضمناً- تعد بمثابة واحد من شروط مشاركة الشباب: فلأسرة- مثلاً- دور

رئيسي في حفز أو علي الأقل عدم عرقلة سعي الشباب نحو المشاركة. ويصدق ذات الأمر علي سلطات المؤسسة التعليمية التي يقضي فيها الشباب معظم يومهم. ومن الصحيح أن الدور الانضباطي بحكم التعريف للمدرسة ودور السلطة التربوية قد لا يتيح إلا هامشاً محدوداً للمشاركة، وإن كان من الممكن أن يكون بمثابة المختبر. ولا يقتصر ذلك علي مضمون المناهج الدراسية، وإنما يمتد إلي كيفية ممارسة السلطة التربوية والإدارة المدرسية، وإشراك الطلاب في مقترحات التطوير، عبر مجالس الفصول والاتحادات الطلابية. وإذا كان الدور المنوط بدور العلم يجعل منها الموقع الطبيعي لمناقشة قضايا التعليم ومراجعة المؤسسة نفسها، فهي قد تنفتح- أيضاً- علي سائر القضايا التي يعني بها الشباب، مثل الصحة، والزواج، والمستقبل المهني. وعلاوة علي ذلك، فدور العلم، شأنها شأن مؤسسات أخرى كالجمعيات الأهلية، ودور العبادة، قد تقوم بدور مركز الإشعاع تجاه المجتمع المحلي. وهكذا يبدو أن المدرسة والأسرة من المؤسسات التي يتعين استهدافها بشكل خاص، إذا ما تعلق الأمر برفع العقبات التي تحول دون مشاركة الشباب، وأن مخاطبة الشباب وحدها ليست كافية، خاصة مع ما تمثله مشاركة الشباب- أحياناً- من تهديد محتمل لآلية عمل هذه المؤسسات، من وجهة نظر القائمين عليها.

- كذلك فمن الوارد الالتفات إلي موقع الشباب داخل المؤسسات. إذ تفقد المشاركة دلالاتها إذا ما تحول الشباب إلي أدوات منفذة لأنشطة أو برامج لم يشاركوا في وضعها، أو إلي جمهور مساند للقيادات. ومن هنا تأتي أهمية التأكيد علي موقع الشباب داخل المؤسسات أهلية كانت أم حكومية، وفعالية هذا الموقع وتأثيره، بحيث لا يقتصر علي حضور تمثيلي واحتفالي. فإلي أي حد يتواجد الشباب حين يتعلق الأمر برسم- وليس فقط تنفيذ- خطط وبرامج المنظمات الأهلية التي ينتمون إليها؟ وإلي أحد تضطلع الاتحادات الطلابية والشبابية بدور في مفاوضة المسؤولين الرسميين حول الشؤون الطلابية والدراسية؟ وهل يشارك الشباب الذي خرج إلي سوق العمل مبكراً- بما له من خبرات

مكتسبة- في تصميم برامج المساندة التي تستهدف هذه الفئات؟ إن تفعيل مشاركة الشباب بغرض تمكينه لن يتأتى إلا بمحاولة الإجابة علي هذه التساؤلات بما تعنيه من مراجعة نقدية لتجارب الحالية وسابقة.

- سبق وأن اخترت بعض المجتمعات العربية خيرة حشد وتجييش الشباب بغرض مساندة النظم السياسية، وإذا كانت هذه التجارب قد لاقت مقادير متفاوتة من النجاح، فقد توافقت- في غالب الأمر- مع نجاحات وإخفاقات الأنظمة السياسية، فقد نجح بعضها في إعداد وإفراز الكوادر التي قامت، بل وهيمنت- أحياناً- علي العمل السياسي والعمل العام بشكل أوسع، علي أن ذلك قد اقترن بثمن فادح، وهو شرط موالاته النظم السياسية، وتحول الأمر من إشراك الشباب كجزء من المجتمع في رسم سياساته، إلي أن تصبح هذه المنظمات ذراعاً لأجهزة الدولة لإحكام الضبط السياسي للمجتمع ولواقع التواجد الشبابي. وإذا كان من الواضح أن هذه الفترة من الحياة السياسية للمجتمعات العربية قد انتهت، وإن لم يخل الأمر- أحياناً- من حنين إلي هذه الصيغ السلطوية، فإن الخطاب الجديد ليس في حد ذاته ضماناً لمشاركة شبابية ترقى إلي صنع القرار.

- وأخيراً، فإن خطاب المشاركة كثيراً ما يركز علي مصطلحات الواجب والالتزام، وهذا أمر صحيح؛ ولكنه نادراً ما يلمح إلي المشاركة كاحتياج للشباب، ومصدر لإشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية، وتكوين الشخصية، واكتساب الخبرة، وهي تعد أبعاداً يمكن التأكيد عليها وصياغتها في لغة غير خطابية، قريبة من أذواق الشباب. ومن المفارقة أن وسائل الاتصال ذات المضامين التي يراها الكبار مجردة من المحتوى وخاوية المضمون تنجح، حيث تخفق- أحياناً- الرسائل الهادفة. ولعل مشاركة الشباب تبدأ باستثمار القضايا والموضوعات التي تعد مهمة من وجهة نظرهم،

وليس بفرض أجندة الأولويات من أعلى. ويبقى أخيراً استثمار القيم الإيجابية التي يحملها الشباب ذاته، وعلي رأسها الإعلاء من قيمة الصداقة، والتي تشغل جانباً كبيراً من حياة الشباب، فالصداقات هي شبكات قائمة بالفعل، ويمكن- بما تنطوي عليه من أبعاد الثقة والحميمية- أن تكون أرضية صالحة لحفز المشاركة بين الشباب .

- إن الحياة اليومية للشباب هي تقاطع بين عدة دوائر تشمل الأسرة ودور العلم والمجتمع المحلي والدولة والإعلام بما يحمله من رسائل عن الوطن وعن العالم. والحفز نحو المشاركة يتوجه للشباب بقدر ما يتوجه لمجمل هذه الدوائر. لعله من المهم- في النهاية- الإشارة إلى أن المطلوب ليس هو إصلاح ثقافة الشباب، بقدر ما هو إدماج المشاركة ضمن هذه الثقافة عبر المؤسسات واللغة، و أن تتجه الاهتمامات حيث تتمحور قضايا الشباب ومشكلاته، وأيضاً باتجاه ما يسعد به ويثير اهتمامه. قد يشارك بعض الشباب- مثلاً- في عمل الجمعيات الأهلية ذات الأهداف التنموية، لكن غالبية الشباب كذلك هم أول من يعاني من مطالب النظام التعليمي، ومن الأولي إشراكهم في المراجعة النقدية للتعليم والتعليم العالي، لما يحققه ذلك من عائد مجتمعي وعائد مباشر علي نوعية حياة الشبان والشابات، حتى وإن جري ذلك علي المستوى الجزئي، بل ومستوي الفصل الدراسي. والشباب- حسب ما تؤكد الدراسات- يتخوفون من صعوبة إيجاد عمل ومواجهة البطالة، أو هم يخوضون التجربة بالفعل، ومن الصعب أن نتصورهم مشاركين نشطاء بعيداً عن طرح هذه القضية. وفي المقابل، فإن الشباب- أيضاً- قد يهونون مشاهدة أو ممارسة كرة القدم، وهم متابعون جيدون للإعلام، وبعضهم مستخدم نهم لأدوات الاتصال الحديثة، وما بين هموم الشباب في الحاضر والمستقبل وبين تفضيلاتهم تكمن على ما يبدو سبل تفعيل مشاركتهم.

ولعل مشاركة الشباب تبدأ باستثمار القضايا والموضوعات التي تعد مهمة من وجهة نظرهم، وليس بفرض أجندة الأولويات من أعلى

مشاركة الشباب: المقاربة والمحددات ومنهجية التقرير

مقدمة:

المشاركة - أيا كانت مجالاتها أو الفئات والشرائح المستهدفة منها- هي- أولاً- عملية مجتمعية Social Process، وهي - ثانياً- فعل إنساني Human Action، وهما معاً حصاد لتفاعل محددات البنية الاجتماعية في المجتمع المحدد في مرحلة تاريخية محددة تنتج خصائص الناس وأوضاعهم الاجتماعية الاقتصادية، ووعيهم بها، ومواقفهم منها. كما ينتجان- أيضاً- عن حصاد تفاعلات الحقوق المجتمعية (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمدنية)، وويتأثران بالسياق العالمي المحيط ببنية أي مجتمع من المجتمعات.

ولم تعد المشاركة- كما كان الحال في المجتمعات الأولية، القبلية والريفية- محدودة في مجالاتها ومستوياتها لمحدودية الحياة اليومية للناس وعلاقاتهم وتواصلاتهم، وإن كانت ذات طابع تلقائي غير رسمي غالباً. لقد اتسعت مجالاتها، وتعددت وتنوعت أساليبها وآلياتها وأدواتها، فأضحت تشمل على التعبير عن الرأي والاستماع للآخرين، والإضراب والتظاهر والمشاركة في الحركات الاجتماعية والسياسية، وفي منظمات المجتمع المدني وفي الحكم المحلي وفي التصويت والاقتراع والترشح للمجالس التشريعية (المركزية والمحلية).

لقد ترتب على هذا وصاحبه أن تنوعت مقاربات المشاركة، بما في ذلك مفاهيمها وتعريفاتها، وأضحى كل تعريف لها محددًا بالفلسفات والقضايا الأساسية النظرية والتنموية التي تتعامل مع الشباب. ورغم تنوع تلك الفلسفات والمقاربات، فثمة أبعاد عامة مشتركة فيما بينها، ولهذا سنحاول في الصفحات التالية أن نطل على مقاربات المشاركة وأهم مفاهيمها، لتحديد المقاربة التي يتبناها التقرير

الراهن، سواء حول مفهوم المشاركة، أو محدداتها، ومجالاتها، وأمناتها، ومستوياتها، وآلياتها.

أولاً: مقاربات مشاركة الشباب¹

يمكن التمييز داخل المقاربات المعنية بمشاركة الشباب بين اثنتين أساسيتين، تتفرع كل منهما إلى مقاربات فرعية. هاتان المقاربتان هما: المقاربة المحافظة Conservative الأبوية، والثانية النقدية الراديكالية Radical:

1- المقاربة المحافظة الأبوية Patriarchal & Conservative

تنظر هذه المقاربة الأبوية المحافظة إلى الشباب كموضوع للمشاركة من منظور الآخر، وهو آخر غالباً من الكبار حسب مواقعهم في الأسرة وفي مؤسسات التعليم والعمل والإعلام والمؤسسات الدينية والثقافية الرسمية، وفي منظمات المجتمع المدني، خاصة الجمعيات غير الحكومية وشبه الحكومية والأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية الأخرى المعنية بالشباب. وتكاد تتمحور هذه المقاربة حول ما يلي:

أ- من حيث الرؤية، ترى الشباب

- شريحة معرضة للمخاطر، أو ضحية للظروف الذاتية والموضوعية، ومن ثم تحتاج للمساعدة والحماية.

- وأنها تصنع المشكلات لنفسها ولمجتمعا.

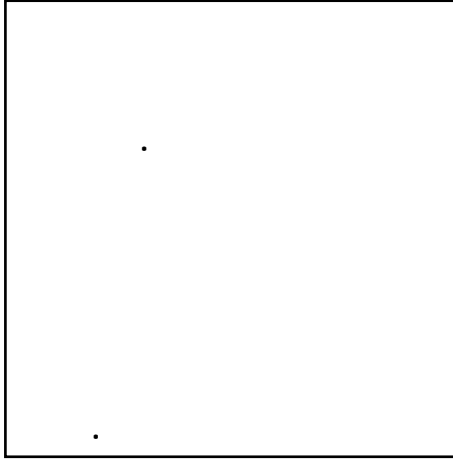
- وأنه ليس لديها المعلومات والقدرات للتعبير عما تريد، ومن ثم فإن الكبار- مسئولين في المواقع المختلفة كما سبقت الإشارة- يعرفون أكثر مما يحتاجه الشباب وما يقدررون على ممارسته

ولم تعد المشاركة- كما كان الحال في المجتمعات الأولية، القبلية والريفية- محدودة في مجالاتها ومستوياتها لمحدودية الحياة اليومية للناس وعلاقاتهم وتواصلاتهم. وإن كانت ذات طابع تلقائي غير رسمي غالباً. لقد اتسعت مجالاتها، وتعددت وتنوعت أساليبها وآلياتها وأدواتها، فأضحت تشمل على التعبير عن الرأي والاستماع للآخرين، والإضراب والتظاهر والمشاركة في الحركات الاجتماعية والسياسية.

* أعد هذا الفصل الدكتور عبد الباسط عبد المعطي، مستشار إدارة السياسات السكانية والهجرة، Email: abdelbasset@hotmail.com

إعلام الشباب بحدود تأثير آرائهم ومقترحاتهم في القرارات ذات الصلة بالمشروع أو النشاط ونتائجه.

لقد ترتب على هذه المقاربة- وفي ضوء تأويل لمجالاتها ودرجات سلمها- صعوبة أن نجد مفهوماً Concept متكامل أو حتى شبه متكامل للمشاركة. فكل ما هنالك تعريفات اشتراطية Conditional جزئية أو موقفية، قاصرة فقط على الموقف المحدد لمشاركة الشباب. ولهذا عرف كل المشاركة وفق أهدافه البرجماتية منها، فبعضهم حصرها في الاستماع للشباب دون فعل إيجابي لهذا الاستماع. وبعض ثان حبسها في مجرد وجود الشباب وظهوره على مسرح عمليات المشروعات والبرامج، وبعض ثالث تجاوز الاستماع لآراء الشباب ومقترحاته إلي توظيفها جزئياً لتطوير بعض المشروعات والبرامج، وذهب بعض آخر إلي جعلها قاصرة فقط على صيغ غير رسمية Informal في الأسرة والجمعيات الأهلية واللقاءات المؤقتة



2- المقاربة النقدية الكلية

هي مقاربة كلية لأنها تعني بتصورات المشاركة ومستوياتها وأنماطها وآلياتها على نحو حصري، تربطها بمحددات البنية الاجتماعية بأبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، التاريخية والمعاصرة، وتراها عملية مجتمعية دينامية متجددة متواصلة قابلة لإعادة الإنتاج الموسع لتشمل كل القوى والفئات والشرائح الاجتماعية. وهي تنطلق من رؤية مغايرة للمشارك،

وفعله والإتيان به من أفعال وتصرفات، وعلى الشباب أن يتمثل ما يقدمه الكبار، ويمثل له، ويتكيف مع فرص المشاركة التي يتيحها الكبار.

ب- ومن حيث مجالات المشاركة، فهي غالباً ما تنحسر في قضاء الوقت الحر، وممارسة الهوايات أو الاستدعاء لتنفيذ بعض المهام المحددة الموقوتة، والتي لا تتجاوز- إلا استثناء- الاستماع للشباب، وبصرف النظر عن الاستجابة إلى آرائه واحتياجاته. ويمكن أن ترى تجسيدا لأنماط ومجالات هذا الفهم للمشاركة في الدرجات الخمس الأولى من سلم المشاركة Ladder of Participation التي وضعها ر. هارت R. Hart عام 1992، والتي تحددت على النحو التالي:

- استغلال الشباب Manipulation ، وفيه يستدعي الشباب- أحياناً- لإنجاز نشاط أو جزء محدد من مشروع ما، ويكون هدف استدعائهم له تحقيق أهداف أخرى غير المشاركة، مثل تجميل صورة المؤسسة أو المشروع، لأغراض انتخابية، أو سعياً لتمويل مالي، أو زيادة دعم المؤسسات المانحة.

- استدعاء الشباب كديكور Decoration، وبدون معنى أو دلالة، باستثناء مجرد الحضور؛ وذلك لإبهار من يتعاملون مع المنظمة أو المشروع أو النشاط المحدد.

- إيهام الآخرين بمشاركة الشباب، وفيه تعطى للشباب أدوار في النشاط أو المشروع، ولكن بدون أدنى تأثير على القرارات. إنها عملية خلق مظهر أو انطباع زائف False Appearance بأن الشباب يشاركون، دون أن يتاح لهم أي اختيار لما يشاركون فيه وكيف يشاركون.

- إعلام الشباب بمشاركة محددة، حيث يبادر الكبار بفكرة المشروع أو النشاط والتخطيط له وإدارته وتنفيذه، ويستدعي الشباب لإنجاز مهام جزئية محددة، مع إعلامهم بحدود مشاركتهم وتأثيرهم.

- استشارة الشباب وإعلامهم بمشاركتهم. وفي هذا المستوى يتم التفكير والتخطيط والتنفيذ والإدارة والمتابعة من قبل الكبار، ويطلب من الشباب تقديم المشورة بالرأي والمقترحات، ويتم

من حيث مجالات المشاركة، فهي غالباً ما تنحسر في قضاء الوقت الحر، وممارسة الهوايات أو الاستدعاء لتنفيذ بعض المهام المحددة الموقوتة، والتي لا تتجاوز- إلا استثناء- الاستماع للشباب، وبصرف النظر عن الاستجابة إلى آرائه واحتياجاته

طفلاً وشاباً ومسنناً، ذكراً وأنثى، فقيراً ومستوراً وغنياً، بدوياً وريفياً وحضرياً، ولأن التقرير الراهن ينطلق من تلك المقاربة، فقد لزم أن نعتنى بمزيد من التفصيل فيها وفق العناصر التالية.

أ- ترى المقاربة الشباب رؤية مغايرة²

- فهو فاعل تنموي مبدع خلاق، لديه من القدرات والمهارات المتطورة على نحو تصاعدي، إذا أتاحت له فرص تطويرها، وحين لا توجد حواجز ومعوقات بنائية أو مقصودة من القوى الاجتماعية والسياسية المهيمنة على مفاتيح الثروة والسلطة بالبنية الاجتماعية.

- ترى أن ما يعانيه الشباب من مشكلات ومخاطر وتحديات هو نتاج لسياسات تاريخية ومعاصرة، يعاني منها الشباب كما تعاني فئات وقوى اجتماعية أخرى، رغم أن معاناة الشباب تكون أكثر جسامة وأكثر تجسيدا بفعل المرحلة التي يعيشها الشباب، لتراكم حاجاته: تعليم، وعمل، وزواج، ومشاركة، وتواصل مع الآخر.. إلخ، وتأجج طموحاته وتطلعاته، وبالتالي بدلاً من أن ترى المقاربة الشباب صناعاً للمشكلات، تراه شريكاً أصيلاً في مواجهة مشكلاته ومواجهة تحدياته وتحديات مجتمعه. ففي إبداعاته يكمن بعد أصيل من أبعاد مواجهة المشكلات البنوية في المجتمع.

- وأن الشباب مفصلة في غاية الأهمية، بين حاضر أي مجتمع ومستقبله، ومن ثم فإن أي استثمار فيه هو استثمار متجدد العوائد والقيم المضافة للفعل التنموي المجتمعي، لعدة عقود تالية من الزمان.

- وتتمحور المقاربة حول أهمية دعم وصيانة الحقوق الشبابية: السياسية، والمدنية، والاجتماعية، والسياسية؛ لإدراك عميق بأن التعامل مع هذه الحقوق يطور الوعي بالشباب، ويفرض الالتزام المجتمعي للوفاء بها، وأنه شريك فاعل، في التفكير والتخطيط والتنفيذ لكل ما يتعلق بحقوقه.

ب- تفهم المقاربة المشاركة عامة ومشاركة الشباب تحديداً:

- بأنها حق أصيل من حقوق الشباب، وركيزة هامة لتمكينه، وضرورة لتواصل التنمية، وآلية

أساسية للتنافسية من أجل تطوير أهداف التنمية وتقويمها وبلورة تجاربها وممارساتها وآلياتها.

- إن المشاركة عملية مجتمعية، من المهم أن تتكامل سياساتها أفقياً ورأسياً، مركزياً وعلى المستويات المحلية.

- وأنه رغم التأثير المباشر وغير المباشر لعمليات المشاركة ومجالاتها ومستوياتها وآلياتها بكافة حقول البنية الاجتماعية، تكاد تكون بمفهومها الأوسع الذي يتجاوز المشاركة السياسية، متقاطعة ومتداخلة مع هذه الحقول ومستوياتها وقواها وجماعاتها. ورغم هذا، للمشاركة ما يميزها عن مختلف الحقول بما في ذلك حقل السياسة، ثقافة، ووعياً وفعلاً. فهي فعل إنساني حافل بالحساسية، ويحفل بالصراع، تغلفه طموحات ومخاوف بعض القوى والجماعات والأفراد خشية تهديد مصالحها؛ ولهذا تسهم وجوداً ونوعياً وغياباً في تحديد جانب من أهم خصائص النظام السياسي؛ لأنها في البلدان الديمقراطية تركز على حقوق الإنسان والمواطنة، وهي رافعة لتداول السلطة، ومن ثم تتيح تغيير الأيديولوجيات وفقاً للحكومة التي يتم انتخابها (يمين وسط ويسار وما بين بينهما). كما تؤثر أيضاً في الفلسفة التنموية للدولة المحددة خلال فترة حيازة هذه الحكومة أو تلك لسلطة الدولة، وتغيير توجهات بعض علاقاتها- على الأقل- الداخلية والخارجية، من خلال تحديد مع أي القوى تتحالف، ولأي من المصالح تسعى.

تكون المشاركة في المجتمعات الديمقراطية آلية لتداول السلطة، والتنافسية من أجل كسب ثقة المواطن بالسعي لتحقيق طموحاته، ولهذا أصبح دوره- سواء كان شاباً أو كبيراً- جوهرياً أمام صناديق الانتخابات.

وبهذا تكون المشاركة وقوداً لإيجابية السلطة وتطويرها، على عكس الحال في المجتمعات الأبوية الفردية، التي تكون المشاركة فيها تابعة لسلطة الدولة وتوجهات وأيديولوجيات مضمونها الطبقي،

وأن الشباب مفصلة في غاية الأهمية. بين حاضر أي مجتمع ومستقبله. ومن ثم فإن أي استثمار فيه هو استثمار متجدد العوائد والقيم المضافة للفعل التنموي المجتمعي، لعدة عقود تالية من الزمان.

وتتكى غالباً على تشريعات مقيدة للديمقراطية، وتلجأ إلى البيروقراطية لحماية مصالحها.

ت- مفهوم المشاركة: من المعنى الجزئي إلى المفهوم الأشمل

يتجاوز مفهوم المشاركة في هذه المقاربة الاستدعاء أو التزين أو تجميل الأفعال والإبهار أو الغايات النفعية الرجمازية التي لاتخلو من ميكيافيلية عند استدعائها الشباب، إلى اعتبار المشاركة حقاً أصيلاً من حقوق الشباب، من المهم توفير شروط البيئة الداعمة له، ودعم وتطوير قدرات الشباب لممارسته لها. ولهذا تشتمل المشاركة على كل القومات والخطوات التي تصل بالمشاركة- كما تراها المقاربة- لحيازة نصيب من السلطة وللتأثير في اتخاذ القرارات ذات الصلة بتحسين أوضاع الشباب حاضراً ومستقبلاً، والمساهمة الفاعلة في تنفيذها ومتابعتها وتقييمها، وتصحيحها كلما لزم الأمر.

وفي ضوء هذا المفهوم Concept ، وإن بدا عاماً، تبنى التقرير الراهن تعريفاً محدداً للمشاركة، يرى المشاركة والمواطنة الفاعلة وجهين لعملية أساسية واحدة هي دعم حق الشاب فيها، وتوفير الأساليب والفرص المتنوعة والمتعددة والمستدامة ليكون فاعلاً على مستوى الحياة اليومية، ومؤثراً في القرارات والسياسات ذات الصلة المباشرة بحاجاته وطموحاته ومتطلبات تنمية مجتمعه. ويعنى هذا التواجد الفاعل في النشاطات والبرامج التي من شأنها تمكين الشباب، وتطوير ركائز مواجهة تحدياته، وتحقيق مستقبله الذي يرغبه.

وتكاد تلتقي المقاربة النقدية على مستوى الفعل الواقعي بدرجات سلم المشاركة التي صاغها "هارت"، والتي سبقت الإشارة إليها، بدءاً بالدرجة السادسة وحتى الثامنة:

- حيث يبادر الكبار وفقاً للدرجة السادسة بالأفكار والنشاطات، وتتاح الفرص للشباب في اتخاذ القرارات كشركاء أساسيين، وتحدد المسؤوليات على نحو متكافئ.

ثانياً: مشاركة الشباب قيمة مضافة للفعل التتموي الوطني والإقليمي:

تفيد النتائج العيانية المموسة حول تجارب مشاركة الشباب في تيسير الإقناع بجدوى المشاركة وبلورة الوعي بمتطلباتها. ومن واقع نتائج عدد من الدراسات والبحوث التي عنيت بتقويم حصاد مشاركة الشباب، والتي حرصنا في تحليلنا لتلك الدراسات على تنوع التجارب التي قامت بتقييمها، فمنها ما أنجز في استراليا والهند والفلبين وماليزيا وغيرها من البلدان. هذا، ويمكن إيجاز المردود الإيجابي لمشاركة الشباب في ضوء نتائج تلك الدراسات فيما يلي³:

- تؤكد الرؤى والمقاربات النظرية النقدية والدراسات التقييمية لمشاركة الشباب على ضرورة تلك المشاركة وجدواها، فالفترة العمرية للإنسان ما بين 15-24 عاماً تمثل مرحلة حاسمة في مستقبل المجتمع ومستقبل الشباب معاً. فهي فترة الإعداد الصحي بمعناه الشامل للجسمي والنفسي والاجتماعي، والإعداد المعرفي والمهاري، وتشكيل الأنساق القيمية للشباب التي تمكنه من الاختيار والتصرف، بجانب إعداده للعمل المواتي لمشاركته مع كل هذه الفرص وغيرها، حيث تطور فيها، وتسهم في تمكين الشباب منها. ومع كل هذا تتيح المشاركة فرصاً حقيقية لممارسة الشباب لحقوقه وتبلور الوعي بها، في مقابل الوعي والالتزام بالواجبات المقابلة. ويعني هذا للمتابع لفكر التنمية البشرية إعداد رأس المال البشري المنتج والمنتمي والمبدع والقادر على خلق ميزات تنافسية تسهم في استدامة التنمية.

- وبجانب هذه القيمة العامة المضافة لمشاركة الشباب، ثمة أبعاد تطورها المشاركة كماً ونوعاً على المستويات المموسة، يتعلق بعضها بتطوير قدرات الشباب والتزاماته وانتماءاته وتنمية العلاقات الإيجابية فيما بين فئاته النوعية، وبعض ثان يتعلق بالتواصل المنتج اجتماعياً مع الأجيال الأخرى، ويتعلق بعض ثالث بتطوير المؤسسات والتنظيمات التي يمارس الشباب مشاركته من خلالها، وإسهامه في زيادة إنتاجيتها:

فالفتره العمرية للإنسان ما بين 15-24 عاماً تمثل مرحلة حاسمة في مستقبل المجتمع ومستقبل الشباب معاً. فهي فترة الإعداد الصحي بمعناه الشامل للجسمي والنفسي والاجتماعي، والإعداد المعرفي والمهاري، وتشكيل الأنساق القيمية للشباب التي تمكنه من الاختيار والتصرف.

- إن مشاركة الشباب تطور وعيه التنموي: وتبلور شخصيته على نحو إيجابي⁴ :
- إدراك الشباب لحدود قدراته ومهاراته وتنمية رغبته في تطويرها واكتساب المزيد منها.
- تنمي ثقة الشباب بنفسه، وتعمق لديه ضرورة التعاون والشراكة مع الآخرين واحترامهم، خاصة الكبار منهم.
- تطوير التعلم الذاتي على المبادرة والحوار.
- تعمق انتماء الشباب للمنظمات والمؤسسات التي يشارك فيها.
- إن مشاركة الشباب مع الكبار تحسن علاقته بهم، وهو ما يسهم في:
- تغير الصورة النمطية السلبية حول الشباب.
- وإزالة الحواجز- خاصة النفسية- بين الكبار والشباب.
- تساعد في بناء ثقافة (قيم واتجاهات) داعمة لمشاركة الشباب
- تنمية وعي الكبار بقضايا الشباب
- تزيد مشاركة الشباب من فرص اهتمام المنظمات التي يشاركون فيها بقضايا الشباب:
- تطوير الخدمات والبرامج والمشروعات التي تستهدف حقوق الشباب وتستجيب لها.
- تطوير قابلية المؤسسات والتنظيمات على مساءلة الشباب لها.
- تسهم مشاركة الشباب في تحسين آراء المنظمات لبلوغ أهدافها ونواتجها Outcomes.
- تزيد فرص نجاح البرامج والمشروعات من خلال مبادرات الشباب بالفكر والعمل لتطوير الأداء.
- بلورة سياسات المنظمات على نحو أكثر فاعلية.
- تجذب المزيد من الشباب لنشاطاتها وبرامجها.
- ترشيد الإنفاق وزيادة التمويل:
- يوفر تطوع الشباب وقتاً ومالاً، ويقدم جهداً إضافياً.
- زيادة مصداقية المنظمات التي يشارك فيها

الشباب، خاصة لدى الجهات المانحة.

- تعميق مصداقية المنظمات، وتطوير الوعي بقدراتها:

• تحسين صورة المنظمات أمام الرأي العام.

• زيادة فرص الاتصال والشراكة مع المنظمات الأخرى.

• تحسين مكانة وهيبة المنظمات على مستوى المجتمع المحلي نتيجة التغيير الإيجابي في فرص الشباب وحماسه في العمل.

- تطوير أفكار ورؤى المنظمات واستراتيجياتها في العمل:

• تنوع فكر الشباب وتنوع احتياجاته يكسب المنظمات رؤى أكثر شمولاً.

• الإبداع والتجديد، وتقديم حلول غير تقليدية.

- تطوير ثقافة التنظيم في الاتصال والأداء:

• تعميق العملية الديمقراطية، واكتساب قيم المشاركة.

• المرونة والتنوع في الأداء.

- تنمية قدرات المنظمات واستدامة أدائها:

• تحسين العمليات التنظيمية.

• زيادة معارف ومهارات المشاركة.

• دعم قدرات الشباب على المشاركة وتطويرها.

• فرص أكبر لفاعلية التنظيم وتنمية قدراته على التجدد.

ثالثاً- من واقع مشاركة الشباب في البلدان العربية

يشهد الإقليم العربي وفي معظم أقطاره تحركاً نحو إحداث تغييرات مهمة في فرص المشاركة، خاصة السياسية منها، ويشهد على هذه التقارير الدولية حول التنمية البشرية والتقارير الإقليمي حول التنمية الإنسانية للعام 2002 وما تلاه من إصدارات.

كما يشهد الواقع للموس تطورات مهمة في عدد من البلدان العربية، منها حصول المرأة على حقها

تزيد مشاركة الشباب من فرص اهتمام المنظمات التي يشاركون فيها بقضايا الشباب.

يشهد الإقليم العربي وفي معظم أقطاره تحركاً نحو إحداث تغييرات مهمة في فرص المشاركة، خاصة السياسية منها، ويشهد على هذه التقارير الدولية حول التنمية البشرية وبعض التقارير الإقليمية.

بقية البلدان العربية فلم تخصص لجاناً تعنى على نحو مباشر بأمور الشباب وقضاياها.

- أما عن الصيغ الأخرى للمشاركة المدنية للشباب- المجتمع المدني- خاصة في الجمعيات الأهلية، فإن الدراسات الإقليمية بشأنها محدودة، وليست متاحة اللهم إلا دراسة واحدة للإسكوا، محدودة في عينتها وفي التعمق في دراسة مشاركة الشباب بها⁵.

كما بينت دراسة أجراها معدو تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002- أجريت على 112 فرداً من 19 بلداً عربياً- تبين منها أن أهم اهتمامات وشواغل الشباب العربي (16-25 عاماً) كانت البطالة، بنسبة 45%، ثم مشكلات التعليم بنسبة 23%، ثم توزيع الدخل.

رابعاً- تحديات ومخاطر العزوف عن المشاركة

في ضوء أدبيات عربية ودولية ذات دلالة حول غياب الشباب عن المشاركة، أمكن رصد بعد المخاطر- الفردية والجماعية والمجتمعية- التي أوصت تلك الأدبيات بضرورة وضعها في الاعتبار عند مناقشة ضرورات وجدوى مشاركة الشباب.

- إن عزوف الشباب عن المشاركة- سواء لعوامل مجتمعية أو ذاتية- ييسر التأثير في الشباب واستقطابه: فكرياً وقيماً وسلوكياً. ويزيد من احتمالات لجوء البعض منهم إما إلى العزلة والانطواء، أو إلى الممارسات الضارة، كتعاطي المخدرات والعقاقير، أو الاستقطاب من قبل جماعات التعصب والتطرف.

- إن عزوف أو حرمان الشباب من فرص المشاركة يوهن- ولو على نحو تدريجي- من الانتماءات الوطنية والإقليمية للشباب، ويجعل حلقاتها تتجه نحو الانحسار، حتى تكون الذات المفردة هي أساس التفكير والحركة والفعل، وبصرف النظر عن أي ارتباطات أسرية أو وطنية.

- إن عكس ما قيل عن جدوى المشاركة، يحدث غالباً في حالة غياب الشباب عن المشاركة، ومحاصرة فرص تنمية قدراته ومهاراته، وضعف الوعي والالتزام بواجباته، وحرمان النشاطات التنموية من فكر وإبداعات الشباب وجهوده التطوعية التي توفر

في التصويت والترشح في الانتخابات في أكثر من بلد عربي، وإنشاء مجالس لحقوق الإنسان في عدد من البلدان العربية وغيرها. ومن الأمثلة على هذه البلدان المغرب العربي، ولبنان، وسوريا، وبعض بلدان الخليج. ولأننا معنيون هنا بمشاركة الشباب، فالتركيز سيكون على الفرص المتاحة له الآن.

ولأن بعض التغيرات بدأت على مستوى الخطاب والدعم الرسمي للمشاركة، فسوف تقود إلى مزيد من الفرص لمشاركة المواطن العربي، وستكون لها تأثيرات مباشرة على فرص وخيارات المشاركة الاجتماعية والسياسية للشباب.

ولا يمكن أن نقدم إطلالة تقييمية على أوضاع مشاركة الشباب العربي بموضوعية وشفافية، فمن المهم- أيضاً إضافة إلى ماسبق- النظر إلى الجزء الخاوي من الكأس كما يقال.

ولعل النتيجة الأولى التي يمكن استخلاصها في حدود ما هو متاح من بيانات حول صور ومجالات مشاركة الشباب العربي هي: أن هناك انحساراً ملموساً في فرص هذه المشاركة:

- بما أن البرلمانات والمجالس التشريعية هي أكثر السلطات المجتمعية قدرة على صناعة القرارات واتخاذها، وإصدار التشريعات والقوانين، وتقويم السياسات التنموية وطرح بدائل لها، فضلاً عن أدوارها الرقابية المفترضة للسلطات التنفيذية، ومع هذا نجد أن مشاركة الشباب في البرلمانات العربية تكاد تكون معدومة في أكثر من نصف البلدان العربية.. ففي ضوء حصر لأعداد الشباب أقل من 45 عاماً- وهو عمر يكاد يكون نصف عدد السكان الشباب 15-45 عاماً في عدد من المجالس التشريعية العربية- سنجد أنها تنخفض إلى 7% في لبنان ومجلس الشورى البحريني. وتوضح دراسة مصرية عن الشباب والبرلمان في مصر أن متوسط عمر أكثر من نصف الأعضاء 60 عاماً، ولا يقل المتوسط في النسبة الباقية من الأعضاء عن 50 عاماً، ولم يستطع نائب واحد من الشباب تمثيل حزبه. وتوضح البيانات المتاحة- رغم محدوديتها- أن القليل جداً من المجالس التشريعية العربية هي التي خصصت من بين لجانها لجاناً للشباب، ومنها مصر وتونس والأردن واليمن على سبيل المثال، أما

أن البرلمانات والمجالس التشريعية هي أكثر السلطات المجتمعية قدرة على صناعة القرارات واتخاذها. وإصدار التشريعات والقوانين. وتقويم السياسات التنموية وطرح بدائل لها. فضلاً عن أدوارها الرقابية المفترضة للسلطات التنفيذية. ومع هذا نجد أن مشاركة الشباب في البرلمانات العربية تكاد تكون معدومة في أكثر من نصف البلدان العربية..

إن عزوف الشباب عن المشاركة- سواء لعوامل مجتمعية أو ذاتية- ييسر التأثير في الشباب واستقطابه: فكرياً وقيماً وسلوكياً. ويزيد من احتمالات لجوء البعض منهم إما إلى العزلة والانطواء، أو إلى الممارسات الضارة. كتعاطي المخدرات والعقاقير، أو الاستقطاب من قبل جماعات التعصب والتطرف.

الوقت والمال.

- فالأسرة العربية، والتي امتدت فترات اعتماد الشباب عليها خاصة الشباب غير العامل وغير المتزوج، حيث تزايد البطالة بين الشباب، خاصة المتعلم، وحيث اتجاه متوسط العمر عند الزواج الأول إلى الارتفاع، تعد أولى عثرات تطوير الوعي بالمشاركة لاعتماد هذه الأسرة العربية على السلطة الأبوية الممزوجة بالحقوق على الشباب من المشاركة، وهو ما بينته الدراسات التي أعدت للمشروع الراهن حول التعليم والتشغيل والتواصل الأسري⁶.

- وأيضاً بعض المسوح، ومنها المسح الأردني "الشباب الأردنيون حياتهم وآراؤهم 2003"، حيث أشارت النتائج إلى أنه في الوقت الذي أعطى فيه الأهل أهمية أولى لعمل الأبناء الذكور، ثم زواج البنات الإناث، ثم زواج الأبناء الذكور، أتت مشاركة الشباب الذكور ثم الإناث في المناقشات والقرارات العائلية في مرتبة أخيرة، بنسبة 2.41% لدى عينتي الآباء والأمهات (1505 أباً و1807 أما بإجمالي عينة 4167 مفردة).

- إن المؤسسة التعليمية، والتي تمتد علاقة الشباب المتعلم بها كمتوسط عام مابين 17- 20 عاماً، من المرحلة الابتدائية، وحتى الجامعية، ورغم وجود فرص لمشاركة الشباب في الاتحادات الطلابية والنشاطات الصفية الأخرى، كالجمعيات وتنظيم الرحلات والمعسكرات وغيرها، فإن التعليم مضموناً وأسلوباً يحاصر وعي الشباب بشأن المشاركة. فهو تعليم يبتعد عن تنمية المواطنة، فكرة وحقوقاً وواجبات، ويقوم على تقديس النصوص التعليمية الكتاب المقرر- ويختبر غالباً القدرة على الحفظ والاسترجاع عبر التلقين، حتى أن التعلم أضحي مختزلاً في النجاح والمؤهل الدراسي، وبصرف النظر عن تنمية قدرة المتعلم على التفكير العلمي والنقدي، وتنمية القدرة على حل المشكلات، وإدراك العلاقات بين الخاص والعام، وبين المدرسة والمجتمع المحلي، فضلاً عن انحسار المشاركة، رغم محدوديتها في المنظمات الطلابية، كما بين المسح الأردني المشار إليه، والتي لم تتجاوز 7.6% من إجمالي أنماط ومستويات المشاركة.

- يكاد يواصل الإعلام الوطني، ومعظم الإقليمي منه، دور مؤسسات التعليم في محاصرة فرص مخابرة الشباب للمشاركة، فهو إعلام دعائي لا يزال يرى المتلقى سلبياً، ويقوم على التلقين، فضلاً عن مساهمته في تأسيس صورة سلبية حول الشباب، كمنتج للمشكلات. وأما عن تعامل الشباب نفسه مع الإعلام، فإن الدراسات التي اهتمت بتفضيلات الشباب للبرامج التلفزيونية- على سبيل المثال- بينت أنها تتراوح بين برامج المنوعات والبرامج الدينية والرياضية، وأنها تدعم لدى الشباب قيم الاستهلاك وسيادة التطلعات والانصراف عن الواقع المعاش.

- وتضع التشريعات المرتبطة بمشاركة الشباب حدوداً عمرية على مشاركته، خاصة في المؤسسات التشريعية المحلية والمركزية (المجلس النيابي)، فقد تبين من صفحات سابقة، كيف أن ارتفاع عمر الترشح للانتخابات لا يتيح فرص هذه المشاركة. وحتى اللجان البرلمانية المعنية بقضايا الشباب لا تتيح فرص مشاركة الشباب بها، وإن من باب إبداء الرأي فيما يخص الشباب من قضايا تهم حاضرهم ومستقبلهم. وفي ضوء بعض الدراسات التي أعدتها إدارة السياسات السكانية والهجرة حول تشريعات مشاركة الشباب⁷، رأينا أنها تعاني من نقائص كثيرة، وفي حاجة إلي تطوير، يتواءم مع المستجدات في واقع الشباب العربي وطموحاته، خاصة تطوير تشريعات المشاركة السياسية وتأسيس الجمعيات الأهلية والنقابات المهنية والعمالية.

- يسود الثقافة العربية بمعناها الأشمل- أي الأفكار والعادات والتقاليد والقيم وغيرها من ضوابط السلوك- نوع من الهيراركية (تدرج هرمي) لأوضاع الفئات الاجتماعية، خاصة الإناث، والأعمار الأصغر ومنهم الشباب، وهي هيراركية لاتزال تصور الشباب قاصراً وأقل معرفة وخبرة، وأكثر اندفاعاً وتمرداً واستسهالاً وتسرعاً في تحقيق رغباته وحاجاته، ولهذا، تستبعد الشباب من المشاركة في أمور الأسرة، وفي إطار الجوار والمجتمع المحلي، ويدلل على هذا أن الدراسة التي أجريت حول الشباب في الجمعيات الأهلية بينت وجود

يكاد يواصل الإعلام الوطني، ومعظم الإقليمي منه، دور مؤسسات التعليم في محاصرة فرص مخابرة الشباب للمشاركة. فهو إعلام دعائي لا يزال يرى المتلقى سلبياً. ويقوم على التلقين، فضلاً عن مساهمته في تأسيس صورة سلبية حول الشباب. كمنتج للمشكلات.

الضروري أن تحيط بقدر المستطاع بكل أبعاد المشاركة ومعوقات ومجالاتها، التاريخية منها والمعاصرة. ولأننا معنيون في هذا التقرير بمشاركة الشباب، فنحن أم ثلاث مجموعات من القضايا الأساسية :

- محددات المشاركة.

قيم ثقافية مترامية تحول دون مشاركة الشباب، إجمالاً، والإناث على نحو أكثر تحديداً في نشاطات الجمعيات الأهلية.

- وأما الدرجة السابعة ففيها يفكر الشباب ويبادر وينفذ ويتابع، ويكون دور الكبار فيها الدعم بكل أنواعه، دون تدخل في تنفيذ النشاطات

لا تختزل المقاربة الكلية مشاركة الشباب في التطوع أو العضوية في منظمات المجتمع المدني- خاصة المنظمات غير الحكومية- فهي تتجاوزها إلى فرص حقيقية للشباب ليكونوا فاعلين في كافة مجالاتها ومستوياتها، وبالأخص السياسية منها، وفي القرارات ذات التأثير في حاضرهم وحاضر مجتمعهم وفي مستقبلهم ومستقبل مجتمعهم.

- متطلبات ومقومات المشاركة.

- تبعات المشاركة والنتائج المترتبة عليها.

1- محددات المشاركة

ويقصد بها العوامل والمتغيرات المؤثرة في المشاركة وأشكالها وصيغها المؤسسية وغير المؤسسية. ويمكن التمييز بقصد الفهم والتحليل بين عدة أبعاد أو مستويات متفاعلة هي:

- البعد أو المستوى الأول يتعلق بخصائص البنية الاجتماعية بكل مجالاتها وحقوقها وأصعقتها وحمولتها التاريخية، الاقتصادية والطبقية، السياسية والثقافية: حيث يؤثر النظام السياسي، حكم فردي أو جماعي، تسلطي أو ديمقراطي، مركزي بيروقراطي أو لا مركزي، في فرص المشاركة وآلياتها واعتمادها قيمة وعملية أساسية في المجتمع، فتركز السلطة أو توزعها يؤثر في الفهم المجتمعي السائد للمشاركة. ففي النظم التسلطية حتى وإن اتجهت نحو المشاركة يغلب عليها الاختيار أو التعيين من قبل حائزي السلطة، وبالتركيز غالباً على بؤرها الطبقية، ومن أهل الثقة أكثر من أهل الجدارة. ويختلف الأمر في النظم التي تهتم بتوزيع السلطة أفقياً ورأسياً وتداولها، فهي تتيح مساحة أوسع للمشاركة، وتتنوع مجالاتها. ويرتبط بمحددات المشاركة رؤية حائزي السلطة للجماهير، فهل تراهم مواطنين أو تابعين؟ تتحدد الإجابة تبعاً للفهم الرسمي الحكومي لها، ففي الأولى يتم التعامل مع أعضاء المجتمع كمواطنين لهم حقوق أساسية، وخاصة حق المواطنة، وباعتبارهم

والمشروعات والبرامج.

- وتعد الدرجة الثامنة بؤرة المقاربة الراهنة، حيث يضطلع الشباب بكل ما يتعلق بمشروعاته، وبرامجه ويكون دور الكبار المشاركة المحدودة في اتخاذ القرارات بوصفهم شركاء، والدعم ولكي نضيف إلى تعريفنا المزيد من البلورة والوضوح نؤكد على:

- أننا نقصد بالمشاركة معناها الشامل لمجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتمتع بحقوق المواطنة، وتتضمن داخلياً:

• الاهتمام بالمشاركة، ويعنى إدراكاً لأهميتها ومتابعة لمجالاتها ومنظماتها وأنشطتها.

• المعرفة بالمشاركة، وتعنى الحق في الوصول إلى المعلومات حول واقع المشاركة وفرصها وتشريعاتها وآلياتها.

• الرغبة في المشاركة، وهي عملية مكتسبة ومتجددة طوال فترة التنشئة الاجتماعية للشباب، والتي تبدأ مع الأسرة وتتواصل مع كل مراحل حياته وداخل كل المؤسسات التي يتعامل معها، وتلعب وسائط التنشئة دوراً مهماً في إيجاد وتطوير وتحفيز تلك الرغبة في المشاركة، أو تحجيمها.

• سعي المشارك لممارسة نشاطات المشاركة.

ثالثاً: متطلبات ومحددات المشاركة ومقوماتها⁽⁸⁾

لكي تكون المقاربة كلية Holistic من

ففي النظم التسلطية حتى وإن اتجهت نحو المشاركة يغلب عليها الاختيار أو التعيين من قبل حائزي السلطة. وبالتركيز غالباً على بؤرها الطبقية. ومن أهل الثقة أكثر من أهل الجدارة. ويختلف الأمر في النظم التي تهتم بتوزيع السلطة أفقياً ورأسياً وتداولها، فهي تتيح مساحة أوسع للمشاركة، وتتنوع مجالاتها.

المرجعية الأساسية في صنع السياسات واتخاذ القرارات، فال مواطن وصناديق الانتخابات يحسمان شكل ومضمون السلطة، واحتمالات تغير بنيتها وتوجهاتها نحو القضايا المجتمعية. ويكاد يكون العكس في النظم الفردية والتسلطية.

- وتؤثر طبيعة النظام الاقتصادي وخصائصه، وعلاقات الإنتاج، خاصة نمط أو أنماط الملكية وتركزها أو اتساع قاعدتها، وقوى الإنتاج، خاصة خصائص المنتجين وتقنيات الإنتاج والطابع الغالب على الإنتاج، ريعي أو تحويلي، للاستهلاك المباشر أو للإنتاج الموسع المتجدد. إن هذه الأبعاد عوامل تحدد أنماط المشاركة الاقتصادية ومجالاتها، وتقسيم العمل وقيمة العمل المنتج، ومن ثم قيمة المنتجين. إن الإنتاج الريعي- غالباً- زراعي، أو ثروات في باطن الأرض، أو عليها، يحدد قيمة المشاركة، وجدواها، فيجعلها محددة، منحسرة، ذات طابع أبوي رأسي، مع افتراض تساقطها أولاً من الملاك ثم إلى العاملين، ومن الطبقات العليا إلى من هم أدنا منها، ومن الذكور إلى الإناث، ومن الكبار إلى الشباب.

- وعلى الصعيد الثقافي تكاد تجسد المعارف والقيم والمعتقدات والأعراف السائدة توجهات الوعي بالمشاركة ومضامينه، من حيث الضرورة والمجالات، ومن حيث أولويات من لهم الحق في المشاركة. ومع أن الثقافة تتأثر بخصائص بنيتها الاجتماعية، خاصة طبيعة نمط أو أنماط توزيع الثروة والسلطة، إلا أن للثقافة في بعض بنودها استقلالاً نسبياً كحقل أو مجال مجتمعي. ومن ثم تنقل معها قيماً ومعتقدات تظل مؤثرة رغم تغير نمط إنتاجها الاقتصادي، ورغم تغير الزمن المجتمعي الذي ظهرت فيه عند أول مرة، ويأتي في مقدمة هذا تفويض الاتباع الضمني والصريح لصاحب أي سلطة، في اتخاذ ما يراه، سواء في الأسرة أم في مؤسسات التعليم والعمل والإعلام والثقافة، أو حتى المؤسسات السياسية والحكومية. ولهذا، فبقدر ما تصنع أنماط توزيع الثروة والسلطة من تمايزات وفجوات بين أعضاء المجتمع، تسهم الثقافة على الأقل- من خلال بعض المفردات- في تبرير وتعزيز الفجوات: فجوة النوع الاجتماعي، والفجوة بين

الطبقات وبين الأغنياء والفقراء، وبين الأجيال الشابة والكبار، وبين الأرياف والحواضر، كما تلعب الثقافة الرسمية السائدة- التي يدعمها حائزو القوة السياسية والاقتصادية عبر التعليم والإعلام وغيرها- دوراً مهماً في ترير قيم سلبية، تجعل "اللامشاركة" أو بالأدق تجعل عزوف الآخر عنها اختياراً مريحاً وغير مزعج لأطراف عديدة.

- وتؤثر البنية الطبقيّة- بما تحمله من تناقضات واستقطاب- في المجال العام للمشاركة. فالمضمون الطبقي لسلطة الدولة يؤثر في الموقف من المشاركة وحدودها ومجالاتها وآلياتها. وفي الغالب تصوغ الرموز الطبقيّة المشاركة في السلطة- سواء كانت رجال أعمال، أو صفوة مثقفة، وبالتحالف مع ممثليها في المجالس التشريعية والنيابية- التشريعات والسياسات المحددة للمشاركة والتصويت في عمليات الاقتراع أو الانتخابات العامة، أو على مستوى المحليات.

- وأما المستوى الثاني، فيتعلق بالحقل العام للمشاركة، وفيه تتفاعل وتتجسد العوامل الواردة في المستوى السابق لتحديد مفهوم المشاركة وأبعادها ومؤسساتها وحدود استقلالها النسبي عن سلطة الدولة، وبالأخص الموقف من منظمات المجتمع المدني وحدود حركتها. وتكاد تعبر الدرجات الثمانية لسلم المشاركة التي صاغها "هارت" عن أنماط المشاركة وأبعادها وأهدافها والمصالح الواضحة والمواربة خلفها، والتي يترتب عليها إتاحة المشاركة أو حجبتها عن أفراد وجماعات دون غيرهم أو أكثر من غيرهم.

- وأما المستوى الثالث، فيتحدد بمشاركة الشباب أنفسهم. ومع أن هذا المستوى يتأثر بالمستويين السابقين، إلا أن ثمة أبعاداً نوعية إضافية متفاعلة مع ما سبق، تسهم- أيضاً- في تحديد دلالات ومجالات وآليات مشاركة الشباب:

- فالشباب فئة نوعية، يحدها التطلع والطموح والتمرد والرغبة في الاستقلال والحرية والاعتماد على الذات⁹

- وهم شريحة ذات حاجات وطموحات نوعية، مقارنة بالأكبر أو الأصغر منهم عمراً، فمنهم من

يفقد ما تصنع أنماط توزيع الثروة والسلطة من تمايزات وفجوات بين أعضاء المجتمع. تسهم الثقافة على الأقل- من خلال بعض المفردات- في تبرير وتعزيز الفجوات: فجوة النوع الاجتماعي، والفجوة بين الطبقات وبين الأغنياء والفقراء. وبين الأجيال الشابة والكبار. وبين الأرياف والحواضر. كما تلعب الثقافة الرسمية السائدة- التي يدعمها حائزو القوة السياسية والاقتصادية عبر التعليم والإعلام وغيرها- دوراً مهماً في تبرير قيم سلبية، تجعل "اللامشاركة" أو بالأدق تجعل عزوف الآخر عنها اختياراً مريحاً وغير مزعج لأطراف عديدة.

وهم شريحة ذات حاجات وطموحات نوعية. مقارنة بالأكبر أو الأصغر منهم عمراً. فمنهم من يعد التعليم قضيته الأساسية. ومنهم من يعد العمل أساسياً له بعد إنهاء تعليمه. ومنهم من تعلم والتحق بالعمل. ومن ثم فهو بحاجة إلى الزواج.

أو لا يلائم طموحاتهم واحتياجاتهم، وهم غالباً ما يقعون في إسار من يستقطبهم، والذي قد يصل بهم إلي توظيف العنف بأنماطه لتحقيق مآرب وغايات آنية.

مجموعة الشروط المسبقة snoitidnocerp للمشاركة.

ومع التسليم بأن وجود هذه الشروط جزئياً أو كلياً يتحدد بالسياق المجتمعي ويجعل المشاركة ممكنة أو غير ممكنة جزئياً أو كلياً، فإن توافر العدد الأوفر منها، وبنوعية جاذبة، يساعد على انضواء الشباب في صيغ المشاركة، ومن بين هذه الشروط المسبقة:

- توفر بيانات ومعلومات حول الشباب وأوضاعهم وحاجاتهم وطموحاتهم.
- مدى إتاحة فرص المشاركة، وخاصة للشباب الذي لم يشارك بعد في أي من مؤسساتها وأنشطتها.
- إتاحة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتمكين الشباب من استخدامها.
- مدى الوعي بقيمة المشاركة وأهميتها كحق إنساني وضرورة مؤسسية ومجتمعية.
- إشباع الحاجات الأساسية للشباب (تعليم/ عمل، سكن، غذاء.. إلخ).
- المساواة والأهمية المتكافئة لكل المشاركين.
- شراكة واضحة الأسس والمعايير بين الكبار والشباب.
- حرية اختيار الصيغة الأكثر ملاءمة لكل شاب.
- الاستعداد للتعليم الذاتي من خبرات المشاركة.
- تشريعات تضمن المشاركة الآمنة وتدعم اتساعها وتجديدها.
- فضاءات صديقة لمشاركة الشباب من حيث المكان والزمان وأدوات الاتصال والتفاعل.
- مدى توافر متطلبات المشاركة المادية والفضية والبشرية.
- ولتطوير ماسبق في ضوء صياغات إجرائية تحدد طبيعة وأبعاد المادة الميدانية المطلوبة للوفاء

يعد التعليم قضيته الأساسية، ومنهم من يعد العمل أساسياً له بعد إنهاء تعليمه، ومنهم من تعلم والتحق بالعمل، ومن ثم فهو بحاجة إلي الزواج.

- ولأن الشباب متنوعو الأفكار والعادات وأنواع التعليم والمستويات الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم، وأيضاً في البعد والقرب من مؤسسات المشاركة، بجانب وعيهم وتجاربهم وخبراتهم السابقة بالمشاركة، فإن حصاد هذا يشكل اتجاهات سلبية أو إيجابية نحو المشاركة، ولهذا فنحن بحاجة إلي فكر عميق وثاقب ووعي بظروف الشباب واحتياجاتهم، بما يتيح تنوعاً في فرص وأنماط وآليات مشاركتهم. إن هذا المستوى هو الذي حدا بالبعض إلي تحديد مستوى وأنماط مشاركة الشباب. وبوسع المتأمل في بعض صيغ مشاركة الشباب وأنماطها أن يجد ما يجسد هذا المستوى متفاعلاً مع سابقه: وعلى نحو أولى يمكن التمييز بين أربعة مستويات للمشاركة عامة، وللشباب تحديداً:

- المشاركون النشطون سياسياً وممارسو العمل السياسي وفي منظمات المجتمع المدني، ومن أمثلة هذا العضوية في المنظمات السياسية، والحرص على التصويت والانتخاب، والمشاركة في الاحتجاجات والمظاهرات، والتطوع في الجمعيات الأهلية وحملات خدمة البيئة والمجتمع المحلي.
- المهتمون بالمشاركة والمدركون لأهميتها، غير أنهم لا يشاركون بالفعل في عملياتها؛ لوجود ظروف تحول دون مشاركتهم، للانشغال بالدراسة أو العمل، أو الرضوخ لضغوط الأسرة، أو عدم القدرة على تحمل تبعات المشاركة وأعبائها.
- المهتمون بعيداً عن حقل المشاركة ومجالاته، والذين لا يهتمون بالمشاركة، ولا يقدرّون جدواها، وفي مقدمة هؤلاء فتيات الأسر الفقيرة في الريف والحضر وأيضاً الذين يعملون في أعمال هامشية غير منظمة أو غير مهيكلة، وأطفال ومراهقو الشوارع وغيرهم.

- المشاركون المتطرفون، والذين يشاركون بعيداً عن المؤسسات الرسمية والقنوات الشرعية المتاحة؛ لأنها لا تستوعبهم، أو لا يوجد النوع المطلوب منها،

المهمشون بعيداً عن حقل المشاركة ومجالاته، والذين لا يهتمون بالمشاركة. ولا يقدرّون جدواها. وفي مقدمة هؤلاء فتيات الأسر الفقيرة في الريف والحضر وأيضاً الذين يعملون في أعمال هامشية غير منظمة أو غير مهيكلة، وأطفال ومراهقو الشوارع وغيرهم.

بالأهداف العلمية والعملية للتقرير الراهن، يمكن تحديد مايلي كموجهات مباشرة لصياغة أدوات وجمع البيانات وتحديد مصادرها:

1- إن مشاركة الشباب تتحد وتفاوت تكراراً وقناعةً واهتماماً وممارسة بتفاوت أحوال الشباب والشابات وفق مجموعة من المتغيرات الشخصية:

- العمر
- النوع
- التعليم
- العمل/ البطالة
- المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة
- الوسط الاجتماعي الثقافي والمجتمع المحلي

2- إن وعي الشباب بالمشاركة فكرةً وحقاً وأهدافاً يتأثر -بجانب ما سبق- بحصاد التنشئة الاجتماعية، وخبرات المشاركة على مستوى الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلامية، باعتبارها أكثر المؤسسات تأثيراً في مرحلة الشباب، ويلحق بها النقابات ومؤسسات العمل في حالة الشباب الذي تخرج والتحق بالعمل.

3- الثقة/ حضوراً أو غياباً، في ممارسات المشاركة، سواء على مستوى العمل المدني (التطوعي)، أو على

مستوى العمل السياسي العام، كالانتخابات العامة والمحلية.

4- المعرفة بمجالات المشاركة ومؤسساتها وصيغها المختلفة، ومتطلبات المشاركة في كل منها.

5- الرغبة في المشاركة والحرص على تحقيقها.

6- الرضا أو عدم الرضا عن السياسات الشبابية، وموقف المجتمع خاصة الكبار من الشباب، من حيث حقوقه وقدراته واحتياجاته، وكلما كان هناك التزام مجتمعي بالمشاركة الشبابية، ووجود سياسات تتقابل مع احتياجاته وتقدير الكبار للشباب، أقبل الشباب على المشاركة، والعكس صحيح، حيث العزوف عن المشاركة، أو على الأقل عن بعض صيغها وأشكالها.

7- وجود خبرة سابقة مباشرة من قبل الشاب أو الشابة أو من الشباب الأصدقاء، يمكن عندما تكون إيجابية أن تحفز الشباب على المشاركة، أو تجعلهم يجربون عنها عندما تكون خبرة سلبية.

8- مجالات المشاركة: في الأسرة، في المؤسسة التعليمية، في المؤسسات الرسمية، في الجمعيات الأهلية وفي النقابات، وفي الأحزاب السياسية، في عمليات التصويت والافتراع في الانتخابات العامة

إن وعي الشباب بالمشاركة فكرةً وحقاً وأهدافاً يتأثر -بجانب ما سبق- بحصاد التنشئة الاجتماعية، وخبرات المشاركة على مستوى الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلامية، باعتبارها أكثر المؤسسات تأثيراً في مرحلة الشباب، ويلحق بها النقابات ومؤسسات العمل في حالة الشباب الذي تخرج والتحق بالعمل.

وجود خبرة سابقة مباشرة من قبل الشاب أو الشابة أو من الشباب الأصدقاء، يمكن عندما تكون إيجابية أن تحفز الشباب على المشاركة، أو تجعلهم يجربون عنها عندما تكون خبرة سلبية.

الموامش:

- 1- اعتمدنا في صياغة مقاربات المشاركة على المصادر التالية:
 - إيمان فرج، الثقافة الداعمة لمشاركة الشباب العربي في ندوة سياسات المشاركة والتمكين، إدارة السياسات السكانية والهجرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، مارس 2005
 - عبد الباسط عبد المعطي، المشاركة والتمكين، في المفاهيم ودلالات العلاقات في المصدر السابق
 - C. Megachie & K. Smith, Youth participation: Case Studies: A Collection of six Studies. Ministry of Youth, Sidney, - 2003
 - Council of Europe. Have you say? Manual on the Revised European Charter participation of young people-
- 2- (إيمان فرج، الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشباب والمراهقة، المنتدى العربي للسكان والتنمية، بيروت 2004. وأيضا: محمود صادق سليمان، الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في دراسة مشكلات الشباب، بحث مرعي للترقية لوظيفة أستاذ في علم الاجتماع، المجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، 2003
- 3- C. B Lloyd (ed) Grownning up Global. The changing transition to Adulthood in Developing countries. the National academies Press. Washington, D. C. 2001, pp 7-8
- 4- C. Megacines & K. Smith. Opict
- 5- الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، الجمعيات غير الحكومية المعنية بالشباب في بعض دول الإسكوا، بيروت 2000.
- 6- (إدارة السياسات السكانية والهجرة، دراستا التشغيل والبطالة، والصحة الإنجابية والتواصل الأسرة
- 7- إدارة السياسات السكانية والهجرة، ندوة "الشباب وسياسات المشاركة والتمكين"، مصدر مذكور.
- 8- إدارة السياسات السكانية والهجرة، حصاد ورشة عمل "الشباب العربي وسياسات المشاركة والتمكين"، مارس 2004، المصدر السابق.
- إيمان فرج، مصدر مذكور.
- Council Europe. opcit
- عبد الباسط عبد المعطي، مصدر مذكور.
- 9- C. Lloyd; (ed) Grownning up Global: The changing Tansition to Adult. in Developing Countries. National Academy .Press. Washington. 2001. PP. 49- 52
- 10- إدارة السياسات السكانية والهجرة، قضايا الشباب العربي، الإصدار الثاني، القيم السائدة لدى الشباب العربي، الخصائص والمحددات، القاهرة، 2006.

الباب الثاني

أحدث دراسات ميدانية حول واقع مشاركة الشباب العربي

مقدمة

كما سبق الإشارة في مواقع سابقة من التقرير الراهن، وفي إصدارات سابقة لمشروع تمكين الشباب العربي، تعاني البيانات والمعلومات حول واقع مشاركة الشباب العربي من الندرة والنقص المعلوماتي والمعرفي الواضحين، ولهذا اهتم مشروع تمكين الشباب العربي بإجراء دراسات ميدانية تستطلع وتستكشف أبعاداً هامة في مشاركة الشباب، خاصة وعيه ومدركاته للمشاركة، وأسباب عزوفه عن المشاركة، خاصة السياسية، ومقترحاته لتفعيلها. ويحتوى الباب الثاني من التقرير على نتائج دراستين ميدانيتين تم عرضهما في الفصلين الرابع والخامس من التقرير على التوالي:

الفصل الرابع: واقع مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية، الفرص والتحديات.

الفصل الخامس: الشباب العربي والمشاركة/ التحديات ومتطلبات التفعيل.

واقع مشاركة الشباب العربي في الجمعيات الأهلية: الفرص والمعوقات

مقدمة: الخلفية وأهداف الدراسة

لقد أدت العولمة بتغيراتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العقود الأخيرة، وما أحدثته من تناقضات، كالتناقض بين الاستيعاب والاستبعاد، والثروة المتزايدة والفقير، والسوق والدولة وغيرها من التناقضات، أدت إلى العديد من التأثيرات السلبية في سوق العمل وأوضاع التشغيل، كما أدت إلى تراجع دور الدولة، وبروز أزمات الهوية وغيرها. وقد كان الشباب من أكثر الفئات تأثراً بهذه الأوضاع في دول العالم عامة، وفي دول الجنوب ومجتمعاتنا العربية خاصة. ونظراً لأن مجتمعاتنا العربية مجتمعات فتية، لارتفاع نسبة الشباب واليافعين بها، فإن الاهتمام بقضايا الشباب وأوضاعه أصبح مطلباً تنموياً استراتيجياً، لأنهم الأكثر تضرراً من سلبات العولمة من ناحية، والقادرون على تنمية مجتمعاتهم من ناحية أخرى. كما أن إهمال قضايا الشباب ومشكلاته في ظل هذه الظروف العولمية، خاصة بما للشباب من ثقل ديموجرافي - إضافة إلى خصائصه المرتبطة بالتمرد والسعي لإثبات الذات، يجعله بمثابة قنبلة موقوتة تهدد الاستقرار الاجتماعي.

ولهذه الأسباب وغيرها، فقد ظهرت الدعوة إلى المطالبة بالإصلاح في العالم العربي، والتأكيد على أهمية المجتمع المدني ودوره في ملء الفراغ الناشئ عن انحسار بعض أدوار الدولة، كما طالب التقرير الاستراتيجي العربي الأخير بصياغة مبادرة حضارية عربية تنطلق من فئاعة بحوار الحضارات نحو صياغة نظام عالمي جديد، يرشد العلاقات بين الأمم والدول والثقافات في القرن الحادي والعشرين، وكان أحد عناصر المبادرة المقترحة هو "دعم عملية تأسيس

وإعادة إحياء المجتمع المدني العربي، نظراً للأدوار التي يمكن أن تقوم بها المؤسسات غير الحكومية والتطوعية أدوار بالغة الأهمية في التنمية".

ولهذا الدراسات التي انطلقت من مفهوم إدارة شؤون الدولة والمجتمع Governance، وأعلنت المنظمة الدولية للجهود التطوعية عام 2001 العام الدولي للمتطوعين. وبرغم ارتباط الإعلان بجوهر العمل الاجتماعي والجمعيات الأهلية، فإن اللافت للنظر أن الجزء الأكبر من النقاش ذهب إلى توصيف الواقع دون التطرق العميق لل صعوبات التي تحول دون زيادة أعداد المتطوعين، كما أنه افتقد القدرة على رسم استراتيجية واضحة المعالم، وتحديد آليات قابلة للتطبيق، تستند إلى واقعنا العربي، وليس إلى تجارب الدول المتقدمة.

وفي ضوء هذا عنييت إدارة السياسات السكانية والهجرة - القطاع الاجتماعي - بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان بتنفيذ مشروع تمكين الشباب العربي وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية. وتعد الدراسة الراهنة إحدى الدراسات الساعية إلى توفير مدخلات علمية ومعرفية لمزيد من فهم إحدى أهم قضايا تمكين الشباب، وهي قضية المشاركة.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على فرص الشباب في الجمعيات الأهلية (المشاركة والبرامج المقدمة)، واستطلاع وتفسير المعوقات التي تحول دون هذه المشاركة؛ وصولاً إلى مقترحات عملية لتفعيل مشاركة الشباب في نشاطات الجمعيات الأهلية.

كما أن إهمال قضايا الشباب ومشكلاته في ظل هذه الظروف العولمية، خاصة بما للشباب من ثقل ديموجرافي - كما سبق الإشارة - إضافة إلى خصائصه المرتبطة بالتمرد والسعي لإثبات الذات، والتي يجعله بمثابة قنبلة موقوتة تهدد الاستقرار الاجتماعي.

أولاً: المحددات المفاهيمية والإجرائية للدراسة

١- مفاهيم الدراسة وتعريفاتها الإجرائية

أ- المجتمع المدني

من بين أكثر تعريفات المجتمع المدني شيوعاً تلك التي تراه "مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين مؤسسات القرابة، ومؤسسات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها". وهذه التنظيمات التطوعية الحرة تنشأ لتحقيق مصالح أفرادها، أو لتقديم خدمات للمواطنين، أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع.

وللمجتمع المدني بهذا المفهوم أربعة مقومات

أساسية هي:

- الفعل الإرادي الحر أو التطوعي.

- التواجد في شكل منظمات.

- قبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين.

- عدم السعي للوصول للسلطة.

وإجرائياً يدخل في دائرة مؤسسات المجتمع المدني طبقاً لهذا التعريف- أي كيان مجتمعي منظم يقوم على العضوية المنتظمة تبعاً للغرض العام أو المهنة أو العمل التطوعي، ولا تستند فيه العضوية إلى عوامل الوراثة وروابط الدم والولاءات الأولية، مثل الأسرة والعشيرة والطائفة والقبيلة. وبالتالي فإن أهم مكونات المجتمع المدني هي:

- النقابات المهنية.

- النقابات العمالية.

- الحركات الاجتماعية.

- الجمعيات التعاونية.

- الجمعيات الأهلية.

- نوادي الهياكل الخاصة، كنوادي هياكل التدريس بالجامعات، و نوادي القضاة وغيرهم.

من بين أكثر تعريفات المجتمع المدني شيوعاً تلك التي تراه مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين مؤسسات القرابة، ومؤسسات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها.

ولكن يمكن تعريفها- بعد استعراض تلك التعريفات- بأنها جماعات من الأفراد لا يقل عددهم عن عشرة أعضاء يؤلفون تنظيمًا اجتماعيًا، ويقومون بأنشطة تطوعية في مجال واحد أو عدة مجالات متنوعة وفقاً للوائح القانونية، وتستند في مصادر تمويلها إلى اشتراكات الأعضاء، والهبات، والتبرعات، ودعم الدولة

- النوادي الرياضية والاجتماعية.

- مراكز الشباب والاتحادات الطلابية.

-الغرف التجارية الصناعية، وجماعات رجال الأعمال.

-المنظمات غير الحكومية الدفاعية والتنموية، كمراكز حقوق الإنسان والمرأة والتنمية والبيئة.

- الصحافة الحرة، وأجهزة الإعلام والنشر.

- مراكز البحوث التطوعية والدراسات والجمعيات الثقافية.

وهناك من يضيف إلى هذه المنظمات هيئات تقليدية، كالطرق الصوفية والأوقاف، التي كانت بمثابة أساس المجتمع المدني في المجتمعات العربية منذ عشرات السنين.

ب- الجمعيات الأهلية: المفهوم والتعريف الإجرائي

رغم أنه لا يوجد اتفاق على مسمى واحد محدد لها في كل البلدان العربية، ولكن يمكن تعريفها- بعد استعراض تلك التعريفات- بأنها "جماعات من الأفراد لا يقل عددهم عن عشرة أعضاء يؤلفون تنظيمًا اجتماعيًا، ويقومون بأنشطة تطوعية في مجال واحد أو عدة مجالات متنوعة وفقاً للوائح القانونية، وتستند في مصادر تمويلها إلى اشتراكات الأعضاء، والهياكل، والتبرعات، ودعم الدولة، دون أن يستند كيانها إلى تخصيص مالي محدد لتحقيق الأهداف التي تبتغيها.

وإجرائياً ترى الدراسة الجمعيات الأهلية جزءاً من قطاع المنظمات الأهلية في حالة توافر بعض المعايير، وهي كالتالي:

- أن يكون للجمعية شكل رسمي مؤسسي مقنن Institutionalized إلى حد ما، بمعنى وجود واقع مؤسسي للمنظمة يميزها عن مجرد التجمع المؤقت لمجموعة من الأفراد.

- أن تكون الجمعية خاصة، أي منفصلة مؤسسياً عن الحكومة، ولا يعني ذلك عدم حصولها على مساندة أو دعم من الحكومة، كما لا يعني ذلك عدم وجود أي موظف حكومي في مجلس الإدارة.

- أن تكون الجمعية غير ربحية، وإذا حققت ربحاً فيجب أن يذهب للهدف الأساسي التي قامت الجمعية لتحقيقه.

- أن تحكم وتدار ذاتياً، فلا يجب أن تحكم بأية قوة من خارجها.

- ألا تكون حزبية، أي لا ترتبط أساساً بأعمال حزبية محددة.

- يجب أن تشمل على درجة معقولة من المشاركة التطوعية، إما في الأنشطة التي تقوم بها المنظمة، أو في إدارة شؤونها، أو في دخلها. ولما كانت الجمعيات الأهلية العربية تختلف من حيث درجة استيفائها للشروط والخصائص المتعارف عليها علمياً، فإنه من الأوفق اعتماد التعريف القانوني، أي الجمعيات التي تعتبر أهلية بحكم خضوعها للقانون الخاص بهذه الفئة من المنظمات في كل في كل بلد عربي.

ووفقاً لخصوصية الدراسة، فإننا نضيف للتعريف:

- تلك الجمعيات التي تتوجه بأنشطتها مباشرة لخدمة الشباب.

- والجمعيات التي تخدم الشباب بشكل غير مباشر، أو تتضمنهم ضمن الفئات المستفيدة من برامجها.

وصنف البعض المنظمات الأهلية في ضوء علاقاتها المباشرة أو غير المباشرة بما هو سياسي، وهي علاقة تتراوح ما بين التدخل غير المباشر والواضح والسافر من الحكومة للتحكم في حركتها.

لقد صنف البعض هذه المنظمات في ضوء وظائفها التي تلخص أهدافها المحدودة إلى منظمات: علمية، وتعليمية ورياضية، وسياسية (الأحزاب)، ومطلبية (النقابات)، واقتصادية، ودينية.

كما صنفها البعض وفقاً لمعيار الفئة العمرية والاجتماعية، كالجمعيات المهتمة برعاية الأمومة والطفولة والمرأة، والشباب، والمسنين.

وصنف باحثون آخرون الجمعيات الأهلية في ضوء المصلحة التي تدافع عنها أو أهداف التغيير، كالتوجه إلى تحقيق مصالح أعضاء الجمعية، أو التوجه إلى المجتمعات المحلية المحيطة بالجمعية. وثمة جمعيات

تجمع في نشاطها بين الأهداف الداخلية القاصرة على أعضاء الجمعية، والخارجية الممتدة إلى المجتمعات المحلية أو المجتمع الكبير.

كما صنفها البعض على أساس القرب أو البعد عن العائلة، فيقال منظمات شبه عائلية، ومنظمات فئوية، أو مصلحة غير عائلية أو غير أسرية.

ت- التطوع:

التطوع هو جهد إيجابي يسهم به الفرد دون انتظار لأجر مادي، سواء بمفرده أو بالاشتراك مع غيره، نتيجة لدافع أو حالة نفسية تمر به تجعله يقبل على الإسهام في خدمة الغير بقصد إحداث تغير أفضل في بناء الإنسان المتطوع نفسه، وفي المجتمع أيضاً.

وهناك العديد من المهام التي يقوم بها الأفراد بطريقة تطوعية، مثل: تقديم الاستشارات، أو العناية بالأطفال، أو إنشاء مراكز للرعاية، أو مساعدة المعلمين في الفصول.. إلخ، وجميعها تمثل إضافات قيمة للخدمات التي تقدمها الحكومة. فالجهود التطوعية أساسية في حل النزاعات ورسم السياسات المجتمعية، كما أنها تلعب دوراً مهماً في مراقبة وضبط البيئة الطبيعية المحيطة. هذا، ويمكن تحديد التطوع إجرائياً من خلال:

- لا يبدأ التطوع من أجل الحصول على الأرباح المادية، فإذا ما تساوت المكافأة المالية أو فاقت قيمة الأجر المتعارف عليه في سوق العمل، فإن النشاط المعين لا يعتبر تطوعاً.

- يتم التطوع بناء على الإرادة والرغبة الحرة، فحينما تتيح الحكومات الفرصة للشباب في أداء الخدمة العامة كبديل للخدمة العسكرية فإن هذا لا يعتبر تطوعاً.

- يؤتي التطوع بفوائد لأطراف أخرى، كما يؤتي بالفوائد للمتطوعين أنفسهم.

تبنت الدراسة الراهنة مفهوم الشباب في مشروع تمكين الشباب العربي¹، وكان التحديد الإجرائي في ضوءه بأن شباب الدراسة هو:

- الشباب العربي.

وصنف البعض المنظمات الأهلية في ضوء علاقاتها المباشرة أو غير المباشرة بما هو سياسي، وهي علاقة تتراوح ما بين التدخل غير المباشر والواضح والسافر من الحكومة للتحكم في حركتها.

لا يبدأ التطوع من أجل الحصول على الأرباح المادية، فإذا ما تساوت المكافأة المالية أو فاقت قيمة الأجر المتعارف عليه في سوق العمل، فإن النشاط المعين لا يعتبر تطوعاً.

- الشباب الذي يتراوح عمره بين 15-29.

- الشباب من الجنسين (ذكور، وإناث).

- الشباب سكان: الحضر، الريف، البادية، المستوطنات، عشوائيات.

- الشباب المشارك في إدارة وأنشطة الجمعيات الأهلية، والشباب المستفيد من أنشطة هذه الجمعيات.

2- الإجراءات المنهجية:

اعتمدت الدراسة على الأسلوب الاستطلاعي الوصفي التحليلي، في محاولة لرسم صورة واضحة- قدر الإمكان- لفرص الشباب في الجمعيات الأهلية (المشاركة، والبرامج المقدمة إليهم)، وكذلك للمعوقات التي تحول دون مشاركتهم في الجمعيات بالاعتماد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، وصولاً إلى مقترحات عملية لتفعيل مشاركة الشباب في نشاطات الجمعيات الأهلية.

وتم اتباع أسلوب المسح بالعينة لإجراء دراسة ميدانية تعتمد على تطبيق استبانة موحدة لكافة الجمعيات الأهلية موضع الدراسة في البلدان العربية المختلفة، بهدف الوصول لبيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، في حدود عينة البحث

وقد أرسلت صحائف الاستبانة بالبريد الإلكتروني، مع الاستعانة بجهود ضباط اتصال المشروع بالبلدان العربية. كما أجرت الباحثة مقابلة جماعية بؤرية Focus group discussion لإقامة حوار معمق مع عدد 7 من الشباب المتطوعين في 7 جمعيات أهلية مصرية من الأعضاء المؤسسين وغير المؤسسين للجمعيات، للتعرف من خلالهم على فرص مشاركة الشباب في الجمعيات، والمعوقات التي تحول دون ذلك، وأيضاً للتعرف على مقترحاتهم لتفعيل المشاركة⁽²⁾. أيضاً تم إجراء بعض المقابلات العميقة مع عدد من المتطوعين في الجمعيات بالبلدان العربية المختلفة، والتي صادف وجودهم في القاهرة لحضور إحدى ورشات العمل ذات الصلة، والذي نظمته إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية⁽³⁾. إضافة إلى الاستعانة ببعض البيانات الخاصة بالجمعيات الأهلية من على مواقعها عبر الإنترنت؛ لسد النقص الناجم عن ضعف

اعتمدت الدراسة على الأسلوب الاستطلاعي الوصفي التحليلي. في محاولة لرسم صورة واضحة- قدر الإمكان- لفرص الشباب في الجمعيات الأهلية (المشاركة، والبرامج المقدمة إليهم)، وكذلك للمعوقات التي تحول دون مشاركتهم في الجمعيات بالاعتماد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، وصولاً إلى مقترحات عملية لتفعيل مشاركة الشباب في نشاطات الجمعيات الأهلية.

استجابة الجمعيات في الرد على الاستبانات.

أ- عينة الدراسة:

لقد تم اختيار عينة عمدية وعشوائية في نفس الوقت، عمدية من حيث اختيارنا للبلدان العربية وللجمعيات الأهلية العاملة في مجال الشباب على نحو مباشر، أو تتوجه بخدماتها إلى الشباب على نحو غير مباشر، كتلك العاملة في مجالات تنمية المعارف والمهارات الإلكترونية، أو التنمية بشكل عام، أو تلك التي تضع الشباب كأحدى الفئات التي تتوجه إليهم بمشروعاتها. أيضاً عشوائية من حيث الشباب الذي تم استيفائه للاستبانات، حيث تم الاستعانة ببيانات الشبكة العربية للمنظمات الأهلية كأطار لاختيار محاولات البحث وعينته. ونظراً لضعف استجابات الجمعيات، فقد جاءت عينة البحث معررة عن بعض الجمعيات في بعض الدول العربية، مما يحول دون الخروج بتعميمات عن الشباب في الجمعيات الأهلية. ومع هذا فالبيانات تلقي الضوء على خطوط عريضة مشتركة تنير الطريق أمام المهتمين بقضايا مشاركة الشباب. وشمل الشباب في الدراسات عدداً من الجمعيات من: الأردن، والبحرين، وسوريا، وفلسطين، ولبنان، ومصر.

وقد شملت الدراسة 31 جمعية أهلية، تجاوزت منها 20 جمعية بالرد عبر البريد الإلكتروني واستيفاء البيانات المطلوبة من خلال الاستبانات، ومن خلال إيفاد مسؤولين ومتطوعين من الجمعيات للمشاركة في المقابلة البؤرية الجماعية. وتم الرجوع إلى المواقع الإلكترونية الخاصة بـ 11 جمعية أهلية أخرى لتحقيق تمثيل أكبر للجمعيات الأهلية. وبذلك يكون مجموع الجمعيات مصدر البيانات 42 جمعية.

ب- أساليب التحليل:

تم تحليل نتائج الاستبانات كمياً من خلال المعالجة الإحصائية. وكذلك التحليل الكيفي لعبارات وآراء الباحثين حول فرص ومعوقات المشاركة.

ثانياً: أهم نتائج الدراسة

1- فرص الشباب في الجمعيات الأهلية

أ- مشاركة الشباب في مجالس إدارة الجمعيات:

أوضحت النتائج أن نسبة تواجد الشباب في مجالس إدارة الجمعيات الأهلية (عينة البحث) لا تزيد على (24.5%)، وتتفاوت النسبة من قطر عربي لآخر، حيث ظهر أدنى تمثيل للشباب في مجالس الإدارة في الأردن، وفي لبنان (14.2%، 17.5%). وجاء أعلى تمثيل لهم في مصر بنسبة (29.5%)، حيث استطاع بعض الشباب المصريين أن يؤسسوا جمعيات أهلية كل أعضائها من الشباب، ولم يواجهوا أي معوقات قانونية في التأسيس أو الإشهار - بحسب قولهم - فمناخ المجتمع المصري اليوم يدعم هذا التوجه، وقد استعان بعضهم في بداية التأسيس ببعض الخبراء من الكبار، بينما فضل آخرون الاعتماد على أنفسهم. والجمعيات المصرية من عينة البحث والتي اعتمد بناؤها المؤسسي بالكامل على الشباب تأسس معظمها بعد عام 1994م، غالبية أعضاء مجالس إدارات الجمعيات الأهلية العربية الأقدم من حيث النشأة ممن تعدوا الثلاثين من العمر، ويشكلون نسبة (75%) من إجمالي هذه العضوية.

وتشير هذه النتائج إلى أن الشباب العربي بحاجة إلى مزيد من فرص المشاركة في مراكز القيادة بالجمعيات، فبرغم وجود العديد من المبادرات الشبابية الناجحة، فإنها تعبر عن فئة من الشباب تم تمكينها بعد اكتسابها العديد من الخبرات، أو الدراسة المتميزة، وأصحابها ينتمون لخلفيات ثقافية متميزة. فعلى سبيل المثال، جميع أعضاء مجلس إدارة جمعيات الشباب للسكان والتنمية في المجتمع المصري والذين لا تزيد أعمارهم على 30 عاماً، كانوا قد سبق اختيارهم وتدريبهم لمدة 30 يوماً لتقويم قدراتهم ومهاراتهم، كي يتمكنوا من تنظيم كافة الجوانب داخل أعمال المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بالقاهرة، والذي عقد في سبتمبر 1994م، ومن خلال مشاركتهم، ونبعت لديهم فكرة الجمعية وقاموا بالفعل بتأسيسها. وغيرهم من شباب المؤسسين للجمعيات بعضهم حظوا بتعليم في الجامعات الأوروبية، وآخرون وجههم أبائهم المستنيرين.

إلا أن غالبية الشباب الذين لم تتوافر لهم مثل هذه الظروف فإنهم بحاجة إلى الدعم والتوجيه لمثل هذه المبادرات.

ب- الوظائف المتاحة للشباب داخل الجمعيات:

يمثل الشباب (53%) من الموظفين بأجر في الجمعيات. غير أن طبيعة الوظائف محددة، وتختص ما بين وظائف السكرتارية، والمحاسبة، ووظائف مسؤولي المشروعات. وقد تحتاج الجمعيات التي تقدم أنشطة الرعاية الصحية أو إكساب الشباب مهارات دخول سوق العمل إلى بعض الأطباء، ومهندسي الكمبيوتر والمتخصصين في تدريسه...، كما أن أعداد الموظفين في كل جمعية ضئيل، حيث يتراوح ما بين فرد إلى سبعة أفراد في المتوسط. ويشغل أصحاب المؤهلات الجامعية (76%) من هذه الوظائف، بينما تقل فرص أصحاب المؤهلات المتوسطة، والأقل من المتوسطة إلى (7%) لكل منهما. ويظهر أصحاب المؤهلات فوق الجامعية بنسبة (9.5%)، ويتركز وجودهم في جمعيات بعينها تحتاج لتخصصات دقيقة، مثل: الهيئة الفلسطينية للإعلام وتفعيل دور الشباب - بيالارا، ومعهد الملكة زين الشرف التنموي/ مركز الأميرة بسمة للشباب، وتشكل الإناث (66.6%) من نسبة الموظفين في الجمعيات الأهلية من عينة البحث.

- مشاركة الشباب في اقتراح مشروعات الجمعيات والتخطيط لها، وتنفيذها، ومتابعتها وتقويمها:

ظهر أكبر نسبة مشاركة للشباب في تنفيذ المشروعات، تلاه مشاركتهم في تقويم المشروعات، فاقتراحها، ثم متابعتها، وأخيراً التخطيط لها.

وقد تبين- من خلال المناقشة البؤرية الجماعية، والمقابلات المعمقة- أن الشراكة الحقيقية للشباب والتي تعني اعتبار الشباب مالكين حقيقيين للجمعية ومسؤولين عن اقتراح البرامج وتصميمها، وعن الإدارة والتخطيط والمتابعة... إلخ، تتحقق بشكل أكبر في الجمعيات التي أسسها ويديرها شباب، أي من الشباب للشباب، بينما في الجمعيات التي أغلب أعضاء مجالس إدارتها من الكبار، فإن فرص مشاركة الشباب تتمركز حول تنفيذ المشروعات، وقد يسمح لهم بإبداء الرأي واقتراح المشروعات أو ببعض المهام المحدودة التي تقدم مدخلات تسهم في التخطيط، أو بالمتابعة.. وقد ذكر بعض المتطوعين تجاربهم السلبية الناجمة عن عدم ثقة الكبار فيهم وما أصابهم من إحباط من جراء ذلك، وتفكيرهم في تأسيس جمعية مستقلة لتنفيذ

وتشير هذه النتائج إلى أن الشباب العربي بحاجة إلى مزيد من فرص المشاركة في مراكز القيادة بالجمعيات، فبرغم وجود العديد من المبادرات الشبابية الناجحة، فإنها تعبر عن فئة من الشباب تم تمكينها بعد اكتسابها العديد من الخبرات، أو الدراسة المتميزة، وأصحابها ينتمون لخلفيات اجتماعية وثقافية متميزة.

أفكارهم، وقد نفذوا بالفعل.

والتعلم، والحوار، والديمقراطية، والسلام، والصحة والبيئة.. إلخ، من خلال إقامة الندوات والمحاضرات والمؤتمرات، وإصدار المطبوعات، وتنظيم حملات لمكافحة المكيفات والمخدرات والإيدز. وتلا ذلك أنشطة التأهيل والتدريب على المهارات المطلوبة في سوق العمل (20%)، وشملت أنشطة لتعليم الكمبيوتر، وتعليم اللغة، وأنشطة للتأهيل والتدريب أيضاً على مهارات القيادة والحوار والإدارة وحل النزاع، ولعب دور سفير السلام (8%). فبعض الجمعيات تدرب الشباب على كيفية إعداد الخطب وإلقائها، كما تدربهم على المناقشة والحوار والمفاوضات، وإعداد الندوات، وتعدّد نماذج تدريبية لمجلس الشعب، أو الشورى، أو جامعة الدول العربية.. بحيث يمثل الشباب أدوار أعضاء البرلمانات والمؤسسات الهامة، ويتدربون من خلال أداء هذه الأدوار على المشاركة السياسية والقيادة. ولا تقتصر هذه الأنشطة على النماذج السياسية التدريبية، وإنما تمتد إلى النماذج الاقتصادية، كالبورصة على سبيل المثال.

وأيضاً شملت أنشطة الجمعيات المقدمة للشباب أنشطة ترفيهية تضمنت تنظيم الرحلات، والحفلات والمعسكرات، وعقد المسابقات والمهرجانات، وذلك بنسبة (8%)، ووردت أنشطة لخدمة البيئة والمجتمع المحلي بنسبة (6%)، وشملت أنشطة تشجير الشوارع، وزراعة أسطح المنازل، وإعادة تدوير القمامة، وأيضاً بناء عدد من المدارس الابتدائية المجانية، وفصول رياض الأطفال، وكذلك العيادات الطبية. كما اهتمت بعض الجمعيات بأنشطة البحوث والدراسات بنسبة (4%)، خاصة بحوث الشباب، فقد قامت إحدى الجمعيات باستطلاع أوضاع الشباب في عدد من البلدان العربية (لبنان، الأردن، فلسطين، اليمن) كمثال. وتوازي مع ذلك أنشطة مكافحة محو الأمية وتقديم دروس تقوية لطلاب المدارس بنسبة (4%)، تلاه بعض الأنشطة الخيرية القائمة على تقديم المعونات للأسر الفقيرة، وتقديم قروض صغيرة للشباب لإقامة مشروعات إنمائية صغيرة، ومحاولة مساعدتهم في الإنتاج والتسويق، وقد ظهرت هذه الأنشطة لدى الجمعيات بنسبة (3%) لكل منها. وتبنت بعض الجمعيات أنشطة لتفعيل مشاركة

ت- أولويات الجمعيات تجاه قضايا الشباب ومشكلاته

تركزت أولويات الجمعيات تجاه قضايا الشباب ومشكلاته حول محورين هامين هما: تنمية قدرات الشباب وإكسابهم مهارات حياتية تساعدهم في الدخول إلى سوق العمل (35%)، والتوعية والتثقيف في المجالات المتعددة: سياسية، وبيئية، وصحية، واجتماعية.. (28.5%)، والتي تضمنت التوعية بالمشاركة السياسية، ونشر ثقافة التسامح واحترام الآخر، وثقافة التطوع، وقضايا (الجنس)، وأيضاً التوعية بمخاطر الإيدز والمخدرات.. إضافة إلى العمل على محو ما يسمى بالأمية الإعلامية، ونشر ثقافة الديمقراطية، والدفاع عن حرية الصحافة. كما أوضحت النتائج أن العمل على إتاحة فرص المشاركة المجتمعية أمام الشباب، والعمل على إدماجهم في البناء المؤسسي للجمعيات الأهلية، ودعم مبادراتهم ومشاريعهم لتعزيز روح المبادرة والمشاركة لديهم هي إحدى أولويات الجمعيات وذلك بنسبة (15.5%)، تلاها العمل على إيجاد فرص عمل للشباب وتمويل مشروعاتهم (8%)، وأيضاً تنمية مهاراتهم الخاصة لتكوين كوادر شبابية قادرة على التواصل والحوار الديمقراطي (8%)، وأخيراً تبني الأفكار التنموية المبدعة للشباب ومحاولة تفعيلها بالتعاون مع متخذي القرار (1.6%)، ومحو الأمية والتي تتضمن فئات الشباب الذين لم يحظوا بفرص التعليم (1.6%)، والدعم النفسي للأطفال والشباب المتضررين من الأوضاع السياسية في فلسطين، أو محاولة تحسين أوضاع اللاجئين الفلسطينيين بما فيهم فئة الشباب في مخيمات لبنان (1.6%).

ث- أنشطة الجمعيات الموجهة للشباب:

تقوم الجمعيات بالعديد من الأنشطة التي تسعى من خلالها لتنفيذ أولوياتها - السالفة الذكر- تجاه قضايا الشباب.

وقد احتلت الأنشطة التثقيفية والتوعوية الصدارة في أنشطة الجمعيات، وذلك بنسبة (36%). وقد تضمنت التوعية بقضايا الصحة الإنجابية، وقضايا النوع الاجتماعي، وحق المشاركة والعمل

تركزت أولويات الجمعيات تجاه قضايا الشباب ومشكلاته حول محورين هامين هما: تنمية قدرات الشباب وإكسابهم مهارات حياتية تساعدهم في الدخول إلى سوق العمل (35%)، والتوعية والتثقيف في المجالات المختلفة سياسية، وبيئية، وصحية، واجتماعية.. (28.5%)

الشباب سياسياً، وقد ساعدتهم على استخراج بطاقات انتخابية وحثتهم على المشاركة، وجاءت هذه الأنشطة بنسبة (2%)، وتوازت معها أنشطة لوضع وتقييم وتطوير سياسات شبابية أو خطط وطنية معينة بالشباب (2%).

وأظهرت النتائج وجود أنشطة تعمل على بناء قاعدة بيانات خاصة بالشباب، وطالب الشباب - في العينة - ببلورة أدوات اتصال لتحقيق التبادل بين الفاعلين ونقل الخبرات والمكتسبات بين الشباب، وأيضاً أنشطة لتشجيع القراءة وعقد المسابقات، إضافة إلى إقامة منتدى لتبادل الأفكار التنموية بين الشباب، وقد وردت هذه الأنشطة بنسبة (1%) لكل منها.

أهداف البرامج والمشروعات المنفذة لصالح الشباب

تنوعت أهداف البرامج التي نفذتها الجمعيات الأهلية لصالح الشباب، والتي يمكن تفصيلها على النحو التالي:

- إنتاج مورد للمعلومات الأساسية الصحية للشباب مرفق بنسخة إلكترونية على قرص مدمج.

- بناء وتطوير صفحة إلكترونية للشباب والصحة على الإنترنت.

- إنتاج دليل عمل يتوجه للأهل وللعاملين مع الشباب ووسائل الإعلام.

- تنفيذ دراسات واستطلاعات حول المواقف والسلوكيات الصحية لدى الشباب في خمس بلدان عربية.

- إقرار حق الشباب في المعرفة والمشاركة في عملية تخطيط وبناء البرامج وتنفيذ أهدافها وأنشطتها المختلفة ومخرجاتها.

- تحفيز الشباب من الفئة العمرية 18-25 على المشاركة في الانتخابات البلدية عن طريق الاقتراع والترشيح.

- تفعيل دور الشباب لاختيار من يمثلهم في مجلس الشعب (البرلمان) عن طريق استخراج عدد 4000 بطاقة انتخابية للمواطنين.

- تأهيل عدد من الناشئين المشاركين في مشروع

برلمان الشباب البحريني.

- إعداد مدربي حقوق الطفل.

- خلق حوار أوروبي عربي شبابي، من خلال عقد عدة جولات في أوروبا والمنطقة العربية، وإقامة مخيمات ومهرجانات شبابية عربية وأوروبية.

- التوعية بأسباب النزاعات والتدريب على حلها، ولعب دور سفير السلام.

- تعليم مهارات التعامل مع الحاسب الآلي.

- تعليم مهارات الإدارة التنفيذية المتقدمة، كالتسويق والتراكم الاستراتيجي، ومهارات التحليل والمناقشة، مع الاستعانة بأكفأ أساتذة الجامعات العالمية لتحقيق هذا الغرض.

- تعليم مهارات القيادة.

- تكوين مجموعة شبابية للتعرف على آراء الشباب فيما يتعلق بمشروعات البنك الدولي في قطاعات مختلفة، بهدف وضع آراء واهتمامات الشباب في الخطط التنموية الخاصة بالبنك الدولي، وتعريف الشباب بطبيعة عمل هذا البنك.

- زيادة وعي الشباب بأهمية المحافظة على البيئة، واستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في رصد وتحليل القضايا البيئية، وتطبيق المنهج العلمي في دراستها، وتفعيل الحوار والمشاركة والجهود بين الأطراف المعنية بالقضايا البيئية.

- تفعيل دور الجمعيات الأهلية في تقديم خدمات في مجال الصحة الإنجابية.

- إعداد قيادات طلابية لتوعية أقرانهم بمخاطر المخدرات.

- الإعداد لتصميم دليل خاص بالصحة الإنجابية للفتيات حتى سن 35 سنة متعدد الأبواب والأهداف بطريقة غير تقليدية، تهدف إلى التفاعل الإيجابي للمشاركين عن طريق تدريب مجموعة من الفتيات على مهارات تصميم الدليل، وعقد مجموعة من ورش العمل لتنفيذ الدليل مع الاستعانة ببعض المتخصصين.

- إنشاء مركز تشغيل الشباب عن طريق برامج التدريب التحويلي.

وتبني بعض الجمعيات أنشطة لتفعيل مشاركة الشباب سياسياً، وقد ساعدتهم على استخراج بطاقات انتخابية وحثتهم على المشاركة. وجاءت هذه الأنشطة بنسبة (2%) فقط.

إقرار حق الشباب في المعرفة والمشاركة في عملية تخطيط وبناء البرامج وتنفيذ أهدافها وأنشطتها المختلفة ومخرجاتها.

مشاكلهم وهمومهم، وخلق كادر شبابي قادر على التعبير عما يريد أمام المسؤولين وصناع القرار، إضافة إلى خلق جيل من الصحفيين الشباب وتطوير مهاراتهم.

- الوقوف على أهم المشاكل التي تعاني منها فئة الشباب في المناطق المختلفة، وخصوصاً النائية.

- مكافحة التدخين بين الأطفال والناشئين.

- التوعية بمخاطر المخدرات، والإيدز، وقضايا الصحة الإنجابية.

- تنمية التفكير الإبداعي، وتزويد الشباب بمساحة آمنة للتعبير عن أنفسهم بطريقة فنية وخالقة.

- إكساب الشباب مهارات التيسير، ليتمكنوا من نقل المهارات التي اكتسبوها إلى نظائرهم للوصول إلى مبادرات شبابية، يتم من خلالها تنفيذ البرامج والأنشطة في مجتمعاتهم المحلية.

- تشكيل رأي عام شبابي ولوبي إعلامي رسمي لدعم التوجه الديمقراطي الحقيقي، ودعم حرية الصحافة.

- تقديم خدمات تعليمية من خلال فصول التقوية الدراسية للأطفال والشبيبة، إضافة إلى محو الأمية.

- توفير أنشطة وبرامج ترفيهية ورياضية وفنية وثقافية.

- تدريب الشباب على كيفية إدارة المشاريع.

إعداد الشباب المستفيد من المشروعات:

أوضحت النتائج أن أعداد الشباب المستفيد من البرامج والمشروعات تنخفض في حالة البرامج التدريبية المتخصصة، كالتدريب على مهارات الحاسب الآلي المتخصصة، وفي حالة البرامج التي تدعم المشروعات الصغيرة وتمنح قروضاً، حيث لا تتعدى أعداد الشباب المستفيد من المشروع بضع مئات، بينما تزداد أعداد المستفيدين من برامج تطوير مهارات الحياة الأساسية والقيادة لتصل إلى عدة آلاف، وترتفع كثيراً لتصل إلى عشرات الآلاف في برامج التوعية والتثقيف.

- مجالات مشاركة الشباب في المشروعات:

- إنشاء مركز عام للتطوع لتوفير فرص المشاركة في أعمال تطوعية لدى الشباب الذي لديه ميول تطوعية.

- تأسيس منتدى المهتمين بالحفاظ على نهر النيل من التلوث والهدر بالمشاركة مع أربع جمعيات أهلية عاملة في هذا النطاق.

- وضع توصيات مؤتمر القاهرة الدولي للسكان والتنمية (سبتمبر 1994) الخاصة بالشباب موضع التنفيذ عن طريق تدريب 200 شاب وشابة من القيادات في مجالات المهارات الحياتية والثقافية الأسرية، ثم يقوم هؤلاء الشباب بتنفيذ برنامج "من الشباب وإلى الشباب" مع زملائهم ورفاقهم في المرحلة العمرية من 18-25 عاماً في محافظات متعددة من مصر، باستخدام دليل يهدف إلى تقديم خلفية علمية لموضوعات تدريبية تلائم اهتمامات وتطلعات الشباب، وتنمية معلوماتهم ومهاراتهم في ممارسة شئون حياتهم العملية للقيام بأدوارهم في الأسرة والعمل والمجتمع بنجاح.

- طالب الشباب بتطوير مراكز الشباب وتأسيس مراكز للتطوع داخل كل واحد منها.

- صقل مهارات طلاب المدارس لتخطيط وتنفيذ مبادرات محلية، إضافة لنشر مفهوم التطوع بينهم.

- الوصول لنموذج من التنمية المعتمدة على الشباب، والتي يمكن تطبيقها في كافة القرى والمدن.

- التخفيف من حدة الآثار النفسية والاجتماعية التي تعاني منها فئة الأطفال والشباب في فلسطين، من خلال جلسات التفريغ النفسي، ومساعدتهم على إيجاد الحلول للمشاكل التي يعانون منها وإشراكهم في النشاطات الإعلامية للهئية، وخصوصاً برنامج على صوتك الذي يبتث على شاشة تليفزيون فلسطين.

- تكوين أسر مدرسية في عدد من المدارس الحكومية تهدف لزيادة وعي الشباب بقضايا الديمقراطية، والمشاركة، والانتخابات، والمواطنة.. إلخ.

- اقترح الشباب من الدراسة الميدانية إنشاء منصة إعلامية، يستطيعون من خلالها التعبير عن

- التخفيف من حدة الآثار النفسية والاجتماعية التي تعاني منها فئة الأطفال والشباب في فلسطين، من خلال جلسات التفريغ النفسي، ومساعدتهم على إيجاد الحلول للمشاكل التي يعانون منها وإشراكهم في النشاطات الإعلامية للهئية، وخصوصاً برنامج على صوتك الذي يبتث على شاشة تليفزيون فلسطين.

- شارك الشباب بشكل فاعل- في إنجاز برامج ومشروعات الجمعيات الأهلية، وتنوعت أشكال المشاركة فيما يلي:
- اقتراح بعض المشروعات ومفرداتها، والمساهمة في كافة مراحلها من التخطيط إلى التنفيذ والتقييم.
- تنفيذ الأعمال الميدانية في مشروعات خدمة وتنمية المجتمع، ومنها: دهان وترميم بعض المنازل، والمساهمة في نظافة وزرع الأشجار.
- المشاركة في إجراء البحوث والدراسات الميدانية.
- تنظيم جلسات نقاشية للشباب بمراكز الشباب.
- وضع خطة عمل متعددة المحاور لمبادرة تنمية بعض القرى.
- استخراج بطاقات انتخابية.
- المشاركة في أنشطة كشفية متنوعة، منها: اللقاءات الأسبوعية، والرحلات، والعسكرات، والمسرحيات، وتنظيم أيام رياضية وفنية وروحية، وحفلات سمر.
- التوعية والتدريب "من الشباب للشباب".
- مساعدة الفئات المستهدفة في تكوين الأسر المدرسية.
- المشاركة من خلال الكتابة الصحفية، والإبداعية، والمشاركة في كافة مراحل إنتاج برنامج تليفزيوني.
- عوامل نجاح مشروعات الشباب:
- من بين أهم عوامل نجاح مشروعات الشباب التي نفذتها الجمعيات حول النقاط التالية:
- مشاركة الشباب في مختلف مراحل المشروع.
- اختيار المشروع بناء على دراسة احتياجات الشباب والمجتمع.
- التنفيذ بناء على دراسة.
- التعاون الجيد بين الشركاء في المشروع.
- الاستفادة من الخبرات السابقة لفريق العمل.
- وجود شبكة علاقات جيدة للجمعية مع الجمعيات الأخرى.
- حسن اختيار فريق العمل.
- التعاون بين الجمعيات والجهة الممولة، والجامعات، والمدرسين، ومراكز الشباب.
- التدريب والإشراف المستمرين على عمل كوادر المشروع من قبل الجمعية.
- تعاون المؤسسات الرسمية والأهلية على إنجاح المشروع.
- تعاون الفئة المستهدفة.
- ثقة المجتمع المحلي بالجمعية الأهلية.
- وجود التمويل اللازم، والدعم المعنوي للمشروع.
- مرونة المشروع من حيث التعديل والتغيير بناء على التغذية المرتدة من الشباب في المجتمعات المحلية.
- المتطوعون الشباب
- خصائص الشباب المتطوع (من غير المؤسسين وأعضاء مجالس الإدارة):
- ازدادت نسبة تطوع الشباب في المرحلة العمرية من (20-30) عاماً في مقابل المرحلة العمرية الأقل من الـ (20)، والأكثر من الـ (30)، حيث شكل المتطوعون، في الجمعيات الأهلية الذين تقع أعمارهم من (20-30) 75% من نسبة المتطوعين باستثناء بعض الجمعيات التي ازدادت نسبة المتطوعين في المرحلة العمرية تحت العشرين مثل الهيئة الفلسطينية للإعلام وتفعيل دور الشباب - بيلارا، حيث مثل المتطوعون بها في المرحلة العمرية تحت العشرين 100%.
- وكان أكثر المتطوعين في الجمعيات الأهلية من الحاصلين على مؤهلات جامعية ومن طلاب الجامعات، وذلك بنسبة 88.5%.
- وتساوت أعداد المتطوعين من الذكور والإناث.
- كما ذكر المسئولون عن الجمعيات الأهلية أن الشباب الأكثر تطوعاً هم ممن ينتمون إلى المستوى الاقتصادي الاجتماعي المتوسط، يليهم أصحاب المستوى المرتفع، وتقل النسبة بين الشباب المنتمي للمستوى الاقتصادي الاجتماعي المتواضع.

أن أعداد الشباب المستفيد تنخفض في حالة البرامج التدريبية المتخصصة، كالتدريب على مهارات الحاسب الآلي المتخصصة، وفي حالة البرامج التي تدعم المشروعات الصغيرة وتمنح قروضاً

من بين أهم عوامل نجاح مشروعات الشباب التي نفذتها الجمعيات - مشاركة الشباب في مختلف مراحل المشروع - اختيار المشروع بناء على دراسة احتياجات الشباب والمجتمع.

وكان أكثر المتطوعين في الجمعيات الأهلية من الحاصلين على مؤهلات جامعية ومن طلاب الجامعات

يقبل الشباب على المشاركة التطوعية في المجالات التي يشعر من خلالها بتحقيق أهداف هذه المجالات. وتلك التي تقدم له المعرفة. وتزيد من ثقته بنفسه.

جاءت الرغبة في اكتساب الخبرات كأحد أهم الأسباب الدافعة للتطوع لدى الشباب بنسبة 27%. تلاها محاولة استغلال وقت الفراغ بشكل مفيد بنسبة 18%. فحب الخير بنسبة 13.5%. كما ظهر الواجب السياسي بوصفه أحد الدوافع بنسبة 11%.

• وزادت نسبة التطوع بين الشباب الذي ما زال يدرس (طلاب الجامعات، فالمرحلة الثانوية)، حيث مثلوا نسبة 58% من المتطوعين.

حجم المشاركة التطوعية

- أوضحت النتائج أن 50% من الجمعيات (عينة البحث) تقل أعداد المتطوعين بكل منها عن خمسين متطوعاً، وفي 25% من الجمعيات تتراوح أعداد المتطوعين بكل منها بين خمسين إلى مائة متطوع، ويزيد أعداد المتطوعين ليعتدوا ما بين (400-500) متطوع في 8.5% من الجمعيات، والجمعيات التي حظت بأكثر من ألف (1000) متطوع بلغت نسبتها لإجمالي الجمعيات من عينة البحث 16.5%

- وذكر المسؤولون عن الجمعيات الأهلية أن حجم المشاركة التطوعية بين الشباب يتزايد مع مرور الوقت ولا يتناقص، وذكر هذا الرأي بنسبة 75%، إلا أن استمرار المتطوعين في العمل التطوعي بالجمعية لا يمتد لفترات طويلة وينقطع بعد فترة، وذكر هذا الرأي بنسبة 75% أيضاً.

مجالات التطوع الأكثر تفضيلاً لدى الشباب:

يقبل الشباب على المشاركة التطوعية في المجالات التي يشعر من خلالها بتحقيق أهداف هذه المجالات، وتلك التي تقدم له المعرفة، وتزيد من ثقته بنفسه، حيث إن خبرة المعرفة والتمكين من تطبيقها تسعد الشباب، لإحساسه بأنه مشارك فاعل حقيقي. كذلك يقبل الشباب على التطوع في المجالات التي يشعر بمردودها السريع على الآخرين أو على نفسه.

وتتباين المجالات التي يفضلها الشباب بتباين شخصياتهم، وثقافتهم، وانتماءاتهم الطبقية. فالشباب من ذوى الثقافة المحافظة لا يتحمسون لقضايا الصحة الإيجابية على سبيل المثال.

ويعد التدريب من أكثر المجالات التي يقبل عليها المتطوعون، فهو يشعر بذاته من خلال تدريبيه لآخرين مماثلين لعمره (ذكرت هذه الملاحظة

بنسبة 22.5%). كذلك يقبل الشباب على الأنشطة التي تتطلب السفر وتمكنه من معرفة الآخر (التبادل الشبابي، المخيمات..الخ)، وذكرت هذه الملاحظة بنسبة 16.5%.

كذلك يقبل الشباب على أنشطة مساعدة الأسر الفقيرة وكفالة الأيتام، وأيضاً الأنشطة البيئية (ذكرت هذه الملاحظة بنسبة 11% لكل منها)، وتلا ذلك إقبالهم على الأنشطة التوعوية، والتنظيم للندوات والمؤتمرات وإعداد المطبوعات (وذكر هذا بنسبة 8% لكل منها). كما أوضحت النتائج إقبال الشباب على الأنشطة التي تتعلق بموضوعات العلاقات بين الجنسين، والتسامح الديني، وقد ورد هذا بنسبة 5.5%، تلاه تفضيل الأعمال الإدارية 5%، أيضاً أقبال بعض الشباب على المجالات التي تمنحه عائداً مادياً، وعلى مجالات خدمة المجتمع المحلي، ومحو الأمية، ونشاطات وحدة الإعلام، وقد ذكرت هذه الملحوظات بنسبة 2.5% لكل منها.

دوافع التطوع

- جاءت الرغبة في اكتساب الخبرات كأحد أهم الأسباب الدافعة للتطوع لدى الشباب بنسبة 27%. تلاها محاولة استغلال وقت الفراغ بشكل مفيد بنسبة 18%. فحب الخير بنسبة 13.5%. كما ظهر الواجب السياسي بوصفه أحد الدوافع بنسبة 11%. تلاه الحاجة لتحقيق الذات بنسبة 9%. فالرغبة في الحصول على مركز أو عمل أفضل (6.8%)، ثم الشعور بالواجب الديني بنسبة 6.5%. فالرغبة في كسب شعبية بين المواطنين (4.5%)، وقد ذكر أحد المتطوعين أنه وضع في مواقف كان يحتاج فيها للعون، لذا فقد شعر بالآخر وبأهمية التطوع (2%).

- وقد ذكر المتطوعون بنسبة 57% أن الأصدقاء هم من وجهوهم للتطوع. كذلك ظهرت الأسرة كموجه للتطوع لدى 21% من المتطوعين، بينما استطاع الإعلام أن يلعب هذا الدور لدى 14% منهم، وذكر البعض الصدفة كسبب قاده للتطوع (7%).

المواقف الإيديولوجية للمتطوعين:

- لم تظهر النتائج ارتباطاً دالاً بين إقبال الشباب على التطوع، وبين اعتناقهم أو انتمائهم لأيديولوجيات محددة، سواء ليبرالية أو اشتراكية. بل إن نسبة 41.5% من المتطوعين الشباب يعتقدون أن النظام القادر على تحقيق التنمية ليس ليبرالياً، ولا اشتراكياً، وإنما هو نظام مختلط منهما. بينما يؤمن 33% من المتطوعين بقدرة النظام الاشتراكي على تحقيق التنمية، في مقابل 25% يؤيدون النظام الرأسمالي.

- كما لم ترتبط المشاركة التطوعية للشباب بمشاركتهم السياسية، حيث إن نسبة 54.5% من المتطوعين لا يشاركون في الانتخابات ببلاذهم(****).

2- معوقات مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية:

أبرز معوقات مشاركة الشباب في تأسيس وعضوية مجالس إدارة الجمعيات الأهلية:

- أوضح المتطوعون من الشباب (غير المؤسسين للجمعيات) أن ضعف تواجدهم في مجالس إدارة الجمعيات يرجع إلى الأنظمة الداخلية للجمعيات، والآلية التي يتم بها تداول السلطة، فنمط الإدارة يستبعد الشباب، "والكثير من الجمعيات التي تدمج الشباب في هيئتها الإدارية تستخدمه كديكور للتعبير عن الديمقراطية، لكنه يظل بلا دور فاعل حقيقي، وإذا حاول التمسك برأيه قد يعزل من مجلس الإدارة". إضافة إلى أن لبعض الأقطار العربية خصوصية تعوق إدماج الشباب في مجالس الإدارة، فالسعودية كمثال: "أغلب رؤساء جمعياتها الأهلية من الأمراء والأميرات، وإذا أرادوا إدماج الشباب بحثاً عن دماء جديدة وأفكار جديدة، فإن رئيس أو رئيسة الجمعية هو أو هي من تختار هؤلاء الشباب". وفي لبنان، فإن القانون اللبناني يمنع الشباب تحت 20 سنة أن يؤسسوا جمعية أهلية أو أن يكونوا أعضاء مؤسسين، وترى إحدى المتطوعات اللبنانيات أن هذا يتعارض مع حقوق الإنسان والدعوة لأن يكون للطفل من 15 سنة حقوق الانتماء والتخطيط والتنفيذ، وتشير إلى أن هذا القانون مأخوذ من القانون

العثماني القديم إبان الانتداب الفرنسي، وأنه لم يطرأ عليه أي تعديل حتى وقتنا الراهن، معللة ذلك بأنه "قانون يناسب مصالح الطبقة الحاكمة، فالشباب إذا أسسوا جمعية وصاروا بالهيئة الإدارية، من الممكن أن يغيروا صنع القرار". كما أوضح بعض المتطوعين أن عدم الوعي والمعرفة بالفرص المتاحة أمام الشباب في هذا المجال، إضافة إلى عدم ثقة الشباب في أنفسهم وقدراتهم وتؤثر في مشاركتهم، كما أن الحالة الناجمة عن الإحباط المتولد من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الوطن العربي- بجانب عوامل أخرى- إلى إجماع الشباب عن تأسيس وعضوية مجالس إدارة الجمعيات الأهلية. وركز البعض على نظم التعليم في المجتمعات العربية، والتي تعد من أبرز معوقات مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية، نظراً لأنها تغفل التفكير النقدي الإبداعي، ولا تدعم الأنشطة القائمة على فكرة المشاركة وخدمة المجتمع المحلي، وهي بشكل عام لا تهئ الشباب للعمل السياسي أو التطوعي، باستثناء بعض الجامعات التي تعد الطالب لمثل هذه المهام، كالجامعة الأمريكية، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

- بينما ذكر أعضاء مجالس الإدارة عدم توافر الإمكانيات المادية الخاصة بتوفير المقر ومستلزماته كأحد أهم معوقات مشاركة الشباب في تأسيس وعضوية مجالس الإدارة، وذلك بنسبة 25%، تلاه عدم معرفة الشباب بالسبل القانونية لإنشاء الجمعية، وكذلك المشكلات الخاصة بالتمويل، وذلك بنسبة 21.5% لكل منهما، كما اتفقوا في الرأي مع شباب المتطوعين في أن نمط الإدارة يستبعد الشباب، وذكر هذا الرأي بنسبة 18.5%، إضافة إلى ما قرروه بشأن عدم توافر المهارات الفنية اللازمة للإدارة 12.5%.

أسباب عدم إقبال الشباب على التطوع في الجمعيات الأهلية بشكل عام:

أوضح المسؤولون عن الجمعيات الأهلية أن من أهم أسباب نقص المتطوعين من الشبان هو تفضيل العمل

لم تظهر النتائج ارتباطاً دالاً بين إقبال الشباب على التطوع، وبين اعتناقهم أو انتمائهم لأيديولوجيات محددة. سواء ليبرالية أو اشتراكية. بل إن نسبة 41.5% من المتطوعين الشباب يعتقدون أن النظام القادر على تحقيق التنمية ليس ليبرالياً، ولا اشتراكياً، وإنما هو نظام مختلط منهما.

- "صراع الأجيال في الجمعيات يؤدي لعدم استمرارية الشباب".

- "المشروعات طويلة المدى التي تحددها الجمعيات لعملها تحبط المتطوعين، حيث لا يشعرون بالردود الفوري لنتائج عملهم، مما يدفعهم لعدم الاستمرارية في التطوع".

- "عدم وجود حوافز مادية ومعنوية تمنح للمتطوع".

- "عدم الوعي بمفهوم التطوع"، "غياب ثقافة العمل التطوعي".

- "الشباب لا يعي الفوائد التي تعود عليه من التطوع، سواء من اكتساب خبرات، أو مهارات".

- "عدم اهتمام الإعلام بإلقاء الضوء على نماذج ناجحة من شباب الناشطين وتكريمهم لجعلهم قدوة يحتذى بها".

- "التركيب الهرمي الإداري الذي يستخدم الشباب كأدوات لتنفيذ ما يراه الكبار".

- "ينسحب الشباب المتحمس صاحب المبادئ والراغب في الإصلاح والتغيير إذا شعر بتغليب المصالح الخاصة على المصالح العامة، ويستمر أصحاب المصالح".

2- معوقات مشروعات الشباب في الجمعيات الأهلية:

جاء على رأس المعوقات التي تحول دون تنفيذ ونجاح الكثير من مشروعات الشباب التي تتبناها الجمعيات الأهلية المشكلات الخاصة بالتمويل، وذلك بنسبة 63.5%، خاصة وأن رأس المال الوطني غير واع بدوره التنموي، وأحياناً لا يتفق في الجمعيات الأهلية، ومن ثم فالبديل هو التمويل الأجنبي، والذي يمنح للمشروعات التي تتفق وأهدافه وسياساته، ومن ثم فالعديد من المشاريع التي لا تتفق وهذه الأهداف تجهض لنقص التمويل اللازم لها.

وكذلك يعد عدم تعاون المؤسسات الحكومية مع الجمعيات الأهلية أحد المعوقات، وأيضاً عدم تعاون الفئات المستفيدة، وعدم توافر الخبرات اللازمة لإدارة وإنجاح بعض المشروعات، هذا إضافة إلى بعض

بأجر مجز، وكثرة الأعباء التي تقع على عاتقهم وتحول بينهم وبين التطوع، وتلا هذا عدم ثقة الشباب في الجمعيات الأهلية، إضافة إلى عدم معرفة الشباب بكيفية الوصول للجمعيات.. وبالنسبة للشابات المتطوعات، فإن نقص مشاركتهن يرجع لنفس الأسباب سالف الذكر، علاوة على العادات والتقاليد التي تعوقهن عن المشاركة.

أما عن الأسباب التي ذكرها شباب المتطوعين عن إحجام الشباب عن العمل التطوعي، أو تراجعهم عنه بعد فترة من التطوع فجاءت على ألسنتهم وبأقلامهم كالتالي:

- "يشعر الشباب بعد فترة من التطوع، بالجمعيات أنهم مستغلون، وأنهم يمثلون جهاز سخرة للجمعيات، فالجمعية تقوم باستخدامهم لأنهم عمال بلا أجر..".

- "عدم ثقة الشباب في الجمعيات الأهلية، وشيوع فكرة أنها أقيمت لخدمة مصالح مؤسسيها، وليس لتحقيق المصلحة العامة".

- "ليس للتطوع مردود مادي، والشباب خاصة الذكور مهمومون بتكوين أنفسهم، بالبحث عن العمل، وشراء منزل وتأسيسه، وامتلاك سيارة.. إلخ".

- "الشعور بعدم جدوى ومصدقية المشاريع الشبابية التي تنفذها الجمعيات".

- "يفقد المتطوعون حماسهم بعد فترة، وقد ينسحبون نتيجة للروتين الإداري والبطء في الإجراءات، حيث يستغرق المسؤولون عن الجمعية وقتاً في بحث المشروعات، ومدى جدواها، مما يفقد المتطوعين الحماس ويشعرهم بالملل".

- "ضيق الوقت، خاصة في فترات الدراسة والعمل، وعدم القدرة على التوفيق بينهما".

- "سيادة الروح الانهزامية عند الشباب، وضعف ثقتهم في قدراتهم على التغيير والإصلاح والمشاركة".

- "لا مبالاة الشباب، وتفضيلهم لقضاء وقت الفراغ مع الأصدقاء وفي اللهو والترفيه بدلاً من التطوع".

بينما ذكر أعضاء مجالس الإدارة عدم توافر الإمكانيات المادية الخاصة بتوفير المقر ومستلزماته كأحد أهم معوقات مشاركة الشباب في تأسيس وعضوية مجالس الإدارة، وذلك بنسبة 25%. تلاه عدم معرفة الشباب بالسبل القانونية لإنشاء الجمعية، وكذلك المشكلات الخاصة بالتمويل، وذلك بنسبة 21.5% لكل منهما

"يفقد المتطوعون حماسهم بعد فترة، وقد ينسحبون نتيجة للروتين الإداري والبطء في الإجراءات، حيث يستغرق المسؤولون عن الجمعية وقتاً في بحث المشروعات، ومدى جدواها، مما يفقد المتطوعين الحماس ويشعرهم بالملل".

المعوقات الإدارية، وأحياناً تفضل بعض المشروعات لصعوبة التنسيق بين أوقات الدراسة والامتحانات، ومواعيد ورش العمل الخاصة بالمشروع، وبعضها لا ينجح لتصادم أهدافه مع الثقافة التقليدية السائدة، كتلك المشروعات ذات الصلة بقضايا النوع.

3- مقترحات تفعيل مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية:

مقترحات جذب الشباب للعمل التطوعي:

- دمج الشباب في إدارة الجمعيات، وفي اقتراح وتخطيط وتنفيذ ومتابعة وتقييم المشروعات.
- من الضروري احترام المتطوع وإشعاره بقيمته الذاتية، وعدم النظر إليه باعتباره عمالة رخيصة.
- تقديم الحوافز المادية للمتطوعين، وتوفير بدل انتقالات ووجبات طعام.
- نشر ثقافة العمل التطوعي عبر الإعلام، وبواسطة رجال الدين، والمناهج الدراسية.
- اهتمام الجمعيات بالأنشطة المرتبطة بالتبادل الشبابي، والسفر، والعسكرات والمخيمات، والأنشطة الترفيهية، باعتبارها أنشطة جاذبة للشباب.
- استثارة الحس الوطني لدى الشباب، وإبراز دور المجتمع المدني والجمعيات الأهلية في النهوض بالمجتمعات العربية.
- العمل على تنويع الأنشطة الموجودة بالجمعية.
- العمل على تنويع وتعدد البرامج التدريبية والتأهيلية لتنمية قدرات ومهارات الشباب، سواء في مجال تخصصاتهم أو اهتماماتهم.
- تنفيذ المشروعات والبرامج التي تتناول قضايا الشباب.
- تأسيس شبكة إنترنت فاعلة تسهم في نشر ثقافة التطوع، وتعلم الشباب بأماكن الجمعيات الأهلية، وكيفية الانضمام لعضويتها، وتسهم في دوام التواصل بين المتطوعين والجمعية، وفيما بينهم.
- تشجيع الدولة للشباب الناشط، ومنحه جوائز معنوية، وإبرازه كقدوة.

- كسر الحاجز النفسي بين مدير المشروع والمتطوعين، وأن يشاركهم العمل والتنفيذ يدا بيد، وأن يعقد معهم علاقات صداقة، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم الشخصية.

- ضمان تحقق المتعة والمرح والترفيه أثناء العمل.

- خلق فريق من المتطوعين يمثلون نواة في قراهم ومجتمعاتهم المحلية، مما يقلل الجهد الذي يبذله الشباب القروي المتطوع في الانتقال من مقر سكنه إلى أماكن المشروعات،

- و يمكنه من التطوع في أوقات فراغه بعد العمل مساء على سبيل المثال، وهو ما يصعب فعله حال بعد المسافة.

- أن يكون مدرب الشباب ومدير المشروع أقرب إلى أعمارهم وله كاريزما خاصة، مما يجعله قدوة يحتذونها، ويؤجج فيهم الحماس.

مقترحات تفعيل مشاركة الشباب في تأسيس وإدارة الجمعيات:

- التعامل وفقاً لمفهوم شراكة الشباب وليس مجرد مشاركتهم.

- تعديل الأنظمة الداخلية للجمعيات، وإيجاد آلية ديمقراطية تسمح للشباب بالوصول لمراكز اتخاذ القرار، بحيث تكون التركيبة الإدارية للجمعيات ديناميكية وليست هرمية من خلال انتخابات دورية، وإعادة النظر فيما يتعلق بعمر الرئيس ومدة انتخابه..

- تطوير القوانين بكل الدول العربية، بحيث تسمح للشباب بتأسيس وإدارة الجمعيات الأهلية.

- التمثيل النسبي / نظام الحصص لضمان مشاركة الشباب في مراكز القيادة.

- العمل على إدراج ممثلين للشباب والشابات في المجالس واللجان.

- التشجيع والدعم.

- إيجاد فرص تمويل ومساعدات من رجال الأعمال لتحفيز الشباب على تأسيس جمعيات وإدارتها.

- تهيئة وتعزيز الفرص أمام الشباب لمعرفة حقوقهم

تأسيس شبكة إنترنت فاعلة تسهم في نشر ثقافة التطوع، وتعلم الشباب بأماكن الجمعيات الأهلية، وكيفية الانضمام لعضويتها، وتسهم في دوام التواصل بين المتطوعين والجمعية، وفيما بينهم

- ومسئولياتهم.
- تأهيل وتدريب الشباب على مهارات القيادة والإدارة، على أن يتم التدريب من الشباب للشباب، وأن يتضمن التدريب دليلاً ذا محاور: الإدارة ، التخطيط ، المتابعة ، التقييم، تعبئة الموارد و كتابة المشروعات.. إلخ.
- تفعيل أدوار الشباب ومشاركتهم في مراحل العمل، بداية من اقتراح المشروعات، مروراً بالتخطيط والمتابعة وحتى التقييم.
- مقترحات لتطوير الجمعيات الأهلية العاملة في مجال الشباب:
- من الضروري مراجعة قوانين وإنشاء الجمعيات والسماح بمساحة أكبر من حرية الحركة.
- تأسيس اتحاد للجمعيات.
- الخروج بخطة خمسية للجمعيات ومراجعة تنفيذها، وبلورتها من خلال خطط سنوية.
- مساندة المؤسسات الحكومية للجمعيات بما يخدم أهداف الجمعيات، وليس بإدارة أهداف الجمعيات وفقاً لتوجيهات المؤسسات السياسية، حتى يكون الدعم المحلي والعربي وفقاً للتوجهات الأهلية العربية، وليس العكس.
- فصل العمل التطوعي عن العمل السياسي الديني.
- إنشاء موقع إلكتروني لتبادل المعلومات والخبرات الخاصة بالجمعيات الأهلية العاملة في مجال الشباب.
- تفعيل الاستراتيجيات والدراسات الخاصة بالشباب.
- إيجاد فرص للمشاركة مع الهيئات الحكومية العاملة في مجال الشباب.
- عقد لقاءات دورية بين الجمعيات والهيئات الأخرى.
- التوجه بحملة إعلامية مدروسة للشباب لنشر ثقافة التطوع يتبناها الإعلام الحكومي.
- نشر ثقافة العمل الأهلي بين طلاب المدارس والجامعات.
- تحديد أولويات برامج الجمعيات بناء على دراسات ومسوح سابقة.
- أن تخصص كل جمعية في موضوع أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر لضمان جودة العمل وكثافة الإنتاج.
- إجراء دراسة للتعرف على أساليب عمل الجمعيات والمشاكل التي تواجهها لتحديد هذه المشاكل والعقبات.
- عدم التركيز على موضوعات بعينها في البرامج التدريبية الموجهة للشباب مهما زادت أو قلت درجة أهميتها، ومراعاة التنوع والإلام بكل ما يلبي اهتمامات الشباب المتباينة.
- تطوير البرامج التدريبية وتحديثها.
- مواصلة التعرف على وتحديد احتياجات الشباب المتجددة والمتغيرة بتغير الأحداث والتطورات المجتمعية والتكنولوجية.
- أن تلتزم الجمعيات الأهلية بمعايير للجودة، ولا يسمح لها بالاستمرار دون تحقيقها.

مساندة المؤسسات الحكومية للجمعيات بما يخدم أهداف الجمعيات، وليس بإدارة أهداف الجمعيات وفقاً لتوجيهات المؤسسات السياسية، حتى يكون الدعم المحلي والعربي وفقاً للتوجهات الأهلية العربية، وليس العكس.

الهوامش:

- (1) انظر: إدارة السياسات السكانية والهجرة، قضايا الشباب العربي، الإصدار الأول، الحالة المعرفية للمنتج البحثي حول الشباب، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القطاع الاجتماعي، القاهرة، 2005.
 - (2) تمت المقابلات بجمعية شبابية هي جمعية نهضة المحروسة ، عابدين، القاهرة.
 - (3) إدارة السياسات السكانية والهجرة، ورشة عمل سياسات المشاركة والتمكين، مارس 2005.
- كان من أهم صعوبات الدراسة ندرة الدراسات والبحوث السابقة حول الموضوع، وضعف استجابة الجمعيات، وهو نفس الموقف الذي سبق حدوثه في دراسة الإسكوا التي تمت الإشارة إليها في مصادر الدراسة، وكذلك ضيق الوقت المحدد للدراسة، وضعف الإمكانيات المادية والتي لا تسمح بالسفر إلى بعض الأقطار العربية لدراسة الجمعيات الأهلية بها دراسة تسمح بتقديم صورة دقيقة عن واقع المشاركة.

مشاركة الشباب العربي: التحديات وآفاق التفعيل دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي

رغم الأهمية المتوقعة لمشاركة الشباب والآمال التنموية المعقودة عليها، فيندر أن تجد

دراسة ميدانية شاملة- نسبيًا- حول أبعاد ومجالات ومحددات مشاركة الشباب العربي. فكل ما هنالك عبارة عن تساؤلات جزئية متناثرة بين ثنايا

البحوث والدراسات الفردية غالباً. فعندما حاول

مشروع "تمكين الشباب العربي"- الذي يعد العمل

ليكون أحد نشاطاته- أن يبحث عن معلومات

وبيانات تساعد على صياغة مؤشرات وقرائن حول

مشاركة الشباب العربي، لم يجد منها ما يسعف

في هذا الأمر، ولهذا اهتم المشروع بإجراء دراسة

استطلاعية على عدد محدد من جمعيات الشباب،

ليستطلع فرص ومعوقات مشاركة الشباب فيها،

وكما أوصت الندوة العلمية التي أنجزها المشروع

حول مشاركة الشباب مارس 2005، بإجراء دراسة

علمية تسعى إلى توفير بيانات وقرائن تسهم في

بلورة صيغ وآليات ومحفزات مشاركة الشباب؛ ولهذا

كانت الدراسة الراهنة استجابة علمية لمعالجة حالة

الوهن المعرفي الذي تعاني منه مشاركة الشباب

العربي.

أولاً: في أهداف الدراسة ومنهجيتها:

1- أهداف الدراسة

- اتفقت أهداف الدراسة الميدانية مع

أهداف التقرير الراهن، فكان السعي إلى: توفير

بيانات ومعلومات علمية حول واقع مشاركة

الشباب، وما تواجهه من تحديات عند ممارستها،

والفرص المتاحة أمامه والتي يمكن أن تتاح لتفعيل

هذه المشاركة، وذلك:

- لإثراء البيانات والمعلومات المتاحة لتعميق بيانات التقرير.

- تيسير توظيف المعلومات التي تصل إليها الدراسة

في تطوير السياسات المعنية بتمكين الشباب عامة،

وتفعيل مشاركته تحديداً.

• تساؤلات الدراسة

في ضوء استقراء لما هو متاح من أدبيات حول

مشاركة الشباب العربي- رغم محدوديتها- أمكن

استخلاص الملاحظات التالية التي تمثل إطاراً أولياً،

لبلورة تساؤلات الدراسة¹.

- إن الشباب لا يعرف الفرص المتاحة لمشاركته.

- إن الشباب يعزف عن المشاركة السياسية، لأنه لا

يثق في نتائج ممارستها:

• فهو لا يجد جدوى منها.

• إن الكبار لا يتيحون للشباب فرص

المشاركة، خاصة الآباء.

• لا توجد صيغ ملائمة لمشاركة الشباب.

• إن التحديد العمري لممارسة الانتخاب

والترشيح في الانتخابات يستبعد الشباب.

• إن هناك قيما تحول دون مشاركة الشباب

عامة، والشابات خاصة.

• إن بعض الشباب ليس لديه وقت للمشاركة

(بسبب التعليم أو العمل).

• إن من أهم أولويات بعض الشباب البحث

عن فرصة عمل.

- إن بعض الشباب أكثر ميلاً للمشاركة في الجمعيات

الأهلية:

• لأنها تتيح له فرص التعبير عن نفسه.

• لأنها تتيح فرص تطوير قدراته ومهاراته.

• لأنها تتيح له فرص العمل لبعض الوقت.

رغم الأهمية المتوقعة لمشاركة الشباب والآمال التنموية المعقودة عليها، فيندر أن تجد دراسة ميدانية شاملة- نسبيًا- حول أبعاد ومجالات ومحددات مشاركة الشباب العربي. فكل ما هنالك عبارة عن تساؤلات جزئية متناثرة بين ثنايا البحوث والدراسات الفردية غالباً

والأساتذة في العلوم السياسية والاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع. وتم مناقشة نتائجها من خلال ورشة عمل أعدت خصيصاً لهذا².
وأما عن مجالات الدراسة

يشمل الإطار البشري الشباب العربي في الفئة العمرية 15-29 عاماً ومن كل البلدان العربية، وتطلعت الدراسة إلي تمثيل فئات الشباب المختلفة حسب: السن، النوع/ التعليم. من ترك التعليم ومن أنهاء، العمل، البطالة، الإقامة في الريف والحضر.

وتعد عينة الدراسة عينة صدفة وشبه عمدية تجمع البيانات فيها من كل البلدان العربية بقر الإمكان، ومن خلال موقع المشروع وباستخدام البريد الإلكتروني، بواسطة الاستبيان الذي تم إعداده (الملاحق).

وقد شجع على إجراء الدراسة عبر البريد الإلكتروني إنجاز دراسة عالمية أجريت على الشباب وصل عدد من استوفوا بيانات الاستبيان الإلكتروني 1446 شاباً وشابة من 126 دولة، كان 29% من أمريكا الشمالية، و27% من إفريقيا و16.9% من آسيا والشرق الأوسط، و14.3% من أوروبا، و7.1% من بحر الكاريبي، و4% من جنوب ووسط أمريكا، وكان 75% منهم من فئة الشباب³ من 30 عاماً³.

• خصائص من استوفوا الاستبيان:

أولاً: أسفرت نتائج الاستبيان الإلكتروني عن مجموعة مهمة من خصائص من أجابوا عليه، من المؤكد أنها ستؤثر في المعرفة والموقف من المشاركة. وعلينا أن نلاحظ ابتداء كما ورد في الإطار النظري للعمل الراهن، إن الخصائص التالية وإن كانت تعبر مباشرة عن جوانب مهمة من خصائص الشباب الذي تفاعل مع الاستبيان، إلا أنها خصائص أتت نتاجاً مباشراً للأوضاع الاجتماعية الاقتصادية والثقافية المحيطة بالشباب. وحتى الفروق في المشاركة على أساس النوع بين الشبان والشابات. ورغم أنها بيولوجية عند الميلاد، أصبحت مع نمو الشباب والشابات محملة بأبعاد ثقافية، تنبع من وضعية نسق النوع الاجتماعي في المجتمعات العربية بكل ما يحمله هذا النسق من تمييزات تاريخية، بدأت

وبوسع المدقق في هذه الملاحظات أن يجدها بلا أي تضاريس اجتماعية اقتصادية ثقافية، فهي لم توضح أو تناقش حسب متغيرات محددة، كأن تقول خصائص من يعزفون عن المشاركة السياسية، ومن يقبلون على المشاركة في الجمعيات الأهلية، وهكذا.

ولهذا كان من الضروري صياغة تساؤلات أكثر ارتباطاً باستطلاع مجالات المشاركة وفرصها وموقف الشباب منها، وما الذي يقترحونه لتفعيل مشاركتهم في الصيغ المختلفة للمشاركة، لهذا أمكن صياغة التساؤلات التالية:

الأول: هل يشارك الشباب في المجالات والفرص المتاحة أمامهم: في الأسرة، نشاطات مدرسية، نواد، جمعيات، أحزاب سياسية، نقابات؟

الثاني: هل يحرص الشباب على المشاركة في الانتخابات المختلفة؟

الثالث: ما العوقات التي تحول دون مشاركة الشباب في الصيغ والمجالات المتاحة لمشاركتهم؟

الرابع: ما المجالات التي يفضل الشباب أن يشارك فيها أكثر من غيرها؟ ولماذا؟

الخامس: ما مقترحات الشباب لتفعيل فرص مشاركتهم الاجتماعية والسياسية؟

• المخرجات المتوقعة: دعم التقرير الراهن بالبيانات والمعلومات الأساسية الحديثة:

- بيانات حول مجالات المشاركة الفعلية
- مواقف الشباب المتباينة نحو المشاركة
- مقترحات لتفعيل مشاركة الشباب

2 • منهجية الدراسة ومقارنتها

اعتمدت الدراسة على مشاركة الشباب في تصميمها وإعداد أدوات جمع بياناتها، وعملية جمع البيانات، وفق مقاربة البحث التشاركية Research Participatory. ولتحقيق هذا تم عرض مسودة أولى لصحيفة استبيان جمع البيانات على مجموعة من الشباب لمناقشتها وتطويرها. باعتبارها منبها لابتدأ الحوار بشأن موضوع الدراسة ومحوها- من الشباب الجامعي ومن أنهى تعليمه، بواقع 10 حالات من كل مجموعة، بجانب خضوعها للتحكيم من قبل مجموعة من الخبراء

اعتمدت الدراسة على مشاركة الشباب في تصميمها وإعداد أدوات جمع بياناتها. وعملية جمع البيانات وفق مقاربة البحث التشاركية

وحتى الفروق على أساس النوع بين الشبان والشابات. ورغم أنها بيولوجية عند الميلاد، أصبحت مع نمو الشباب والشابات محملة بأبعاد ثقافية، تنبع من وضعية نسق النوع الاجتماعي في المجتمعات العربية بكل ما يحمله هذا النسق من تمييزات تاريخية.

جدول (1) توزيع عينة الدراسات على البلدان والأقاليم العربية

عدد	عدد	الإجمالي %
مصر	93	18
السودان	10	1.9
فلسطين	76	14.2
الأردن	39	1.6
سوريا	19	3.7
لبنان	13	2.5
العراق	54	10.5
مجموع المشرق العربي	304	58.9
ليبيا	20	0.4
تونس	16	3.1
المغرب	39	1.6
الجزائر	14	2.7
مجموع المغرب العربي	89	13.7
الكويت	1	0.2
الإمارات	2	0.4
السعودية	11	2.1
البحرين	37	7.2
قطر	1	0.2
عمان	1	0.2
مجموع بلدان الخليج	22	10.27
موريتانيا	2	0.4
جيبوتي	1	0.2
الصومال	1	0.2
جزر القمر	2	15.1
اليمن	64	17
مجموع البلدان العربية الأقل نمواً	70	17.25
المجموع الكلي	516	100

19 عاماً، وهو تمثيل يقربنا من فئة الشباب أكثر من اقترابه من عمر المراهقة. كما يعنى -من ناحية أخرى- الاقتراب أكثر من مجموعة من الشباب الأكثر نضجاً والأكثر خبرة بالمشاركة، حيث يتيح العمر الأكبر نسبياً -ولو نظرياً- تنوع فرص المشاركة التي يقابلها الشباب، سواء في الأسرة، أو المؤسسة التعليمية، أو منظمات المجتمع المدني، وغيرها.

- لقد ارتبط بالخاصية السابقة أن كان أكثر من ثلثي العينة بقليل 69.2% ممن أتموا تعليمهم، أما النسب الباقية فلاتزال في مراحل التعليم المختلفة، بين الإعدادي 8.8% والثانوي 12.6% والجامعي 78.6% وأما من أتموا تعليمهم بالفعل، فكان حوالي ثلاثة أرباعهم من الجامعيين 265 شاباً وشابة بنسبة 74.2% وكان حملة المؤهلات المتوسطة، الثانوي العام 10.4% والثانوي الفني 8.4% وبمجموع 18.8%، ويتبقى 7% فقط في مرحلة التعليم الإعدادي، وهم غالباً من فئة العمر 15 عاماً أو ما يزيد عنها قليلاً.

خطواتها بالتمييز في تقسيم العمل داخل وخارج دار الأسرة، وفي فرص التعليم والعمل المؤسسي، وعمقتها الصورة الثقافية التي أنتجتها الثقافة الذكورية والأبوية التي لاتزال تعيد إنتاج بعض عناصر تلك الصورة، رغم بعض التغيير في فرص المرأة العربية في التعليم، والعمل وبعض الحراك المهني والإداري وأحياناً السياسي.

ويمكن تلخيص أهم خصائص المشاركين في الاستبيان فيما يلي:

- وصل عدد الاستبيانات المتسوفة إلى 516 استبياناً، بعد استبعاد ما لم يتم استيفائه كاملاً. وكان توزيعها على البلدان العربية والأقاليم الفرعية كما في الجدول التالي، الذي يوضح أن أكثر من النصف بقليل كانوا من بلدان المشرق العربي، و13.7% من بلدان المغرب العربي، و10.27% من بلدان الخليج، والنسبة الباقية 16.27% من البلدان الأقل نمواً، وغالبيتها من اليمن بنسبة 15.1% من إجمالي العينة الكلية.

- رغم أن الاستبيان الذي جمعت بواسطته البيانات طرح ابتداء عبر الموقع الإلكتروني لمشروع تمكين الشباب العربي الذي تنجزه إدارة السياسات السكانية والهجرة بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان، على جميع الشباب والشابات العربيات القادرين والقادرات على التعامل مع شبكة المعلومات، وبدون أي تمييز، فإن الذين شاركوا فيه من الشباب كانوا ضعف الشابات تقريباً (334 شاباً بنسبة 64.7% مقابل 182 شابة فقط بنسبة 35.3%). ومع أن النسب معقولة علمياً، ومن أجل التحليل الإحصائي، فإنها تعكس أول مؤشرات التباين في المبادرة بالمشاركة بين الشباب والشابات. وهو مؤشر لا يخلو من معنى بالنسبة لفجوة النوع التي أنتجها سياق مجتمعي، أثر في وعي الشبان والشابات بأوضاعهم وقدراتهم، وفي سياق حالة الوعي المجتمعي السائد الذي يميز بينهم في المشاركة.

- كان 89.5% من العينة من الفئة العمرية 20- 29 عاماً، والباقي 10.5% من الفئة 15-

لم يسبق لهم الزواج إلى أقل من ثلاثة أرباع العينة بقليل (73.3%)، رغم أن الفئة العمرية الغالبة بين العينة 89% كانت ما بين 20-29 عاماً وهو ما يعني ضمناً تأخر سن الزواج نسبياً وارتفاع العمر عند الزواج الأول⁽⁵⁾.

كان حوالي ثمن العينة (12.6%) من الريف مقابل 87.4% من أبناء الحضر، ولا تعكس هاتان النسبتان التوزيع الفعلي للشباب العربي بين الريف والحضر، لأن الاستبيان كان إلكترونياً، وفرص التعامل مع الإنترنت في المناطق الريفية أقل بالتأكيد عنها في المناطق الحضرية في ضوء الملاحظات والمشاهدات الواقعية، فحتى من ليس لديه في بيته في الحضر إمكانية الاتصال بالإنترنت، فالفرصة متاحة نسبياً في المدارس والمقاهي والنوادي وبعض منظمات المجتمع المدني.

ثانياً: أهم نتائج الدراسة

1- الوعي بالمشاركة: المضامين والمدرجات

• المشاركة: المعنى والدلالات

من المفترض أن المعنى الذي يحوزه الشباب حول المشاركة يجسد في وعيه مدى أهميتها، أو العكس، وبالتالي تحفيز الرغبة- على الأقل- في المشاركة أو محاصرتها. ويوضح الجدول التالي، معنى المشاركة لدى الذكور والإناث في عينة الدراسة

وبوسع المتأمل في البيانات رصد بعض الملاحظات الهامة: أولاً أن الإجابات حول معنى المشاركة جمعت بين محددات المشاركة وخصائصها وجدواها أو فوائدها. وكان أكثر المعاني تكراراً

- كان العاملون ممن أنهوا التعليم 33.7%، والمتعللون ممن أنهوا تعليمهم وبيحثون عن عمل بنسبة 35.5%، وهي نسبة أعلى من متوسط نسبة البطالة في الإقليم العربي والمقدرة بحوالي 25.7% حسب بيانات منظمة العمل الدولية⁽⁴⁾، وإن كانت تقترب من نسب البطالة في بلدان أخرى خاصة بين المتعلمين.

- لقد حرص الاستبيان على سؤال شباب العينة عن القطاع الذي يعملون فيه، باعتبار تأثير بيئة العمل وعلاقاته والحقوق المترتبة عليها، ومدى الاستقرار في العمل من عدمه، وساعات العمل وما إلى ذلك، في التعامل مع فرص المشاركة خاصة الوقت والتكلفة. لقد أسفر الاستبيان عن أن النسبة الأكبر (41.1%) تعمل في القطاع الخاص المنظم أو المهيكل، مقابل 32.7% يعملون في القطاع الحكومي، وحوالي الخمس (20.7%) يعملون في القطاع غير المنظم أو غير المهيكل Informal الذي يغيب عن شروطه الكثير من الحقوق القانونية للعمل التي أقرتها القوانين العربية. أما النسبة الباقية وهي 5.5% فهي تعمل لحسابها الخاص. وتصل نسب العمل في القطاع الخاص بنوعية 61.8%، وهو ما يحتمل معه عدم توفر الوقت الذي يمكن أن يتاح للمشاركة، نظراً لطول ساعات العمل خاصة في القطاع غير الرسمي.

- تكاد تتفق بيانات الحالة الزوجية للعينة مع بعض مما هو شائع من خصائص هذه الحالة في المسوح والدراسات العربية ذات العلاقة، كما هو الحال في مسوح صحة الأسرة العربية. فقد وصلت نسب من

فقد وصلت نسب من لم يسبق لهم الزواج إلى أقل من ثلاثة أرباع العينة بقليل (73.3%)، رغم أن الفئة العمرية الغالبة بين العينة 89% كانت ما بين 20-29 عاماً وهو ما يعني ضمناً تأخر سن الزواج نسبياً وارتفاع العمر عند الزواج الأول

من المفترض أن المعنى الذي يحوزه الشباب حول المشاركة يجسد في وعيه مدى أهميتها، أو العكس، وبالتالي تحفيز الرغبة- على الأقل- في المشاركة أو محاصرتها

جدول (2) يوضح معاني المشاركة حسب متغير النوع

كلمة المشاركة تعني:	نسبة الذكور	نسبة الإناث
الشراكة في صناعة الحياة والمستقبل	10.8	17.8
أن تكون هناك فعاليات متنوعة تخدم الوطن العربي عموماً	12.5	14.9
بناء قاعدة بيانات دقيقة وصحيحة تبني عليها قرارات مهمة	7.9	2.4
هي حق من حقوق أي مواطن يعيش في إطار حكم سياسي يتمتع بالحرية والعدالة	7.9	19.8
هي أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من اتخاذ القرار	16.3	6.7
المساهمة في تطوير المجتمع	14.8	18.9
معرفة الآخر والحوار معه	5.1	4.5
التعاون من أجل إنجاز عمل ما	5.8	12.6
أن يكون الإنسان قادراً على العطاء بدون حدود	18.9	2.4
المجموع	100	100

هو الذي ركز على خصائص المشاركة باعتبارها شراكة وفعاليات وتعاون وجزءاً لا يتجزأ من اتخاذ القرار، ووصل مجموع هذه المتغيرات إلى 45.4% لدى الشباب مقابل 52% لدى الشابات، أتى بعدها عائدها المجتمعي- لتطوير المجتمع والتعرف على الآخر- بنسبة 12.9% لدى الشباب و27.4% لدى الشابات، ثم عائدها الفردي والجماعي خاصة قدرة الإنسان على العطاء بنسبة 18.9% لدى الشباب و2.4% لدى الشابات. وأما الملاحظة الثانية التي تستنتج مما سبق فهي أن جل المعاني والمضامين التي أخذت نسباً ملحوظة لدى الشابات كانت أكثر ارتباطاً بالدور المجتمعي للمشاركة والمعنية بالتنمية والعمل السياسي العام، في حين مالت إجابات الشباب إلى ما يتعلق بالدور الفردي أو الخاص للمشاركة، وبالمعنى الفني لها، يدل على هذا أن أعلى نسبة من إجابات الإناث هي التي اعتبرت المشاركة حقاً لكل المواطنين، في حين أن الأعلى نسبة لدى الشباب هو اعتبار المشاركة قدرة على العطاء، وأتى في المرتبة الثانية لدى الشابات أن المشاركة تعني المساهمة في تطوير المجتمع، يقابلها في نفس المرتبة لدى الذكور أن المشاركة جزء لا يتجزأ من اتخاذ القرار.

والذي يمكن أن تلفت نظرنا إليه هذه الملاحظة، أن الشابات بحاجة أكثر- ربما- من الشباب إلى تغيير في السياق العام للمشاركة، الذي لا يتجزأ أو لا ينفصل عن السياق العام المجتمعي الذي صنع ولا يزال صورة نمطية سلبية للشابات والمرأة العربية عموماً، ومن ثم كان اهتمامهن بالأبعاد العامة للمشاركة التي يرين تغييرها مقدمة لإتاحة فرصة لإثبات جدارتهن وقدراتهن.

-الخبرة السابقة والوعي بالمشاركة: الواقع والتقييم:

بلغت نسبة من لهم تجربة سابقة في المشاركة 58.5% من إجمالي العينة مقابل 41.5% لم يمروا بعد بتلك التجربة، وتبدو النسب منطقية إلى حد ما، لتنوع العينة بين ذكور وإناث، وبين من تعلموا ومن لم يستكملوا تعليمهم بعد، وبين من يعملون ومن يبحثون عن عمل. وكما سبقت الإشارة

في أعمال سابقة، فإن أهداف الشباب ومراميهم وحقوقهم- بما في ذلك حق المشاركة والوعي به- تتباين بتباين مراحل النمو النفسي والاجتماعي للفئة العمرية العامة للشباب بين مراهقة مبكرة ومتأخرة وبداية الولوج إلى مرحلة الشباب، فمن لا يزالون في التعليم-على سبيل المثال- يكون الانتهاء منه واستكمال هدهد أساسياً لهم⁶، بعكس من أنهوا التعليم ولم يعملوا بعد فإن هدفهم الأساسي يكون الإلتحاق بعمل... الخ، وأن فرص الطلاب في المشاركة تكون متاحة أكثر من خلال الإنجازات والنشاطات الطلابية، في حين أن من اتموا التعليم تكون الفرص المتاحة لهم أكثر في منظمات المجتمع المدني والانتخابات السياسية.

وإذا كان البعض يرى أن مشاركة الشباب في الانتخابات البرلمانية لا تعبر عن طموحاتهم وأدوارهم كقوة من قوى التغيير المجتمعي، وفي مقدمتها التغيير من خلال الانتخابات والافتراعات، فإن هذه الظاهرة تبدو كما لو كانت ظاهرة عالمية. ففي الانتخابات الفدرالية في كثير من الدول الصناعية، تتجه نسبة التصويت في الانتخابات إلى الانخفاض، خاصة بين الشباب، وكان انخفاضها قد بدأ بطيئاً في مجتمعات دون أخرى⁷.

ويدلل على علاقة خبرة الشباب السابقة بالمشاركة بخصائصهم، أن الشباب كانوا ذوي خبرة وتجربة أكبر بالمشاركة الثلثين 63.9% مقابل 36.1% فقط لدى الشابات. كما كانت تجربة من أنهى تعليمه 67.5%، وهي حوالي ضعف من لم ينه التعليم. وكانت لدى شباب الحضر 89.1% مقابل 10.4% فقط لدى شباب الريف.

وتجدر الإشارة إلى أن مجالات المشاركة في الخبرة السابقة تفاوتت بتفاوت خصائص عينة الدراسة، فأتى في مقدمتها المشاركة تطوعياً في جمعيات أهلية بنسبة 35.2% ثم المشاركة في النشاطات الطلابية بنسبة 25.3%، وهي نسبة مرتفعة إذا استدعينا النسبة السابقة لمن لم يزالوا في مرحلة التعليم، والتي بلغت 30.8% على مستوى إجمالي العينة. وتساوت المشاركة في الانتخابات البرلمانية مع المشاركة في نشاطات خدمية على مستوى المنطقة السكنية

ن جل المعاني والمضامين التي أخذت نسباً ملحوظة لدى الشابات كانت أكثر ارتباطاً بالدور المجتمعي للمشاركة والمعنية بالتنمية والعمل السياسي العام، في حين مالت إجابات الشباب إلى ما يتعلق بالدور الفردي أو الخاص للمشاركة. وبالمعنى الفني لها.

وكان المجال الثالث للمشاركة لدى من أنهى تعليمه هو المشاركة في الانتخابات البرلمانية بنسبة 17%، يقابلها المشاركة على مستوى المنطقة السكنية لدى من لم ينه تعليمه بنسبة 16.5%. فمن الطبيعي أن من لم ينه تعليمه يكون أكثر مشاركة في النشاطات الطلابية.

- التجربة السابقة والوعي بمعوقات المشاركة

بين الشبان والشابات أصحاب التجربة السابقة في المشاركة أن ثمة معوقات وخبرات سلبية ارتبطت بمشاركتهم في المجالات التي سبقت الإشارة إليها. وكان في مقدمة تلك المعوقات -على مستوى إجمالي العينة- عدم تقدير خبرات الشبان وقدراته على المشاركة بنسبة 27.3%، ثم سيطرة الكبار على عمليات وممارسات المشاركة بنسبة 20.4%، وأن المشاركة مكلفة مالياً بنسبة 16.3%، ثم عدم مراعاة وقت الشبان وعدم وضوح الهدف من المشاركة بنسبة 8% لكل منهما.

وبهذا اتفق الشبان والشابات على المعوقات الثلاثة الأولى وبنفس ترتيبها، مع فروق كمية محدودة، مما يعني أن المعوقات تكاد تكون مشتركة وعامة، وربما على مستوى المجتمع.

وإذا كان من أنهى التعليم ومن لم ينه هذا التعليم إتفقا على المعوقين الأولية، وبنفس الترتيب، وهما: عدم تقدير خبرات وقدرات الشبان، ثم سيطرة الكبار. فقد اختلفا في المعوق الثالث الذي عكس الظروف المتباينة للمجموعتين: حيث أجاب من أنهى تعليمه بأن المشاركة مكلفة مالياً

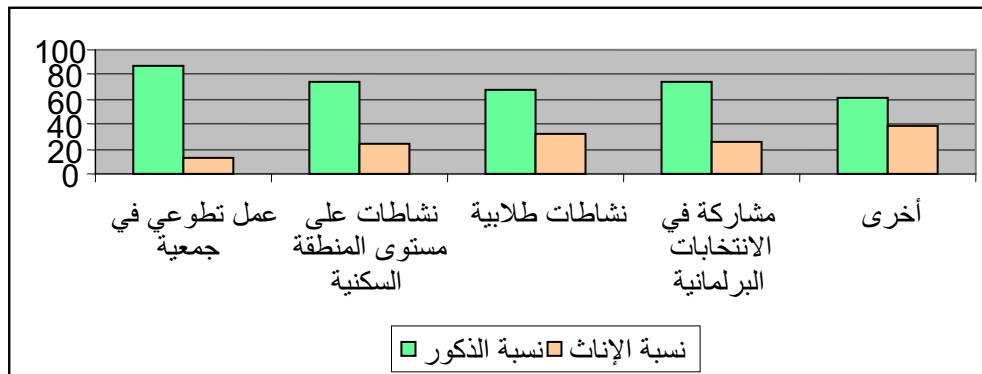
ولكل 15.8%. وتكشف نسبة المشاركة في الانتخابات البرلمانية عزوفاً عن المشاركة عن العمل السياسي العام، خاصة وأن 89.5% من العينة تقع أعمارهم في الفئة العمرية 20-29، وهي فئة تسمح لها قوانين الانتخابات البرلمانية في البلدان العربية بمشاركة الشباب، لأن غير قليل من هذه التشريعات يحدد عمر التصويت بثمانية عشر عاماً.

وبالنسبة لعلاقة مجالات المشاركة بالنوع الاجتماعي، فلم نجد إلا فروفاً محدودة في النسب، وفي عدد محدود من الأولويات، حيث أتت المشاركة في الجمعيات الأهلية (التطوع) في المرتبة الأولى بنسبة 33% و 39.4% لدى الشبان والشابات على التوالي وأتت المشاركة في النشاطات الطلابية في المرتبة الثانية بنسبة 25% و 25.3% للشبان والشابات على التوالي. وأتى في المرتبة الثالثة المشاركة في الانتخابات البرلمانية 12.4% و 12.9% لدى الشبان والشابات على التوالي. وإذا وضعنا في الاعتبار المعوقات التي تواجه الشابات حسب النوع الاجتماعي، والتي عبرت عن تمييز سلبي نحوها منذ التنشئة الاجتماعية في الأسرة وعلى مستوى غيرها من المؤسسات التعليمية والإعلامية، فإننا نكون بصدد تباين في نسب المشاركة ومجالاتها بين الشابات أكثر من الشبان⁸.

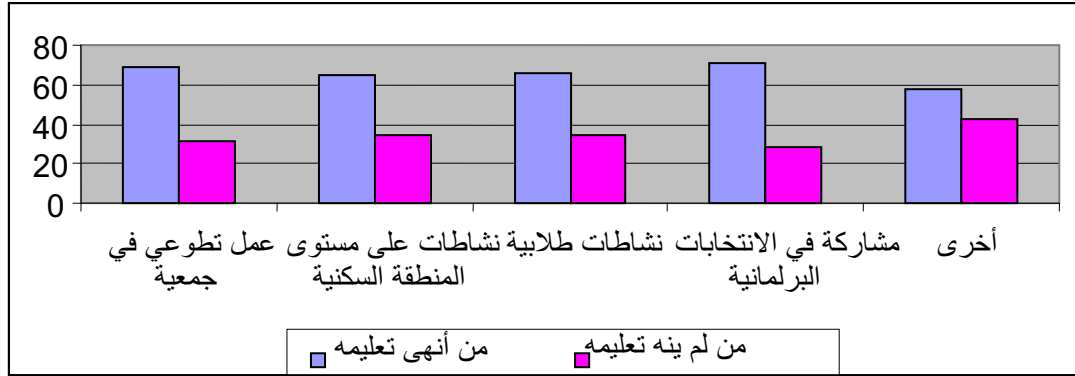
وكان أعلى مجال لمشاركة من أنهى تعليمه من الذكور والإناث في الجمعيات الأهلية بنسبة 63% و 33.1% على التوالي، وقابلها من حيث الترتيب لدى من لم ينته من التعليم بعد المشاركة في النشاطات الطلابية منه 24.6% و 26.2% على التوالي،

بين الشبان والشابات أصحاب التجربة السابقة في المشاركة أن ثمة معوقات وخبرات سلبية ارتبطت بمشاركتهم وكان في مقدمة تلك المعوقات -على مستوى إجمالي العينة- عدم تقدير خبرات الشبان وقدراته على المشاركة بنسبة 27.3%، ثم سيطرة الكبار على عمليات وممارسات المشاركة بنسبة 20.4%.

شكل (2) مجالات المشاركة في الخبرة السابقة



شكل بياني (3) مجالات المشاركة في التجربة السابقة حسب التعليم



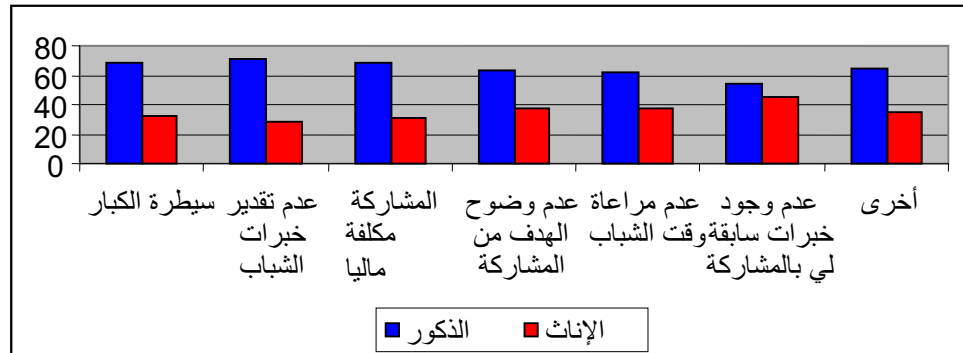
الشباب للاقتراع والاهتمام بالسياسية أجريت عام 2003، والتي تبين منها عدم اهتمام الشباب بعملية الاقتراع بنسب تراوحت بين 39% في الفئة العمرية للشباب 18-24 عاماً وبين 41% للفئة العمرية 25-34 عاماً، وكانت أهم أسباب عدم الاهتمام: لأحب المشاركة، أن التصويت لا معنى له، لم أتذكر مواعيدها- عملية الانتخاب عملية معقدة وشاقة. وأتت إجابات نسبة من الشباب 27% بأن لهم موقفاً سلبياً من المشاركة في الانتخابات للفئة العمرية 18-24 عاماً وبنسبة 32% للفئة العمرية الأكبر 25-34 عاماً، وتضمنت إجابات هذا الموقف: فقدان الثقة في المشاركة، ونقص المعلومات حولها. وأما المجموعة الثالثة التي تعزف عن المشاركة فكانت دوافعها ومبرراتها ذات طبيعة ذاتية شخصية بنسبة 43% في الفئة العمرية 18-24 وبنسبة 35% الفئة الأكبر، وتضمنت مبررات هذه المجموعة، الإنشغال في الدراسة أو العمل، بعد أماكن التصويت عن محل الإقامة، المرض، صعوبة المواصلات⁹.

مقابل عدم مراعاة وقت الشباب لدى من لم ينه تعليمه. فهم معظم ساعات النهار في المؤسسة التعليمية، وفي الساعات التالية إما هم مشغولون بالدراسة أو بالتزامات عائلية.

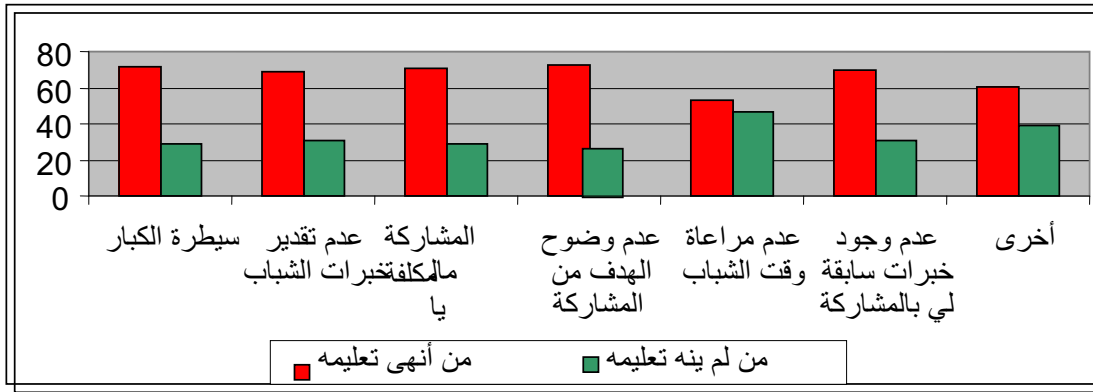
هذا، وقد تحددت المعوقات التي واجهت الشباب الريفي في عدم تقدير خبراته 29.1%، ثم التكلفة المادية 22.8%، وعدم ملاءمة الوقت 16.5%، خاصة وأن معظم نشاطات المشاركة تتركز في الحضر، وهي تتطلب وقتاً أكبر، ثم عدم وضوح الهدف من المشاركة بنسبة 5.1%. وهي معوقات ارتبطت بالبعد عن أماكن المشاركة وفرصها التي تتركز في الحواضر والمدن.. ويعكس هذا موقفاً مغايراً في الاتجاه العام للمعوقات التي واجهت شبان وشابات الحضر، والتي تمثلت على التوالي في عدم تقدير الشباب، ثم سيطرة الكبار، كما سبقت الإشارة.

وتكاد تلتقي البيانات السابقة حول المعوقات على مستوى الدراسة الراهنة مع بيانات دراسة أجريت في كندا حول انخفاض نسبة ممارسة

شكل بياني (4) لمعوقات المشاركة بين الذكور والإناث



شكل (5) يوضح معوقات المشاركة حسب الحالة التعليمية



كما بين تقرير التنمية البشرية الأودي للعام 2000 أن الشباب أظهر أدنى نسبة مشاركة بين جميع الفئات العمرية كمتقترعين بالانتخابات البرلمانية عام 1993 والبلدية عام 1995، حيث لم يشارك بها سوى 51% ممن تتراوح أعمارهم ما بين 19-29 عاماً، مقابل 60%-70% لمن هم أكبر عمراً¹³. وأكدت دراسة مصرية أجرتها وزارة الشباب عام 2005¹⁴ على سبعة آلاف شاب وشابة، أن 76% منهم ليس لديه بطاقة انتخابية، وأن من لم يشارك منهم في الانتخابات البرلمانية السابقة ممن لديهم بطاقات انتخابية كانوا بنسبة 26% فقط.

كما تماشى مع هذه النتائج استطلاع للرأى حول أسباب عزوف الشباب عن المشاركة في العمل التطوعي أجراه موقع صوت الشباب العربي لمشروع تمكين الشباب وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية، ورغم أن عدد المستجيبين كان محدوداً (79 شاباً وشابة فقط)، فإن البيانات تشير في اتجاه النتائج التي وصلت إليها الدراسات المشار إليها، فقد رأى 46.84% من المشاركين في التصويت أن عزوفهم عن المشاركة يرتبط بعدم

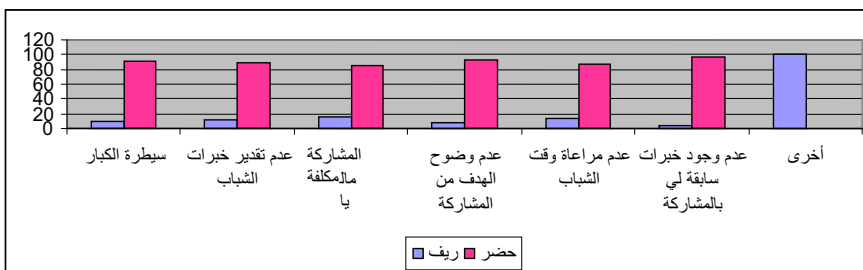
وثمة دراسات عربية أخرى تتماشى مع نتائج الدراسة الراهنة، منها: نتائج دراسة أجريت على عينة من الشباب التونسي أكدت تناقص مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية من 9.6% عام 1996 إلى 2% عام 2000. وأجابت النسبة الأكبر من الشباب بأنها غير راغبة في العمل التطوعي، بجانب عدم الاكتراث بالعمل السياسي والعمل العام رغم الاهتمام بالقضايا العربية الكبرى¹⁰. وهو ما أكدته دراسة حول الشباب المغربي حيث أجاب 55% من العينة بأنهم لا يكثرثون بالعمل السياسي؛ لعدم ثقتهم في المشتغلين به، وانعدام الشفافية والمساءلة وعدم الثقة في الأحزاب بنسبة 34%، وإن كان هذا لايعني عدم متابعتهم للأنشطة السياسية في الإعلام¹¹.

وأكدت المسوح الأودية حول الشباب انخفاض مشاركة الشباب بصفة عامة، حيث تشارك نسبة 7.6% فقط في مجالس الطلبة، و5.3% في النوادي الرياضية، و2.5% في جماعات دينية، و8% في منظمات أهلية، وبنسبة 0.2% في النقابات المهنية وفي الأحزاب السياسية¹².

وثمة دراسات عربية أخرى تتماشى مع نتائج الدراسة الراهنة. منها: نتائج دراسة أجريت على عينة من الشباب التونسي أكدت تناقص مشاركة الشباب في الجمعيات الأهلية من 9.6% عام 1996 إلى 2% عام 2000. وأجابت النسبة الأكبر من الشباب بأنها غير راغبة في العمل التطوعي. بجانب عدم الاكتراث بالعمل السياسي والعمل العام رغم الاهتمام بالقضايا العربية الكبرى

وأكدت دراسة مصرية أجرتها وزارة الشباب عام 2005¹⁴ على سبعة آلاف شاب وشابة، أن 76% منهم ليس لديه بطاقة انتخابية، وأن من لم يشارك منهم في الانتخابات البرلمانية السابقة ممن لديهم بطاقات انتخابية كانوا بنسبة 26% فقط

شكل (6) معوقات المشاركة في التجربة السابقة



نقتهم في العمل التطوعي. وأجاب 39.24% بأنه لا توجد فرص للمشاركة، في حين أن 13.92% من المشاركين في الاستطلاع أرجعوه لعدم اهتمامهم بالعمل التطوعي.

وبينت الدراسة (رغم محدودية عينتها) التي أجراها معدو تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، والتي أجريت على 112 مبحوثاً من 19 بلداً عربياً، أن أهم اهتمامات وشواغل الشباب العربي 16- 25 عاماً، كانت مشكلة البطالة بنسبة 45%، ثم مشكلات التعليم بنسبة 23%، ثم توزيع الدخل والثروة بنسبة 8%، وأخيراً المشاركة السياسية بنسبة 5%¹⁵. وأكد تقرير تنمية المرأة العربية الذي أصدره مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب (كوتر) حول الفتاة العربية المراهقة عزوف المراهقات عن المشاركة، خاصة السياسية¹⁶.

- مقترحات تطوير المشاركة في ضوء الخبرات السابقة:

وأما عن أهم مقترحات العينة للتخلص من المعوقات التي واجهت من لهم خبرة سابقة بالمشاركة، ففي ضوء الجدول التالي يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: وتتعلق بفرص المشاركة وظروفها بنسبة 26.67%، ومنها إيجاد فرص للمشاركة، وحازت على ثاني النسب في الترتيب 17.8%، وتعديل قوانين المشاركة وتطويرها بنسبة 8.7%، وحصلت على الترتيب السابع.

الثانية: وتتعلق بتنظيم عملية المشاركة، ووصل إجمالي نسب متغيراتها 35.4%، وتشتمل على اختيار النشاطات الملائمة لخبرات الشباب 12.6%، والحد من تدخل الكبار وسيطرتهم على ممارسات المشاركة بنسبة 12.4% (الترتيبان الرابع والخامس على التوالي)، ومراعاة وقت المشاركة وملاءمته لظروف الشباب (التعليم، والأعمال والأدوار الأسرية) بنسبة 10.3%، وحازت هذه النسب الترتيب الرابع والخامس والسادس على التوالي.

الثالثة: وترتبط بخصائص الشباب أنفسهم، كالرغبة في المشاركة والقدرة عليها، وبلغ مجموع متغيراتها 35.9%. واشتملت مقترحات الشباب على ضرورة تحفيز الشباب على المشاركة وجذبه إليها بنسبة 18.7%، وقد أتت في أعلى سلم كل المقترحات، مما يعني أهميتها من منظور الشباب، ومنها عدم الثقة في المشاركة، وعدم فائدتها وجدواها للشباب، واشتملت هذه المجموعة على ضرورة التركيز على تدريب الشباب والاهتمام بتنمية قدراتهم، وأتت في الترتيب الثالث على مستوى إجمالي نسب المقترحات 17.2%.

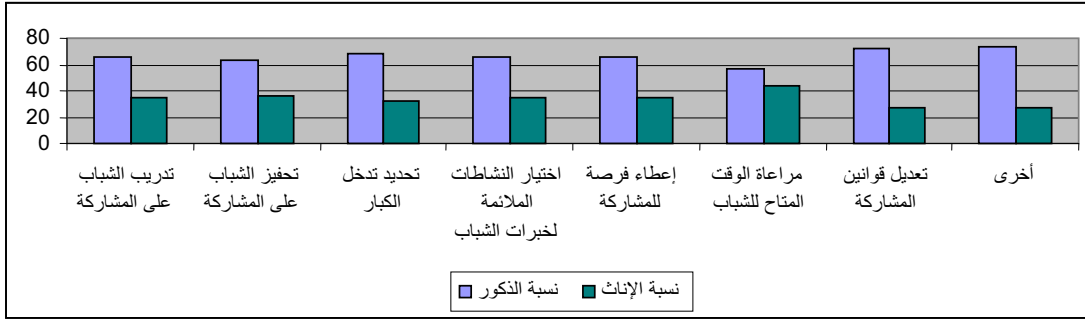
أما عن الإجابات الأخرى، فقد تمثلت في¹⁷: تحفيز ودعم مبادرات الشباب، ومرونة النظم واللوائح، إدخال الشباب دورات وورش عمل.

أهم مقترحات العينة للتخلص من المعوقات التي واجهت من لهم خبرة سابقة بالمشاركة، وتتعلق بفرص المشاركة وظروفها بنسبة 26.67%، ومنها إيجاد فرص للمشاركة، وحازت على ثاني النسب في الترتيب 17.8%، وتعديل قوانين المشاركة وتطويرها بنسبة 8.7%، وحصلت على الترتيب السابع.

جدول (3) حول مقترحات لتطوير المشاركة في ضوء الخبرة السابقة للشباب

البيان	العدد	النسبة
تدريب الشباب على المشاركة	52	17.2
تحفيز الشباب على المشاركة	56	18.7
تحديد تدخل الكبار	37	12.4
اختيار النشاطات الملائمة لخبرات الشباب	38	12.7
زيادة فرص المشاركة	54	17.9
مراعاة الوقت المتاح للشباب	31	10.3
تعديل قوانين المشاركة	26	8.7
أخرى	6	2.0
المجموع	300	100.0

شكل بياني (7) مقترحات الذكور والإناث لتجاوز المعوقات التجريبية السابقة في المشاركة



بنسبة 12.9%. وأما من لا يزالون في مراحل التعليم فقد اقترحوا ضرورة الحد من تدخل الكبار بنسبة 32.4%، وهو مطلب لا يعكس فقط هيمنة الكبار (المعلمين أساساً) على عمليات المشاركة، وإنما يعكس أيضاً وعلى نحو أوسع السلطة الأبوية في المؤسسات التعليمية، والتي تمثل علاقة شبيهة لعلاقة المتبوع والتابع، والتي غالباً ما تحاصر قدرات المتعلم، سواء في التعلم الذاتي أو المبادرة أو حتى الإبداع¹⁸.

ورغم أن فرص المشاركة تتركز في الحواضر العربية أكثر من القرى والأرياف، فإن أولويات شباب الحضر لتطوير المشاركة تمثلت في إيجاد فرص للمشاركة، يقابلها تحفيز الشباب على المشاركة ومراعاة تكلفة الوقت والانتقال، والتي أتت في المرتبة الأولى لدى شباب الريفي

2- المعرفة بالمشاركة: المجالات والمصادر

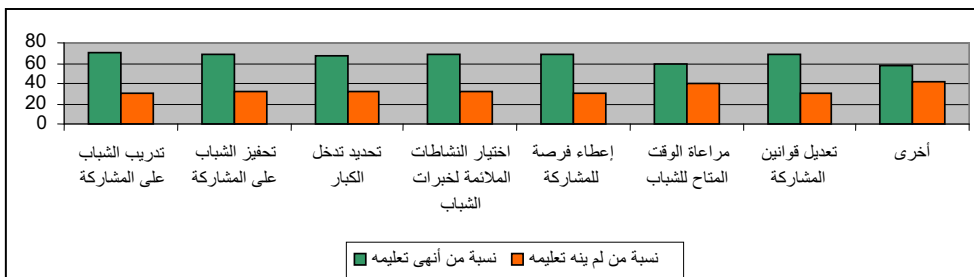
كما سبقت الإشارة في أكثر من مصدر علمي من مطبوعات مشروع تمكين الشباب العربي، وغيرها من الأدبيات العالمية والعربية، تتحدد مشاركة الشباب بعمليات أساسية تكاد تشكل وعي المشارك ورغبته في المشاركة هي: المعرفة بالمشاركة، والرغبة في المشاركة، ووجود فرص المشاركة،

ولقد أتت المقترحات الساعية إلي تجاوز معوقات المشاركة متباينة في الأولويات والنسب وإذا كان الشبان والشابات قد اتفقا على المقترحات الثلاثة الأولى تحفيز الشباب على المشاركة، وتطوير فرص المشاركة، والتدريب على مهاراتها وقواعدها فإنهم قد اختلفوا في ترتيب بقية المقترحات ونسبها، كما يبين الرسم البياني التالي:

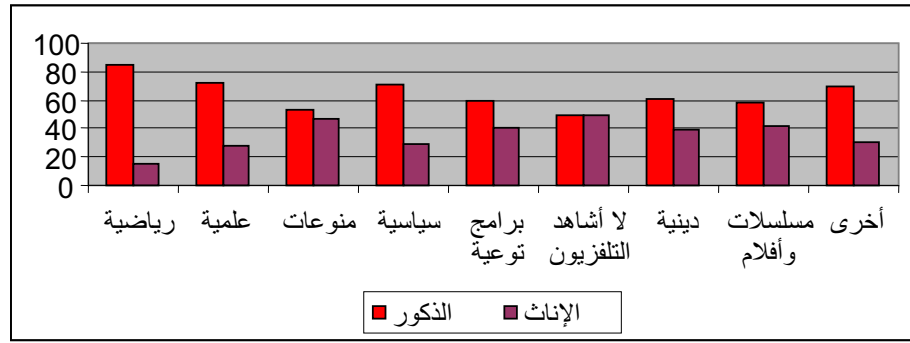
وإذا كانت إجابات العينة قد عبرت عن اتفاقها وفقاً لمتغير الانتهاء من التعليم أو الاستمرار فيه فيما يخص المقترحات الثلاثة الأولى: تحفيز الشباب، ثم تطوير فرص المشاركة، ثم التدريب على المشاركة، فقد تباينت الإجابات نسبياً وترتيباً بعد ذلك، من لا يزالون في مراحل التعليم رأوا أن أحد أهم معوقات مشاركتهم والمتمثلة في عدم ملائمة وقت المشاركة بنسبة 12.2% وفي الترتيب الرابع، وبالتالي طالبوا بعدم تعارضها مع استذكار السروس والواجبات المنزلية، كأن تكون أوقات المشاركة في بعض أيام العطلات، أو في مواقيت لا تتعارض مع أدوار الطالب والمهام التعليمية الملقاة عليه. وأتى في المرتبة الرابعة لدى من أنهى التعليم ضرورة اختيار النشاطات الملائمة لخبرات الشباب وتعديل قوانين المشاركة

وأما من لا يزالون في مراحل التعليم فقد اقترحوا ضرورة الحد من تدخل الكبار بنسبة 32.4%. وهو مطلب لا يعكس فقط هيمنة الكبار (المعلمين أساساً) على عمليات المشاركة. وإنما يعكس أيضاً وعلى نحو أوسع السلطة الأبوية في المؤسسات التعليمية، والتي تمثل علاقة شبيهة لعلاقة المتبوع والتابع، والتي غالباً ما تحاصر قدرات المتعلم، سواء في التعلم الذاتي أو المبادرة أو حتى الإبداع

شكل بياني (8) مقترحات تطوير المشاركة في ضوء التجربة السابقة حسب متغير التعليم



شكل بياني (9) البرامج المفضلة في التلفزيون حسب النوع



ولهذا أتت البرامج التلفزيونية في مقدمة المصادر حول المعلومات السياسية، حيث حصلت على أعلى التكرارات بين الشباب والشابات 342 تكراراً بنسبة 22.3% من إجمالي التكرارات، تلاها البرامج العلمية 249 تكراراً بنسبة 16.3%، ثم المسلسلات والأفلام 212 تكراراً بنسبة 13.9%

الشباب، سواء في متابعة البرامج التلفزيونية أو الموضوعات الصحفية، ويرتبط هذا بعوامل أخرى أثرت في الارتفاع النسبي لمن لهم تجربة سابقة في المشاركة، والتي بلغت أكثر من نصف العينة بقليل، عكس ما هو شائع في أدبيات غير قليلة حول عزوف الشباب عن المشاركة عامة، والسياسية على نحو أكثر تحديداً.

وفيما يتعلق بالبرامج التلفزيونية والموضوعات الصحفية التي حرصت عليها العينة على أساس النوع (الجنس)، فقد كان الشبان أكثر اهتماماً بالبرامج الرياضية بنسبة 85%، ثم البرامج العلمية 72.3%، ثم السياسية 71.1%، في حين كانت أولويات الشابات على الترتيب برامج المنوعات 46.6%، والمسلسلات والأفلام 41.5%، فبرامج التوعية 41%، وأتت متابعة البرامج السياسية في المرتبة الرابعة بنسبة 28.9%. وحدث نفس التباين في موضوعات القراءة في الجرائد، فكانت أولويات الشباب: الموضوعات الرياضية 83.6%، ثم العلمية 70.7%، ثم الاقتصادية 69%، وأتت الموضوعات السياسية في المرتبة الرابعة 68%. في حين أتت تفضيلات الشابات: الفنون والآداب 43%، ثم الموضوعات الاجتماعية 38.4%، وأتت الموضوعات السياسية في المرتبة الثالثة بنسبة 32% وأما عن الحرص على موضوعات بعينها في الجرائد بين من أنهى تعليمه ومن لم ينته منه، فكانت الأولويات لدى الفئة الأولى: الموضوعات الاقتصادية 79.2%، ثم السياسية 73.8%، ثم الاجتماعية 70.7%، وقابلها لدى من لم ينتهوا من التعليم بعد على الترتيب: الموضوعات العلمية 34.9%

ثم ممارسة المشاركة¹⁹. وكما وافانا تقرير القيم السائدة لدى الشباب العربي²⁰ يغلب على مصادر معارف الشباب الثقافة السمعية المتاحة من وسائل الإعلام خاصة التلفزيون، ومن شبكة المعلومات ومن الأصدقاء، ويدل على هذا أن 98.7% من عينة الدراسة الراهنة تشاهد التلفزيون وبنسبة كاسحة. ولهذا أتت البرامج التلفزيونية في مقدمة المصادر حول المعلومات السياسية، حيث حصلت على أعلى التكرارات بين الشباب والشابات 342 تكراراً بنسبة 22.3% من إجمالي التكرارات، تلاها البرامج العلمية 249 تكراراً بنسبة 16.3%، ثم المسلسلات والأفلام 212 تكراراً بنسبة 13.9%، ثم برامج التوعية وحصلت على 210 تكراراً بنسبة 13.8%، وأتى في الترتيب الرابع البرامج الرياضية 147 تكراراً بنسبة 9.6%، ثم برامج المنوعات 74 تكراراً بنسبة 11.4%، وأتى في آخر الترتيب البرامج الدينية 134 تكراراً بنسبة 8.8% من إجمالي التكرارات. هذا، ولا تعكس هذه التكرارات اهتمام الشباب بالشأن السياسي فقط، حيث توضح -أيضاً- اهتماماتهم وشواغلهم اليومية.

وأما بالنسبة لمن يقرءون الجرائد، والذين وصلت نسبتهم إلى 89% من إجمالي العينة فقد أتت الموضوعات السياسية أيضاً في مقدمة ما يقرءون وحصلت على أعلى التكرارات 347 تكراراً بنسبة 23%، ثم الموضوعات العلمية 215 تكراراً بنسبة 12.5%، فالفنون والآداب 200 تكراراً بنسبة 13%، وحصلت البرامج الدينية على أقل التكرارات 85 تكراراً بنسبة 5.7%.

وبهذا احتلت القضايا السياسية أولوية اهتمام

هي اقتدار الشباب وقدرته على المبادرة لتوظيف الفرص المتاحة للمشاركة لتغيير صورته النمطية السلبية، والإعلان عن جدارته بالمساهمة الحقيقية في مواجهة التحديات التي تحيط به، والتفاعل الإيجابي لتحقيق طموحاته المجتمعية والآمال

شغل الاهتمام بالمعلومات السياسية اهتمامات الشباب، وكانوا أكثر مشاركة في شبكة المعلومات وفي العمل التطوعي

التي يتطلع إليها.

ورغم تأكيد العمل الراهن وفي إطاره النظري تحديداً- على أن المشاركة فعل مجتمعي، فردي وجماعي، يتحدد بحصاد تفاعلات البنية الاجتماعية، ولذلك فإن أي تغيير مرغوب فيه يبدأ بالتفاعل مع الفرص المتاحة، لتوسيعها وتطويرها. ولهذا كانت المسلمة الأساسية لمشروع تمكين الشباب العربي هي أن تفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية تنطلق من أن النهوض بالشباب مقاربة أساسية لتحسين نوعية حياة المواطن العربي، باعتبار ما يحوزه الشباب من قدرات وخبرات تعليمه ومعرفية ومرونة، وقدرته على التعلم الذاتي الفردي والجماعي. فالشباب كما تتفق الأدبيات العالمية أحدى أهم قوى التغيير الاجتماعي في العالم المعاصر، إن لم تكن أهمها، لأنه المعني بالمستقبل أكثر من غيره من القوى الاجتماعية.

ورغم الانحسار النسبي لفرص المشاركة في المجتمع العربي ووجود نقائص ومعوقات في مواجهة التطوير الديمقراطي والإصلاح السياسي، فثمة فرص متاحة للمشاركة من أجل هذا التطوير. ولعل من الأسئلة المركزية في التقرير الراهن: هل استطاع الشباب العربي- في حدود عدد من استوفي الاستبيان- توظيف الفرص المتاحة للمشاركة من عدمه؟ وما دلالات التعامل معها، إقداماً أو إحجاماً؟ وما ينطوي عليه كل منها من دواع ومبررات؟

لقد ولدت إجابات الشباب انطباعاً تأويلياً مفاده أن إجابات من لم ينته من التعليم بدت نمطية وكأنها "محفوطة من الذاكرة نتيجة لعملية التلقين السائد

ثم المسلسلات والأفلام 33.5%، فالموضوعات الرياضية 32.7%، ويعكس هذا طبيعة المرحلة العمرية ونوعية المشاغل اليومية بين من أنهوا التعليم وبين من لم ينتهوا منه بعد.

إن ما تجسده البيانات السابقة، ورغم التباينات في متابعة القضايا والموضوعات في التلفزيون والصحف، إلا أن الاهتمام بالمعلومات السياسية، وإن احتل أماكن بارزة نسبياً وسط الاهتمامات الأخرى، فإنه يصعب فصله تماماً عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية، لارتباطها جميعاً بعضها البعض.

- نشاطات الوقت الحر: القراءة والعمل التطوعي:

يدلل توظيف الوقت الحر على جدية شباب العينة في استثماره وتوظيفه، إنه توظيف يواجه الانطباعات السائدة حول تعامل الشباب مع الوقت والتي تذهب إلى اتجاهه لاستهلاكه بالجلوس على المقاهي ونواصي الشوارع وطرفاتها. فقد تبين من إجابات العينة أن أكثر النشاطات التي يقضون بها أوقات فراغهم حسب الترتيب التنازلي: التعامل مع شبكة المعلومات الدولية، ثم القراءة، فالعمل التطوعي. وكلها نشاطات تسهم في تكوين الشباب، وتعبر عن رغبته في المشاركة هذا، وتميل الشابات إلى النشاطات التي تتم غالباً داخل نطاق الأسرة والأقارب وفي محيط الجوار، حيث احتلت القراءة والنشاطات الدينية أعلى التكرارات ولكل نسبة 40.5%، ثم الفنون التشكيلية 38.9%، فالموسيقى 38.6%. في حين أن نشاطات الشبان ترتبت تنازلياً من النشاطات الرياضية 72.6%، ثم الزيارات 69.4%، فالعمل التطوعي 67.6%. وهي نشاطات تتم غالباً خارج نطاق دار الأسرة. وفي الوقت الذي كانت أولويات نشاطات الوقت الحر لمن أنهوا تعليمهم حسب ترتيبها: الزيارات 71.2%، ثم القراءة فالعمل التطوعي ولكل 70.7% من إجمالي التكرارات، ثم الفنون 69.4%، فالجلوس على المقهى 68.8% كانت أهم نشاطات من لا يزالون بمراحل التعليم: النشاطات الدينية 47.6%، فالرياضة 38.7%، فالموسيقى 34.2%.

3- فرص المشاركة: بين الإقدام والإحجام:

المشاركة والتمكين وجهان لعملية أساسية

تبين من إجابات العينة أن أكثر النشاطات التي يقضون بها أوقات فراغهم حسب الترتيب التنازلي: التعامل مع شبكة المعلومات الدولية، ثم القراءة، فالعمل التطوعي. وكلها نشاطات تسهم في تكوين الشباب، وتعبر عن رغبته في المشاركة

لقد ولدت إجابات الشباب انطباعاً تأويلياً مفاده أن إجابات من لم ينته من التعليم بدت نمطية وكأنها "محفوطة من الذاكرة نتيجة لعملية التلقين السائد في العملية التعليمية. في حين أن إجابات من أنهوا التعليم تأثرت بخبرات ما بعد التعليم، فكانت ذات طابع شخصي لا يخلو من التبرير في حالة الإحجام عن المشاركة.

جدول (4) يوضح نشاطات قضاء الوقت الحر

النسبة	التكرارات	البيان
7.2	111	رياضة
19.8	304	قراءة
21.1	324	عمل تطوعي
3.3	51	الجلوس على المقاهي
22.1	339	النت
4.7	72	فنون
2.7	42	نشاطات دينية
9.5	146	زيارات
7.4	114	موسيقى
2.0	30	أخرى
100.0	1533	المجموع

ونظراً لاستطالة فترة العزوبية لدى الشباب والشابات. ومن ثم الاستمرار في الأسرة. فإن هذه الاستطالة تؤثر سلباً في رغبة الشباب وقدرتهم على المشاركة. فاستكمال القدرات والمهارات وتطويرها يرتبط باستخدامها وتوظيفها. ولأن الأسر لا تتيح هذا نجد بعض الشباب لا يقدمون على فرص المشاركة لافي مؤسسات التعليم أو في بعض منظمات المجتمع المدني. حيث يترسب في خبرتهم ووجدانهم أنهم لا يصلحون للمشاركة.

في المضمون والمعنى، فالقول بأن المشاركة لا تكون إلا عندما يتيح الأبوان فرصها لا يعبر عن وازع أو دافع داخلي، بقدر ما يعبر عن ظروف الخارج- أشخاص آخرون- الذي يمنح أو يمنع مشاركة الشباب.

أما بالنسبة لمررات من لا يشارك من الشبان والشابات في قرارات الأسرة وأمورها، فالإجابة الأعلى تكررراً لدى الشباب غير المشاركات كانت "لأهتـم" وبنسبة 50%، وتلاها مباشرة في الترتيب لديهم أن الأبوين لا يتيحان فرص المشاركة بنسبة 28.6%. ونظراً لاستطالة فترة العزوبية لدى الشباب والشابات، ومن ثم الاستمرار في الأسرة، فإن هذه الاستطالة تؤثر سلباً في رغبة الشباب وقدرتهم على المشاركة، فاستكمال القدرات والمهارات وتطويرها يرتبط باستخدامها وتوظيفها، ولأن الأسر لا تتيح هذا نجد بعض الشباب لا يقدمون على فرص المشاركة لافي مؤسسات التعليم أو في بعض منظمات المجتمع المدني، حيث يترسب في خبرتهم ووجدانهم أنهم لا يصلحون للمشاركة. لقد أفضت بعض البحوث

في العملية التعليمية، في حين أن إجابات من أنهموا التعليم تأثرت بخبرات ما بعد التعليم ، فكانت ذات طابع شخصي لا يخلو من التبرير في حالة الإحجام عن المشاركة.

وإذا أتينا إلي المشاركة الأسرية، باعتبارها أولى مجالات المشاركة، والخطوة الأولى في التنشئة والتدريب على قواعدها وأصولها، ورغم أن الشباب أكثر تحملاً للأعباء المنزلية اليومية مقارنة بالشبان، فكان أقل مشاركة في قرارات الأسرة بنسبة 35.4% مقابل 64.6% لدى الشبان. ويعد هذا أحد أهم مؤشرات فجوة النوع الاجتماعي، التي تتركسها الأسرة وتسهم فيها الأم ربما أكثر من الأب، في ضوء وعي سائد بخصوصيات وقدرات الشابة؛ ولهذا أجابت الشباب: أن مشاركتهن في الأسرة مرهونة بما يتيح الأبوان من فرص للمشاركة، والتي أتت كأولوية أولى لديهم بنسبة 41% لتفسير مشاركة الشباب، وأتت أولى مبررات المشاركة لدى الشبان باعتبارها في صالح الأسرة بنسبة 70.7%، ويحفل هذان المبرران بدلالات فارقة

جدول تجميعي (5) لإطلالة عامة حول التعامل مع الفرص المتاحة للمشاركة

مؤشر التعامل مع الفرص	عدد التكرارات	%
من لديهم بطاقة انتخابية	324	62.8
من شارك في آخر انتخابات برلمانية ممن لديهم بطاقة انتخابية	210	64.8
المشاركة في الانتخابات البلدية والمحلية لن لديهم بطاقة	321	99
المشاركة في أمور الأسرة	303	97.5
المشاركة في منتديات الإنترنت	314	64.5
الحوار من خلال الإنترنت	333	60.9
الموضوعات السياسية كاهم موضوعات للحوار	209	21.4
التحاور على الإنترنت	209	21.4
النت كاهم نشاط لقضاء الوقت الحر	339	22.1
العمل التطوعي كثاني نشاط لقضاء الوقت الحر	324	21.1

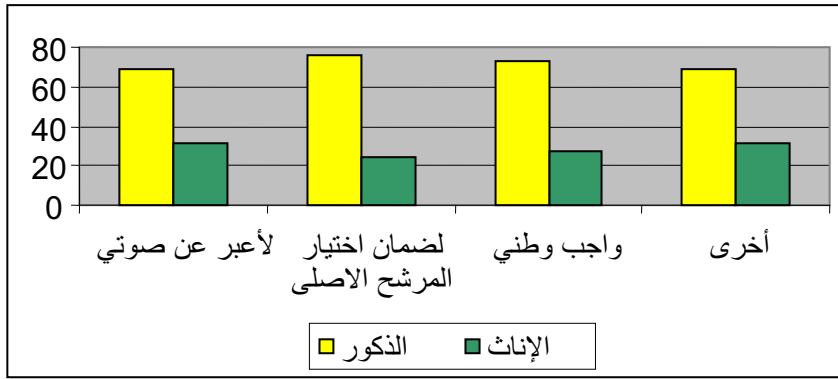
أن المشاركة في الأمور الأسرية ليست من مسئولية من لم ينه تعليمه بنسبة 50%، وأتى في المرتبة الثانية لا أهتم بالمشاركة لدى من أنهى تعليمه بنسبة 66.7% من التكرارات، ولدى من لم ينه تعليمه بنسبة 33.3%، وتؤكد الإجابات السابقة، في الاتجاه والمعنى إجابة عينة الدراسة الراهنة على بعض المقولات والعبارات²² التي حدد الشباب اتجاهاتهم نحوها، من بينها أن الأسر العربية لا تتيح للشباب المشاركة في أمورها بنسبة 65.5% و34.7% لدى

التي أجريت حول مشاركة المرأة الرياضية في مصر على مستوى منظمات ومؤسسات المجتمع المدني وبعض الانتخابات، أنهم في الغالب يرين أن المشاركة شأن "رجالي أو ذكوري"، ولقد أكد التمييز في فرص المشاركة الأسرية بين الشبان والشابات عدد من الأعمال العلمية، منها مسح صحة الأسرة العربية، والمسح الأردني حول الشباب²¹.

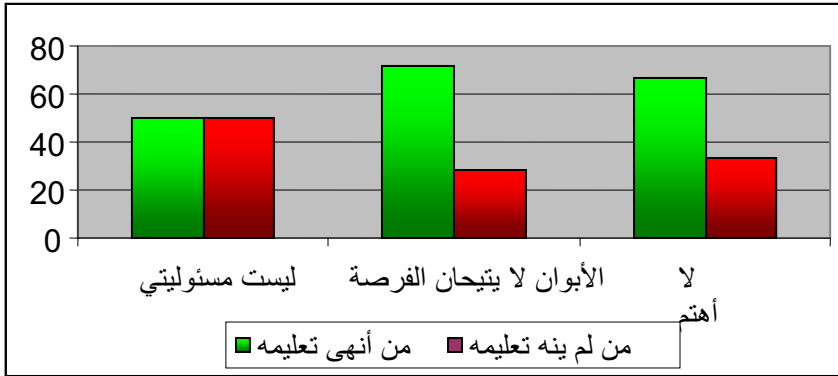
أما الذين لا يشاركون حسب وضعهم التعليمي، فأنت الإجابة الأولى لدى من أنهى تعليمه أن الأبوين لا يتيحان فرص المشاركة بنسبة 71.4%، مقابل أن المشاركة في الأمور الأسرية ليست من مسئولية من لم ينه تعليمه بنسبة 71.4%، مقابل

أما الذين لا يشاركون حسب وضعهم التعليمي، فأنت الإجابة الأولى لدى من أنهى تعليمه أن الأبوين لا يتيحان فرص المشاركة بنسبة 71.4%، مقابل أن المشاركة في الأمور الأسرية ليست من مسئولية من لم ينه تعليمه بنسبة 71.4%، مقابل

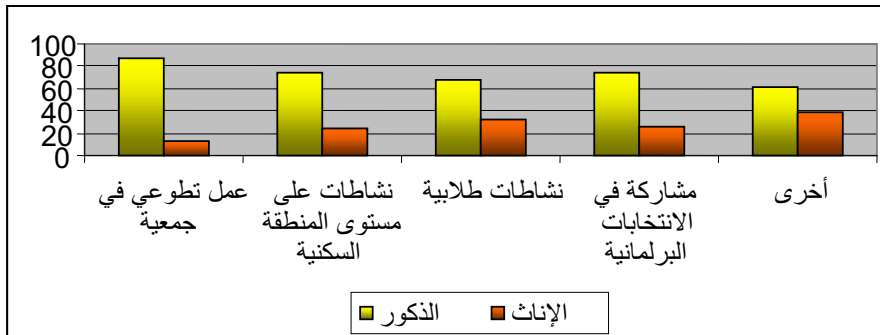
شكل بياني (11) مبررات المشاركة حسب الذكور والإناث



شكل بياني (12) مبررات المشاركة حسب التعليم



شكل بياني (13) مجالات المشاركة حسب النوع



الشبان والشابات على التوالي.

ويمكن لنا في ضوء تباين الإجابات على أساس النوع والوضع التعليمي- استنتاج أن أسر العينة لا تزال تعتمد الهيراركية التقليدية لأدوار أعضائها ومهامهم على أساس النوع الاجتماعي والعمر، فمن لم ينه تعليمه هو الأصغر عمراً غالباً والأكثر اعتماداً على الأسرة، وتعد هذه الهيراركية أحد أهم محددات التنشئة على المشاركة، فرصاً وقيماً وأدواراً. وأنه رغم اتجاه حجم الأسرة العربية إلى الصغر كما ورد في العينة 2-4 من الأخوة والأخوات، فإن هذا الحجم الصغير لم يغير من طبيعة السلطة الأبوية في الأسرة العربية والتي تغذيها وتكرسها بعض الظروف التي يعيشها الشباب، ومنها البطالة وعدم الاستقرار في العمل، وأحياناً عدم كفاية العائد منه، بجانب استقالة فترة العزوبية²³.

وأما بالنسبة للمشاركة على مستوى المجتمعات المحلية، من حيث المجالات وأطراف الشراكة:

- يشارك 322 شاباً وشابة بنسبة 62.4% في تقديم خدمات للمجتمعات المحلية التي يعيشون بها .

- ولأن العينة من المتعلمين، فقد كان النشاط الأول الذي يساهمون فيه هو التوعية بنسبة 41.3%، ثم مساعدة الآخرين 32%، ثم خدمة البيئة 20.5%.

- وكانت أطراف الشراكة في هذه النشاطات من خلال جمعيات أهلية أولاً بنسبة 45.7%، ومع الأصدقاء 34.2%، ثم الجيران 8.7%، ومن خلال المدرسة 7.1%. وتشير هذه البيانات إلى ميل الشباب إلى

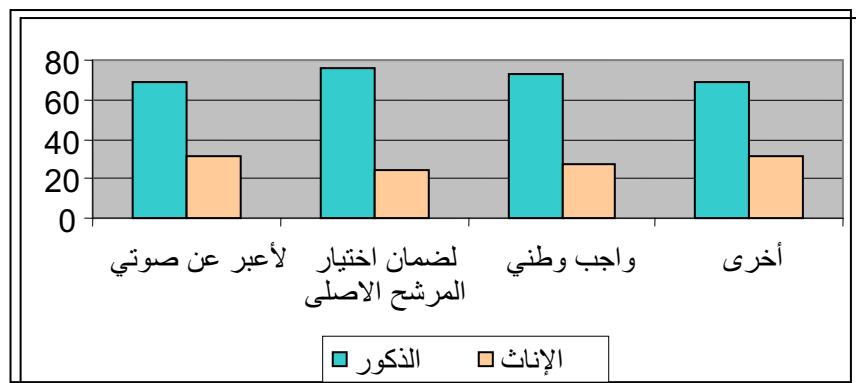
المشاركة في العمل غير الرسمي كالجمعيات الأهلية، واللا رسمي مع الأصدقاء. ويدل على هذا أن المشاركة المدرسية كانت محدودة، لأنها تتم في سياق تنظيم رسمي.

- ولأن مشاركة الشبان في الأنشطة الخدمية على مستوى المجتمع المحلي كانت بنسبة 73% مقابل 27% فقط لدى الشابات، فقد أفضى هذا إلي التأثير في نوعية النشاط الذي يشارك فيه كل منهما. فالشبان يشاركون في خدمة البيئة بنسبة 81.5%، في حين أن الشابات يشاركن في مساعدة الآخرين، وهي مساعدة قد تكون مالا أو ملابس أو أموراً مباشرة بين الشابة وملتقى الخدمة. في حين أن الشاب بحكم الثقافة المؤثرة في أدواره يقبل على نحو صريح ومباشر على المشاركة على مستوى المجتمع المحلي. وكانت أطراف الشراكة لدى الشابات داخل المدرسة كمؤسسة رسمية، ثم مع الصديقات أما الشبان فكان تشاركتهم من خلال الجيران والجمعيات الأهلية.

وكانت أولى نشاطات من أنهى تعليمه أعمال التوعية، بحكم القدرة على إنجاز أهداف هذا النشاط، والوقت المتاح. وكانت أول أطراف التشارك مع الجمعيات الأهلية بنسبة 71.7%. أما من لم ينه التعليم بعد فكانت أولى مشاركاته في خدمة البيئة بنسبة 28.3%، وكانت المدرسة هي سياق التشارك بحكم الانتماء لها بنسبة 23.3%. وكان ثاني نشاطات المشاركة لدى من أنهى تعليمه مساعدة الآخرين بنسبة 74.3%، وكان الطرف الثاني للتشارك، متمثلاً في الجيران. هذا ولاتعني هذه

ولأن مشاركة الشبان في الأنشطة الخدمية على مستوى المجتمع المحلي كانت بنسبة 73% مقابل 27% فقط لدى الشابات، فقد أفضى هذا إلي التأثير في نوعية النشاط الذي يشارك فيه كل منهما. فالشبان يشاركون في خدمة البيئة بنسبة 81.5%، في حين أن الشابات يشاركن في مساعدة الآخرين، وهي مساعدة قد لا تكون مالا مباشرة بين الشابة وملتقى الخدمة

شكل بياني (14) دوائر المشاركة حسب النوع



الإجابات التعامل مع كل الفرص المتاحة للمشاركة، سواء من قبل الشبان أو الشابات أو من أنهى تعليمهم أو من لا يزال في التعليم، ذلك لأن من بين محددات ممارسة المشاركة المعرفة بها والوعي بفرصها.

في ضوء ماسبق، يمكن رصد مايلي:

• تظهر البيانات إقداماً ملموساً على المشاركة، فنسب من لديهم بطاقة انتخابية ومن شاركوا في الانتخابات التشريعية (البرلمانات)، هي نسب مرتفعة بالتأكيد مقارنة بما هو شائع حول عزوف الشباب عن المشاركة السياسية، كما وافقنا بيانات في سياق دراسات وبحوث سابقة أو انطباعات أدلى بها البعض في ثنايا تفسيره لحال مشاركة الشباب العربي.

• إن تعميم البيانات يجب ألا يتجاوز عينة العمل الراهن، وخصائصها، فنحن بصدد عينة نوعية من الشباب العربي، لا تعبر عن مجموعه أو تبايناته المختلفة:

- فهي مجموعة مبادرة تفاعلت مع الاستبيان الإلكتروني للعمل الراهن دون غيرها من الشباب. وهي عينة من المتعلمين، سواء من أنهى منهم تعليمه أو ما يزال يواصل مراحل التعليم.

- وأنها عينة تمتلك مهارات التعامل مع الحاسب الآلي وشبكة المعلومات الدولية، وذات قدرات مكنتها من استيفاء أسئلة الاستبيان وإعادتها، وأن 60.9% من العينة يشاركون في منتديات الإنترنت، وأكثر النشاطات التي تقضي بها وقتها الحركان التعامل مع شبكة المعلومات.

• تفيد الخصائص النوعية للعينة أنها من أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي متميز تعليمياً وثقافياً على الأقل، بدليل أنها أتاحت لأبنائها ذكوراً وإناثاً وبنسبة لافتة للانتباه (97.5%) فرص المشاركة في الأمور الأسرية.

• أن مشاركة العينة في الانتخابات المحلية والبلدية كانت كبيرة جداً 99% مقارنة بالانتخابات البرلمانية ذات الطابع المركزي، وقد يرجع هذا إلي:

- أن الانتخابات المحلية ترتبط مباشرة بحاجات الشباب وطموحاتهم وطموحات المجتمعات

تظهر البيانات إقداماً ملموساً على المشاركة، فنسب من لديهم بطاقة انتخابية ومن شاركوا في الانتخابات التشريعية (البرلمانات)، هي نسب مرتفعة بالتأكيد مقارنة بما هو شائع حول عزوف الشباب عن المشاركة السياسية. كما وافقنا بيانات في سياق دراسات وبحوث سابقة أو انطباعات أدلى بها البعض في ثنايا تفسيره لحال مشاركة الشباب العربي.

وبالتركيز على مبررات المشاركة أو الإحجام عنها على مستوى النوع، يمكن استخلاص أن الشباب لهم مبررات ترتبط بطبيعة تنظيم العمليات الانتخابية من حيث الانس والإجراءات، في حين أن الشابات المشاركات كن أكثر حرصاً للتعبير عن أصواتهن والتأثير في العملية الانتخابية، فقد يحفز هذا الآخرين - خاصة المرشحين - للاهتمام بقضايا هي:

المحلية التي يعيشون بها.

- أن الشباب أكثر معرفة بخصائص وخصال ومواقف وأفعال المرشحين للمجالس المحلية أكثر من المرشحين للانتخابات البرلمانية العامة.

- أن الانتماءات القبلية والعائلية تكون أكثر تأثيراً في سلوك وتوجهات الانتخابات على المستويات المحلية. وقد وردت إشارات إليها ضمن إجابات بنود أخرى تذكر في الإجابة على السؤال ذي العلاقة، وهي نتيجة تتسق مع ما ورد في انتخابات بعض البلدان العربية. فكل البحوث ومحاولات رصد الانتخابات في مصر أكدت أن الإقبال يكون على الانتخابات في الأرياف المصرية غالباً ما يكون أكثر عدداً ونسباً عنه في الحواضر المصرية، نتيجة للعصبيات والانتماءات العائلية، رغم أن الريف المصري أقل تعليماً من الحضر، وأن فرص المرأة الريفية في معظم صنوف المشاركة غالباً ما تكون أقل من فرص نظيراتها في الحضر²⁴.

4- تضاريس مشاركة الشباب: في تباين المجالات والدوافع

• كان الشبان أكثر حرصاً على المشاركة في الانتخابات البرلمانية بنسبة 71.6% مقابل 28.5% لدى الشابات. وإذا كانت أهم دواعي المشاركة لحصولها على أعلى النسب هو الحرص على اختيار المرشح الأفضل لدى الشبان 75.6% مقابل الحرص على التعبير عن الصوت لدى الشابات 31%، فقد أجمع الشبان والشابات كمبرر ثان في الترتيب على أن المشاركة واجب وطني بنسبة 72.8% و27.2% من التكرارات لدى الشبان والشابات على التوالي

وفي الوقت الذي أتى فيه عدم الاقتناع بالانتخابات البرلمانية لدى الشبان الراضين للمشاركة بنسبة 75% من تكرارات الإجابة، كان عدم توافر الوقت للمشاركة مبرراً أولاً لدى الشابات بنسبة 50% من التكرارات. وأما عن المشاركة في الانتخابات المحلية، فكانت نسبة الشباب الذي شارك فيها 72.9% مقابل 27.1% من الشابات.

وبالتركيز على مبررات المشاركة أو الإحجام عنها

الاقتناع بالعملية الانتخابية، مقابل عدم وجود وقت بسبب الانشغال بالدراسة ومتطلباتها بنسبة 50% لدى من لم ينته من التعليم.

- شبكة المعلومات: فضاء لمشاركة بديلة مأمونة

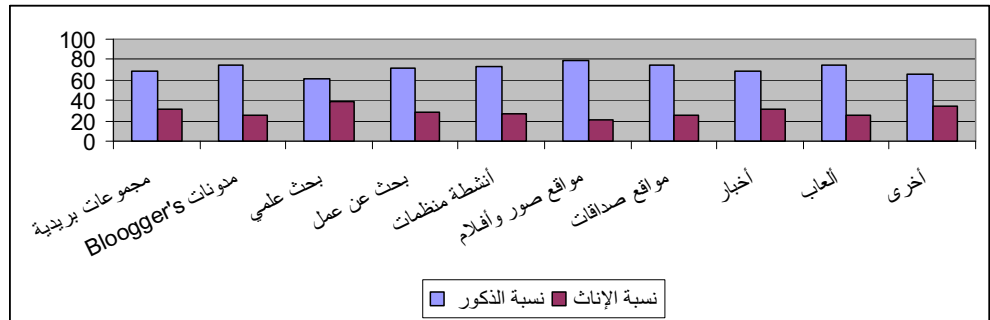
يحفل تقييم علاقة الشباب بشبكة المعلومات الدولية بالكثير من التناقضات في الآراء والانطباعات، عند قراءة نتائج البحوث العلمية ذات العلاقة، فمنهم من يراها إدماناً أو غتراًباً عن الهوية الحضارية، ومنهم من يراها مضيعة للوقت، ومنهم من يراها هروباً من الواقع المعاش إلى واقع افتراضي آخر بديل، يمارس الشباب من خلاله فرصاً للبحث والتعبير والحوار ليست متاحة. فهذه الشبكة تحرر الشاب نسبياً من قيود ومحرمات تحيط به، فضلاً عما تكسبه من معارف ومعلومات واتصالات بثقافات ونظم اقتصادية وسياسية مغايرة لواقعها، إضافة لهذا وتفاعلاً معه، فإن التعامل مع هذه الشبكة ليس له شروط مسبقة كالتشريعات - العمر القانوني للمشاركة و - أو ثقافية كالشراكة على أساس النوع أو على أساس الجيل، كسيطرة الكبار على ممارسات الشباب للمشاركة. كما أنه ليس المشاركة في هذه الشبكة ليس لها مخاطر سياسية أو اجتماعية أو أمنية كما يحدث في حالة صيغ المشاركة الأخرى، خاصة السياسة.

ويبدو لنا وكما سبق وافترضنا أن الشباب يحجم عما هو رسمي ليقدم على ما هو أقل رسمية أو غير رسمي، فهو يعزف بنسبة واضحة عن المشاركة السياسية العامة (الانتخابات) وفقاً لقواعدها وأسسها وشروطها، مقارنة بغيرها من الصيغ والمجالات كما هو الحال بالنسبة للمشاركة في منظمات المجتمع المدني ويميل إلى المنظمات غير الحكومية. أما المشاركة عبر

على مستوى النوع، يمكن استخلاص أن الشباب لهم مبررات ترتبط بطبيعة تنظيم العمليات الانتخابية من حيث الأسس والإجراءات، في حين أن الشباب المشاركات كن أكثر حرصاً للتعبير عن أصواتهن والتأثير في العملية الانتخابية، فقد يحفز هذا الآخرين - خاصة المرشحين - للاهتمام بقضاياها فالشابة (والمرأة العربية عموماً) لا تزال تعاني من صورة بشأنها حافلة بالسلبيات أنتجت وبعاد إنتاجها عبر سنين طويلة، ومن ثم فالمتعلمات منهن (كما في العينة الراهنة) حريصات على تغيير هذه الصورة من خلال أفعال إيجابية من قبلهن. ومع هذا تظل مشاركة الشباب أقل من الشباب لدواع ثقافية تحملها الأسر، وتحدد بها أفعال شبابها وشاباتهما، ويدل على هذا ويتسق معه ما ورد من معطيات وبيانات في دراسات ومسوح سابقة. فمن دراسة أجرتها إدارة السياسات السكانية والهجرة حول "الشباب في الجمعيات الأهلية"، كان من أهم عوامل عدم إقبال الشباب على التطوع هو العادات والتقاليد السائدة بنسبة 29% من نسب التكرارات²⁵.

• حازت نسبة أكبر ممن أنهموا تعليمهم بطاقة انتخابية بنسبة 74.5% مقارنة بمن لم ينته تعليمه بعد، لأن منهم من هم دون السن القانونية، ومنهم من تجاوزها ولم يحوز تلك البطاقة لانشغاله بالتعليم أكثر، وتباينت مبررات من شارك منهم في الانتخابات البرلمانية، حيث كان اختيار المرشح الأصلي المبرر الأول لدى من أنهى تعليمه بنسبة 75.6%، مقابل اعتبار المشاركة واجباً وطنياً لدى من لم ينته من تعليمه بعد 28.3% وأما الذين أحجموا عن هذه الانتخابات، فكانت أولى مبررات من أنهموا تعليمهم عدم

شكل (15) مجالات المشاركة على شبكة المعلومات حسب النوع



جدول (6) يوضح أكثر المنتديات التي تشارك فيها العينة

مجال المنتدى	عدد	%
مجموعات بريدية	52	16.8
مدونات	26	8.4
بحث علمي	42	13.4
البحث عن عمل	19	6.2
أنشطة منظمات غير حكومية	60	19
مواقع صور أفلام	12	3.6
مواقع صداقات	28	8.9
أخبار متنوعة	51	16.2
العب	6	1.9
أخرى	18	5.6
المجموع	314	100

وبالنسبة لعلاقة الحالة التعليمية (من أنهى ومن لم ينه تعليمه) بمجالات وموضوعات هذه المشاركة، يتضح تأثير هذا المتغير في تفضيلات العينة، حيث أتت أولى مشاركات من أنهى تعليمه في البحث عن عمل بنسبة 77.4% من التكرارات لأن من بين أهداف هذه الفئة هو البحث عن عمل، أو عمل أفضل وأكبر دخلاً إذا كان ممن يعملون، ثم متابعة الاخبار بنسبة 75%، ثم المدونات 72%، وهو ترتيب يعكس بعض الأولويات الحياتية للشباب الذي أنهى تعليمه أما من لم ينته من تعليمه بعد، فكانت الألعاب أولى المشاركات بنسبة 55% ثم الصور والأفلام 43.6%، ثم مواقع الصداقات 33.7%، وهي اهتمامات تعكس وحاجات المراهقين في السن المبكرة واللذين لا يزالون في مراحل التعليم.

○ أطراف الحوار عبر شبكة المعلومات وموضوعاته:

• يشارك في الحوار عبر شبكة المعلومات قرابة ثلثي العينة الإجمالية 333 شاباً وشابة بنسبة 64.5% كما سبق الإشارة، كان منهم 64.1% من الشبان مقابل 36.9% من الشابات، و61.0% ممن أنهى التعليم مقابل 33% ممن لا يزالون في التعليم.

• لقد كان من الطبيعي في ضوء القيم والتقاليد السائدة في الثقافة العربية أن يتجه كل نوع إلى نوعه في الحوار، ولهذا كان حوار الشبان مع شبان آخرين بنسبة 66.6%، وشابات مع شابات أخريات بنسبة 66.8%، رغم ما تتيحه شبكة المعلومات من بعض التحرر من الرقابة والضببط

شبكة المعلومات، فربما تأتي في الطرف النقيض للمشاركة في العمل السياسي العام. ولاستجلاء هذه الفرضية، والقاء بعض الضوء على الشائعة التي غالباً ما تأتي من منظور الآخر- غير الشبابي - سنقدم في ضوء بيانات الدراسة إجابة على تساؤلات رايانها مهمة هي:

- ما حجم التعامل مع شبكة المعلومات الدولية مقارنة بصيغ المشاركة الأخرى؟
- ما موضوعات الحوار والتعبير وأدواتها التي يمارسها ويشارك فيها شباب العينة؟ عبر شبكة المعلومات مقارنة بغيرها؟

○ حجم المشاركة في منتديات الإنترنت ويهم التذكير بما سبقت الإشارة إليه بأن عينة البحث عينة نوعية لها خصائص نوعية، فمعظمهم من الفئة العمرية 20-29، وغالبيتهم يعيشون في الحضر 87.5% ولهذا فمن اليسير على عينة بهذه الخصائص التعامل مع شبكة المعلومات داخل ديارها وخارجها، في المدارس وفي النوادي والجمعيات الأهلية ومقاهي الإنترنت. ولفهم تضاريس الإجابات يهم التذكير بأن 75% من الشباب الريفي في العينة لا يشارك في شبكة المعلومات، وأن حوالي ثلث الشابات تقريباً لا يشارك في منتديات الإنترنت.

○ موضوعات المشاركة في منتديات الإنترنت

تواجه بيانات المنتديات التي يشارك فيها الشباب على شبكة المعلومات الدولية، الانطباع السائد بأن الشباب يستهلكون الوقت في التعامل مع هذه الشبكة في مشاغل غير مفيدة الأولويات الأربع الأولى على الترتيب كانت المشاركة في أنشطة منظمات، ثم الأخبار، ثم مجموعات، البحث العلمي، ثم البحث عن عمل، وهي تمثل في مجموعها 54.8% من إجمالي النشاطات.

ولقد تباينت اهتمامات مشاركة الشبان والشابات في الولوج، إلى هذه المنتديات، ففي الوقت الذي اهتم فيه الشبان بالصور والأفلام 79.5% من التكرارات، ثم الألعاب 75%، ثم مواقع الصداقات 74.2%، كانت أولى المشاركات لدى الشابات بغرض البحث العملي 38.6%، ثم الأخبار والمجموعات البريدية 31.5%، ثم البحث عن عمل بنسبة 29%.

ولقد تباينت اهتمامات مشاركة الشبان والشابات في الولوج، إلى هذه المنتديات. ففي الوقت الذي اهتم فيه الشبان بالصور والأفلام 79.5% من التكرارات، ثم الألعاب 75%، ثم مواقع الصداقات 74.2%، كانت أولى المشاركات لدى الشابات بغرض البحث العملي 38.6%، ثم الأخبار والمجموعات البريدية 31.5%، ثم البحث عن عمل بنسبة 29%.

وبالنسبة لعلاقة الحالة التعليمية (من أنهى ومن لم ينه تعليمه) بمجالات وموضوعات هذه المشاركة، يتضح تأثير هذا المتغير في تفضيلات العينة، حيث أتت أولى مشاركات من أنهى تعليمه في البحث عن عمل بنسبة 77.4%

	68.7	31.3
Bloggers	72.0	28.0
	67.4	32.6
	77.4	22.6
	70.7	29.3
	56.4	43.6
	66.3	33.7
	75.6	24.4
	45.0	55.0
	56.4	43.6

احتل الحوار عبر الإنترنت مع شبان وشابات من البلدان العربية المرتبة الأولى بنسبة 40.2% من إجمالي من يشاركون في منتديات الإنترنت. ثم الحوار مع آخر من نفس البلد الذي يعيش فيه شباب العينة. وأخيراً الحوار مع شبان وشابات من بلدان غير عربية. وتدل هذه البيانات على حاجة الشباب العربي إلى التواصل مع الشبان والشابات إقليمياً ووطنياً

الاجتماعي الذي تمارسه التقاليد. احتل الحوار عبر الإنترنت مع شبان وشابات من البلدان العربية المرتبة الأولى بنسبة 40.2% من إجمالي من يشاركون في منتديات الإنترنت. ثم الحوار مع آخر من نفس البلد الذي يعيش فيه شباب العينة. وأخيراً الحوار مع آخر من نفس البلد الذي يعيش فيه شباب العينة. وتدل هذه البيانات على حاجة الشباب العربي إلى التواصل مع الشبان والشابات إقليمياً ووطنياً

الاجتماعي الذي تمارسه التقاليد. احتل الحوار عبر الإنترنت مع شبان وشابات من البلدان العربية المرتبة الأولى بنسبة 40.2% من إجمالي من يشاركون في منتديات الإنترنت. ثم الحوار مع آخر من نفس البلد الذي يعيش فيه شباب العينة. وأخيراً الحوار مع شبان وشابات من بلدان غير عربية. وتدل هذه البيانات على حاجة الشباب العربي إلى التواصل مع الشبان والشابات إقليمياً ووطنياً، وهو ما يجعل كل محاولة لإتاحة هذا الحوار بين الشباب العربي -عبر المنتديات أو اللقاءات أو التشبيك- محاولة متفهمة لحاجات ورغبات الشباب العربي في التواصل.

ويلفت الانتباه أن الشبان كانوا أكثر تحاوراً مع شبان من بلدانهم بنسبة 68.2%، ثم مع شبان من بلدان عربية بنسبة 67.7%. في حين أن الشابات كن أكثر تحاوراً مع الآخرين من بلدان عربية بنسبة 34.6%، ثم من بلدان غير عربية بنسبة 32.3% وأخيراً من بلدانهم بنسبة 31.8%. مع أن الفروق بين النسب ليست كبيرة، فإن الحوار مع الآخر الخارجي (عربياً وغير عربي) كان أكثر غلبة بين الشابات. ربما حرصاً وكتماً ومراعاة لما يمكن أن يأوله الشبان من بلدانهم، وهو ما يعكس بعض المدرجات النفسية والاجتماعية التي تحيط بالشابات العربيات أفكاراً وأدواراً وعلاقات.

وكان الحوار لدى من أنهى تعليمه -أولاً- مع شبان من بلدان غير عربية بنسبة 69%، ربما لإمكان التحاور معه بلغة أجنبية، أو التعلم من ثقافته، أو ربما تمهيداً للسفر إلى بلد أجنبي. وأتى بعده

ورغم عزوف الشباب (حوالي نصف العينة) عن المشاركة السياسية نسبياً، فأولى موضوعات حوارهم كانت الحوارات السياسية 21.4%.

موضوعات الحوار تؤكد حوارات الشباب عبر شبكة المعلومات الدولية اهتمامهم بقضاياها المباشرة وحاجاتهم الموضوعية الراهنة المرتبطة بمرحلته العمرية ومتطلبات إعداده وتكوينه. ورغم عزوف الشباب (حوالي نصف العينة) عن المشاركة السياسية نسبياً، فأولى موضوعات حوارهم كانت الحوارات السياسية 21.4%، ثم التعليمية 17.6% (لأن منهم من لم ينه تعليمه بعد)، والذي كانت حواراته مع قرناء وزملاء من أبناء بلده لتشابهه وتقابل الاهتمامات معهم. وإذا كانت الحوارات الرياضية قد أتت في المرتبة الثالثة 15.1%، فهي تبدو منخفضة مقارنة بالفئات العمرية للعينة، ولكنها مع ذلك أتت أحد أهم شواغل الشباب خاصة في الفئة العمرية 15-20.

جدول (8) يوضح أهم ثلاثة موضوعات للحوار عبر شبكة المعلومات

الموضوعات	العدد	النسبة
دينية	109	11.1
سياسية	209	21.4
صحية	54	5.5
تعليمية	172	17.6
جنسية	73	7.5
التشغيل والبطالة	34	3.5
علمية	121	12.4
رياضية	148	15.1
أخرى	58	5.9
المجموع	978	100

+ حسب النسب وفق مجموع التكرارات وليس على أساس حجم العينة

وأما المتغيرات ذات التأثير في موضوعات الحوار ومجالاته، فقد تبين من المعطيات أن الأولويات لدى الشبان في الحوار على شبكة الإنترنت على التوالي: السياسية بنسبة 70.3%، ثم الحوارات التعليمية 64.5%، ثم الصحية 63%، أما الشابات العربيات في العينة، فكانت أولويات حواراتهن على الترتيب كالتالي: قضايا دينية بنسبة 42%، وقضايا جنسية بنسبة 41.1%، وصحية بنسبة 37%. وإذا كانت مشاركات الشبان تعكس حاجات مباشرة لوضعهم المتميز نسبياً في المجتمع وفي الثقافة العربية وما يرتبط بها من احتياجات ومساحات من الحرية هي أوسع نسبياً مقارنة بالشابات²⁶، في حين أن ممارسات مشاركة الشابات تعكس بعض التناقضات الثقافية المحددة لممارساتهن، فهن الأكثر تأثراً بالفكر الديني السائد في البلدان العربية، وما يحمله من فتاوى متنوعة حول الحجاب والنقاب والعمل والمشاركة السياسية. أما المشاركات في الحوارات الجنسية، فهي تدل على الحاجة إلي معرفة علمية في هذا المجال الذي تحيط به قيود والتباسات معلوماتية.

مشاركة الشباب: من المعوقات إلي آفاق التفعيل

• أهم معوقات المشاركة

إذا قمنا بتصنيف معوقات المشاركة إلى معوقات خاصة بالشباب، وأخرى موضوعية تتعلق بأوضاع المشاركة، فثمة مجموعة ثالثة مزيج من النوعين المذكورين من المعوقات، وتبدو المعوقات الذاتية هي أقلها تكراراً، وتتمثل في عدم اكتساب الشباب

المعلومات عن المشاركة وعدم وجود وقت لديهم ومجموعها 9.5%. وأما المعوقات الموضوعية المتعلقة بشروط المشاركة ومنها سيطرة الكبار وعدم ملاءمة تشريعات المشاركة وانحسار فرصها ومجموع نسبها 33.7%. أما الأبعاد المجتمعية المرتبطة بالسياق المجتمعي والذي أثر في المعوقات الذاتية، والموضوعية المرتبطة بالمشاركة، فقد انعكست وتجدت سلبياً على أوضاع الشباب ووعيه، فقد وصل مجموع نسبها إلي 53.8%، وهي معوقات تتعلق بإحباط الشباب وكثرة مشكلاته. لقد اتفق الشباب والشابات على أن أهم معوقين يحولان دون مشاركتهم هي: إحباط الشباب بنسبة 22.3%، وكثرة المشكلات التي يعاني منها بنسبة 17.3%، مما يعني موضوعية خبرة الشباب ووعيهم بالسياق المحيط بهم، وشمولها لهما (شبان وشابات). ويلفت النظر في الإجابة التالية ترتيباً حسب نسب التكرارات، تركيزها على سيطرة الكبار بنسبة 16.3% لدى الشباب، ويقابلها في الترتيب نفسه لدى الشابات الخوف من المشاركة بنسبة 15.2%، وهو خوف يمتزج فيه اللوم والإدانة من الآخرين، والخشية من عدم النجاح في تجربة المشاركة، نتيجة لوعي عام حول الفتاة والمرأة العربية، لا يخلو من السلبية والتمييز السلبي في أحقيتها وفي قدرتها على المهام والأدوار المجتمعية، وهو أمر يعكس -أيضاً- وعياً غير حقيقي بالذات لدى الشابات، نتيجة تراكم مضامين وآليات التنشئة الاجتماعية، بدءاً من الأسرة والمؤسسة التعليمية، ومن الصورة السلبية السائدة حولهن عبر وسائل الإعلام.

وإذا كان من أنهى تعليمه ومن لم ينته منه بعد، قد اتفقا على أن أكثر المعوقات تكراراً على الترتيب هما: إحباط الشباب، وكثرة مشكلاته، إلا أنهما اختلفا في المعوق الثالث تكراراً حيث أنت سيطرة الكبار لدى من أنهى تعليمه مقابل الخوف من المشاركة لدى من لا يزال في التعليم.

• ماذا يريد الشباب لتفعيل المشاركة:

أتى الشباب في الدراسة بمجموعة هامة من الاقتراحات لتفعيل مشاركته، كان في مقدمتها تحفيز الشباب على المشاركة بنسبة 21.1%،

أن ممارسات مشاركة الشباب تعكس بعض التناقضات الثقافية المحددة لممارساتهن، فهن الأكثر تأثراً بالفكر الديني السائد في البلدان العربية، وما يحمله من فتاوى متنوعة حول الحجاب والنقاب والعمل والمشاركة السياسية. أما المشاركات في الحوارات الجنسية، فهي تدل على الحاجة إلي معرفة علمية في هذا المجال الذي تحيط به قيود والتباسات معلوماتية.

وإذا كان من أنهى تعليمه ومن لم ينته منه بعد، قد اتفقا على أن أكثر المعوقات تكراراً على الترتيب هما: إحباط الشباب، وكثرة مشكلاته، إلا أنهما اختلفا في المعوق الثالث تكراراً حيث أنت سيطرة الكبار لدى من أنهى تعليمه مقابل الخوف من المشاركة لدى من لا يزال في التعليم.

جدول (9) يوضح معوقات المشاركة من منظور العينة

البيان	إناث	ذكور
عدم وجود فرصة للمشاركة	74	14.3
ليس لدى أي معلومات عن المشاركة	21	4.1
الكبار يسيطرون على المشاركة	79	15.3
كثرة مشاكل الشباب	88	17.1
الخوف من المشاركة	69	13.4
ارتفاع سن المشاركة	21	4.1
عدم وجود وقت	28	5.4
إحباط الشباب	122	23.6
أخرى	14	2.7
المجموع	516	100.0

أتى الشباب في الدراسة بمجموعة هامة من الاقتراحات لتفعيل مشاركته، كان في مقدمتها تحفيز الشباب على المشاركة بنسبة 21.1%. وتحمل هذه الإجابة بعض الدلالات المهمة، خاصة وأن نسبة تجاوزت النصف بقليل لها مشاركات سابقة، وهي تدرك أهمية المشاركة وجدواها، ومع هذا لم يشعر بفوائدها الفردية والتنمية، ونظراً لأنه واجه معوقات غير قليلة، منها، سيطرة الكبار على ممارسات المشاركة

أعداد الجمعيات الأهلية وعلاج المشكلات التي تعطل المشاركة، وفي مقدمتها البطالة. أما عن الإجابات الأخرى، فقد أشارت إلى أن من حق الشباب إنشاء جمعيات خاصة بهم لكن تحت إشراف قيادي، وإيجاد فضاءات حكومية ومحلية لتحفيز مشاركة الجمعيات، والدعاية في الإعلام لتوعية الشباب بأهمية المشاركة وضرورتها

هذا، وتعكس مقترحات الشبان والشابات قدراً واضحاً من ظلال فجوة النوع الاجتماعي، فقد كانت أولى مقترحات الشبان تحفيزهم على المشاركة بنسبة 21.5%، وهي تعني وجود بعض الفرص، لكن الشباب لا يقبل عليها؛ إما لإحباط سابق من تجربتها، أو لإحباط مجتمعي وشبابي عام، فثلثا الشبان في الدراسة لهم تجارب سابقة حول ممارسة لمشاركة. أما الإجابة الأكثر تكراراً لدى الشابات، فقد ركزت على حاجتهن للتدريب على المشاركة 21.1%، ذلك لأن أكثر من ثلثهن ليس لديه تجربة سابقة، وأنهن منذ التنشئة المبكرة في الأسرة ووسائطها التالية محاضرات

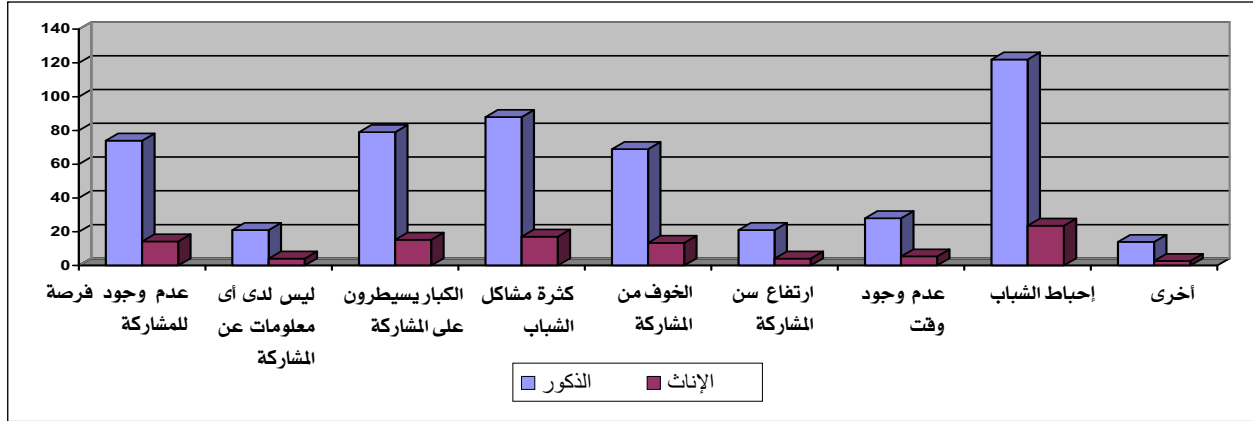
وتحمل هذه الإجابة بعض الدلالات المهمة، خاصة وأن نسبة تجاوزت النصف بقليل لها مشاركات سابقة، وهي تدرك أهمية المشاركة وجدواها، ومع هذا لم يشعر بفوائدها الفردية والتنمية، ونظراً لأنه واجه معوقات غير قليلة، منها سيطرة الكبار على ممارسات المشاركة. وتجدر الإشارة إلى أن التحفيز كما هو شائع- لا يتحدد بحوافز مادية فقط، وإنما يحفل بحوافز معنوية ذات صلة بفرصة التعبير عن الذات، وتأكيدها واكتساب خبرات ومهارات المشاركة.

ولهذا أتى في المرتبة الثانية من مقترحات لتفعيل المشاركة، المطالبة بتطوير قدرات الشباب وتدريبه بنسبة 20.6%، ثم في المرتبة الثالثة علاج أهم مشكلات الشباب وخاصة البطالة بنسبة 20.3%، وأتى في المرتبة الرابعة أن تكون المشاركة آمنة. وبهذا جمعت مقترحاته ورؤاه لتفعيل المشاركة بين أسباب ذاتية خاصة بالمشارك، كالتدريب والتحفيز على المشاركة، أو مرتبطة بسياقها المجتمعي التشريعي لتخفيض سن المشاركة، وجعل المشاركة آمنة، وزيادة

جدول (10) يوضح مقترحات شباب الدراسة لتفعيل مشاركتهم

البيان	العدد	%
تحفيز الشباب على المشاركة	109	21.1
تدريب الشباب على المشاركة	106	20.6
حل مشكلات البطالة	105	20.3
أن تكون المشاركة آمنة	86	16.7
زيادة أعداد الجمعيات الأهلية	65	12.6
تخفيض سن المشاركة في الانتخابات	36	7.0
أخرى	9	1.7
المجموع	516	100.0

كانت أولى مقترحات الشبان تحفيزهم على المشاركة بنسبة 21.5%، وهي تعني وجود بعض الفرص، لكن الشباب لا يقبل عليها؛ إما لإحباط سابق من تجربتها، أو لإحباط مجتمعي وشبابي عام، فثلثا الشبان في الدراسة لهم تجارب سابقة حول ممارسة لمشاركة. أما الإجابة الأكثر تكراراً لدى الشابات، فقد ركزت على حاجتهن للتدريب على المشاركة 21.1%، ذلك لأن أكثر من ثلثهن ليس لديه تجربة سابقة.



تحرراً من القيود الثقافية والسياسية ومخاوف المشاركة.

- كلما اتجهت دوائر ممارسة المشاركة إلي الاتساع من الأسرة إلي المجتمع المحلي، ثم إلي العمل السياسي العام على المستوى المجتمعي، انخفضت نسب مشاركة الشباب في كل دائرة تالية، ويرتبط هذا بعوامل متداخلة: المعرفة بالمرشحين، والمشاركة الأكثر أماناً، والارتباط المباشر لمخرجات المشاركة مع طموحات الشباب.
- إن أكثر المتغيرات تأثيراً في متطلبات سلوك المشاركة أو فعلها كان متغير النوع الاجتماعي. فالشابات أقل مشاركة من الشباب، لعوامل مجتمعية، أبرزها الثقافة السائدة التي تكاد تجعل من المشاركة أمراً ذكورياً. وهي ثقافة تعكسها الأسرة في تعاملها مع أبنائها وبناتها، حيث تحدد للشابات مهام مختلفة داخل الأسرة، وتحدد أوقات تحركهن خارج نطاقها، ولهذا كان موقف الشابات من معاني ومضامين المشاركة أكثر اتجاهاً نحو دورها في المجتمع (التغيير، حقوق الإنسان، ضمان تحقيق العدالة والحرية) لوعيهن بأن التغيير في البيئة المحيطة بالمشاركة سوف يغير صورتهم السلبية ومهامهم التقليدية، في حين أن توجهات الشباب كانت أكثر اتجاهاً نحو تأكيد الذات للمشاركة ونحو عوائد المشاركة عليهم.
- إن الشباب يحوزون مقادير من المعارف والمهارات حول المشاركة ويرغب فيها، لكن ظروفهم المجتمعية ونوعية تحول دون ممارستها:

بموانع ثقافية. وأتى في الترتيبين الثاني والثالث لدى الشبان الحاجة للتدريب بنسبة 20.3%، ثم مواجهة مشكلة بطالة الشباب بنسبة 20.2%، وأتى في نفس الترتيبين لدى الشابات تحفيز الشباب على المشاركة ومواجهة لمشكلة البطالة ولكل 20.5%.

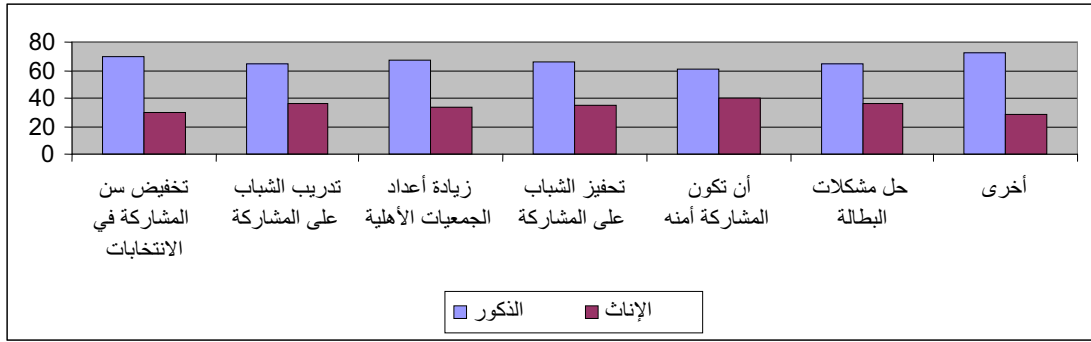
وإذا كان من أنهى تعليمه أو من لم ينته منه بعد اتفقاً على المقترحات الثلاثة الأولى، مع بعض التفاوت في الترتيب، فقد أتت مشكلة البطالة أحد أهم التحديات التي تواجه من أنهى التعليم، في حين كان التحفيز هو الأول لدى من لم ينه التعليم 21.2%، وأتت البطالة كخوف مستقبلي لدى من لم ينته من التعليم في المرتبة الثالثة بنسبة 18%، نتيجة للأفكار السائدة حول البطالة لدى الأسر وفي وسائل الإعلام. في حين أتى التدريب ثم التحفيز في المرتبتين الثانية والثالثة لدى من أنهى التعليم وبفروق محدودة نسبياً.

خاتمة الدراسة الإمبريقية الميدانية: استخلاصات وفرضيات

- في ضوء العينة الراهنة بدا شبابها وشاباتنا أكثر توظيفاً لفرص المشاركة، مقارنة بما ورد في بحوث ودراسات سبقت الإشارة إليها في سياق الصفحات السابقة.
- إن الشباب العرب يميلون إلي المشاركة فيما هو لارسمي Non Formal عما هو على نحو غير رسمي Informal (الجمعيات الأهلية)، فنسب مشاركته في أمور الأسرة وعبر شبكة المعلومات الدولية أعلى من غيرها من صيغ المشاركة، ذلك لأن الشاب يكون من خلالها أكثر

إن الشباب العرب يميلون إلي المشاركة فيما هو لارسمي Non Formal عما هو على نحو غير رسمي Informal (الجمعيات الأهلية)، فنسب مشاركته في أمور الأسرة وعبر شبكة المعلومات الدولية أعلى من غيرها من صيغ المشاركة، ذلك لأن الشاب يكون من خلالها أكثر تحرراً من القيود الثقافية والسياسية ومخاوف المشاركة.

الرسم الخاص بسؤال 23 على أساس الذكور والإناث



الشباب بحاجة إلي أنماط غير تقليدية للمشاركة تكون أكثر تحرراً من القيود والمحرمات، ولهذا كان ميله للمشاركة في حوارات سياسية وعلمية وغيرها عبر شبكة المعلومات الدولية.

للمشاركة تكون أكثر تحرراً من القيود والمحرمات، ولهذا كان ميله للمشاركة في حوارات سياسية وعلمية وغيرها عبر شبكة المعلومات الدولية.

- إن العزوف عن بعض صيغ المشاركة، خاصة مجالها السياسي العام، وعزوف بعض الشباب عن كل صيغها هو نتاج لمدرجات الشباب للمشاركة، من حيث شروطها، وتبعاتها، ووصاية السلطة الأبوية في المواقع المختلفة على فكر الشباب، وممارساته للمشاركة، وأفعالهم بشأنها.

فالتشريعات تحدد العمر عند استخراج البطاقة الانتخابية والترشيح في المجالس النيابية، المركزية (البرلمانات) والمحلية، بجانب تدخل الكبار وهيمنتهم وتوجيههم لسلوك مشاركة الشباب في الأسرة والمؤسسة التعليمية وفي الجمعيات الأهلية وغيرها من منظمات المجتمع المدني، وأن بعضاً من الشباب ليس لديه الحافز الكافي نحوها، لعدم الثقة في ممارساتها، خاصة السياسية منها.

- أن الشباب بحاجة إلي أنماط غير تقليدية

الموامش:

- 1) اعتمد في هذه الاستخلاصات على الدراسات التالية: اليونيسف، الشباب الأردني، حياتهم ورؤاهم، عمان الأردن، 2002. وأيضا، إيمان فرج، مصدر مذكور.
- 2) شارك في ورشة العمل من الخبراء أ.د محمد عبد الشفيق- أستاذ بمعهد التخطيط القومي، أ.د مصطفى كامل السيد- أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وأ.د أحمد عبد الونيس- أستاذ القانون بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
- 3) لمزيد من التفصيل أنظر: J. Corriero, Role of Youth Survey, Taking it Global, Januray 2004.
- 4) LAS and UN. The Millennium Development Goals in the Arab Region. 2007, The Youth Lens
- 5) وحدة مشروع صحة الأسرة العربية، القطاع الاجتماعي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، خاصة المسح التونسي والمغربي والجزائري، سنوات متفرقة مابين 2003-2000.
- 6) اليونيسف، الشباب الأردني، حياتهم وآراؤهم، عمان، الأردن، مصدر مذكور.
- 7) Electoral in sight: "youth participation in Election: why are they voting less? Vol. 5, No 2, July 2003, www.Election.Cu (7 pp.3- 4
- 8) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، منتدى العالم الثالث، أجيال مستقبل مصر، القاهرة، 2002.
- 9) J. Pammett & L.educ. "The problem of declining voter: Turn out among youth" in Electoral In sight opict. pp.5- 6
- 10) أحمد عبد الناظر، البيانات والمعلومات المتاحة حول الشباب في تونس، اجتماع خبراء إقليمي حول الحالة المعرفية لبحوث الشباب في الإقليم العربي، إدارة السياسات السكانية والهجرة، شرم الشيخ، نوفمبر 2004
- 11) عبد العال إمداح، "قيم الشباب المغربي، الجنس والسياسة والدين"، نموذج منطقة دمنات، 2003، ص ص 37- 38، أجريت الدراسة- وهي دراسة معمقة- على 100 شاب وشابة ثلثهم ذكور والثلث إناث تتراوح أعمارهم 24- 30 عاماً، من الأميين والمتعلمين، والمتعلمين والذين يعملون، متزوجون لم سبق لهم الزواج.
- 12) اليونيسف، الشباب الأردنيون: حياتهم وآرائهم، مصدر مذكور، ص 122.
- 13) وزارة التخطيط (الأردن)، تقرير التنمية البشرية، عمان، 2000، ص 45.
- 14) وزارة الشباب (مصر)، الشباب والمشاركة، القاهرة، 2005.
- 15) البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002.
- 16) مركز المرأة العربية للبحوث والتدريب "كوتر"، الفتاة العربية المراهقة، مصدر مذكور.
- 17) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تقرير الأمين العام حول التعليم، مؤتمر القمة العربية، الرياض، مارس 2007، وأيضا كمال نجيب، منظومة تطوير التربية العربية من أجل تمكين الشباب، من منشورات إدارة السياسات السكانية والهجرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2005.
- 18) إدارة السياسات السكانية والهجرة، إطار استراتيجي لتطوير سياسات تمكين الشباب العربي، جامعة الدول العربية، مسودة أولية القاهرة، 2006.
- 19) إدارة السياسات السكانية والهجرة، قضايا الشباب العربي، الإصدار الثاني، القيم السائدة لدى الشباب، الخصائص والمحددات، القاهرة، 2006.
- 20) عبد الباسط عبد المعطي، المرأة الريفيّة والمشاركة، المؤتمر الدولي الرابع للإحصاء والبحوث الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1989.
- 21) الديوان الوطني للأسرة والعمران، المسح التونسي لصحة الأسرة، 2002 وأيضا اليونيسف، الشباب الأردني، حياتهم وآرائهم، عمان 2002 ص 122، وأيضا، زهير الحطاب، الشاب العربي والتواصل الأسري، من التقييم إلى التفعيل، إدارة السياسات السكانية والهجرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة 2005
- 22) السؤال الحادي والعشرون من الاستبيان.
- 23) السؤال الحادي والعشرون من الاستبيان.
- 24) هدى زريق، وثريا التركي، تغير القيم في العائلة العربية، اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغربي آسيا، الإسكوا، سلسلة دراسات المرأة والتنمية، رقم 21، بيروت، ديسمبر 1995.
- 25) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، الانتخابات البرلمانية في مصر، 2005، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 2006.
- 26) شهيدة الباز، المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن العشرين، لجنة المتابعة لمؤتمر المنظمات الأهلية العربية، القاهرة، 1997، وأيضا الفصل الخامس من التقرير الراهن.
- 27) إدارة السياسات السكانية والهجرة، القيم السائدة لدى الشباب العربي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة، 2006، وأيضا الحالة المعرفية للمنتج البحثي حول الشباب العربي، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة 2005.

خاتمة عامة للتقرير

استخلاصات وفرضيات

قبل السير مع أهم استخلاصات التقرير الراهن، هناك احتراز من حق متلقي العمل الراهن، أن نضعه أمام ناظره، هو:

أن التقرير الراهن اعتمد على مصدرين رئيسيين للبيانات:

الأول حصاد تحليل وإعادة تركيب لبيانات ومعلومات كانت ضمن ثنائيا جهود بحثية فردية وجماعية سابقة، عنيت بالشباب العربي، وطنياً وإقليمياً. وتمثل الثاني في دراستين ميدانيتين أجريت الأولى على عينة من الشباب في الجمعيات الأهلية، وأجريت الثانية على عينة نوعية من الشباب العربي، القادر على التعامل مع شبكة المعلومات الدولية، ورغم أن العينة أتت من كل

توظيف ماهو متاح من فرص، وتكيف بعضهم- من عينتي الدراستين- مع ظروفه وخصائصه وشواغله اليومية، حسب أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ووعيه بذاته وقدراته على المشاركة.

لقد تمحور التقرير ودراساته الميدانيتين حول مقولة أساسية هي: يحوز الشباب العربي أنماطاً من الوعي بالمشاركة، وأمامه بعض فرص متاحة لممارستها- أيا كان حجمها وطبيعتها- ومع هذا يسود غير قليل من الأدبيات العربية مقولة "إن الشباب يعزف عنها وغير مبال بها" إن هذه المقولة تحمل بعض التناقض، ذلك لأن الخبرة التاريخية بالشباب العربي، وفي مواقف وأحداث عربية قريبة الوقوع تشهد- شباب فلسطين- على أن الشباب قوة من قوى التغيير، وأنه بحكم موقعه الديموغرافي

رغم أن كثيراً من الأدبيات والسياسات ترى الشباب كل المستقبل إلا أن الشباب يريد الحاضر أولاً- مواجهة التحديات- لضمان مستقبله

لقد تمحور التقرير ودراساته الميدانيتين حول مقولة أساسية هي: يحوز الشباب العربي أنماطاً من الوعي بالمشاركة. وأمامه بعض فرص متاحة لممارستها- أيا كان حجمها وطبيعتها- ومع هذا يسود غير قليل من الأدبيات العربية مقولة "إن الشباب يعزف عنها وغير مبال بها

مشروع "تمكين الشباب العربي ينطلق من مقولة هي أقرب إلي المسلمة العلمية، حين رأى أن مقارنة تمكين الشباب العربي، هي في الوقت نفسه مقارنة لتحسين نوعية حياة كل المواطنين العرب، وبلا أي تمييز. فالشباب شئنا أم أبينا وأيما كانت حالة الوعي المجتمعي هو كل المستقبل العربي.

والجيلي يتطلع إلي المستقبل، ولهذا فهو المرشح أكثر من غيره لاغتنام الفرص المتاحة للمشاركة لتطويرها وتوسيعها وبلورتها لتكون مقدمة نحو الإصلاح العربي، خاصة أبعاده السياسية المتعلقة بالديموقراطية. وهذه الثقة بالشباب العربي والوعي بقدراته هي التي جعلت مشروع "تمكين الشباب العربي وتفعيل مشاركته في الاستراتيجيات السكانية والتنمية"- كما سبقت الإشارة- ينطلق من مقولة هي أقرب إلي المسلمة العلمية، حين رأى أن مقارنة تمكين الشباب العربي، هي في الوقت نفسه مقارنة لتحسين نوعية حياة كل المواطنين العرب، وبلا أي تمييز. فالشباب شئنا أم أبينا وأيما كانت حالة الوعي المجتمعي به هو كل المستقبل، وبالتالي فإن تطوير افتداده لتمكينه، وتفعيل مشاركته في إطار الحقوق الإنسانية وفي القلب منها حقوق المواطنة، سوف ينعكس بالتأكيد على حصاد حال المجتمعات

البلدان العربية وبنسب متفاوتة، فهي محدودة عددا (516 شاباً وشابة عربية)، ولهذا من الصعوبة منهجياً التعميم خارج نطاق حجمها وخصائصها وتوزعها حسب العمر والنوع والتعليم والحالة الاجتماعية، والسكن في الريف أو الحضر. وينطبق الأمر نفسه على الدراسة الأولى.

ومع هذا الاحتراز، فإن النتائج وافتنا بمظاهر ومؤشرات حول الوعي بالمشاركة وممارستها في ضوء الفرص التي أتاحت للشباب، تلتقى مع كثير من نتائج ومؤشرات دراسات سابقة، سبقت الإشارة إليها في مواضع متفرقة من التقرير الراهن. وتؤكد هذه المؤشرات أو تلك أن الوعي بالمشاركة وفرصها ينتج عن تفاعل السياق المجتمعي للمشاركة، خاصة وسائط الوعي بها وفرصها من ناحية، وخصائص شباب وشابات عينتي الدراستين من ناحية أخرى خاصة قدرتهم النسبية على المبادرة، وعلى

ولكي يتمكن التقرير من التفاعل المفاهيمي والمعرفي مع هذه المقولة، ومتطلباتها المنهجية، قام بنوع من التفكيك لعناصرها، وفق عنصرين أو مكونين متسعين نسبياً هما: الوعي بالمشاركة، وممارسة المشاركة.

ملامح وعي الشباب والشابات بالمشاركة:

الوعي بالمشاركة - كما سبقت الإشارة في الفصل الثالث- هو حصاد معارف ومعلومات- من القراءة والتعلم من الخبرات اليومية المعاشة- ومدركات Perception هي محصلة الوعي الفردي والجماعي اليومي، بأبعاد المشاركة، وفرصها، وجدواها، ومخرجاتها، وتصوراتها.
-الوعي بالمشاركة: الإدراك، والبدائل

تفيد البيانات التي اشتمل عليها التقرير، بالإضافة إلى حصاد الدراسة السابقة التي سبقت الإشارة إلى نتائجها، أنه بالإمكان تصنيف الشبان والشابات إلى ثلاث مجموعات واسعة نسبياً بداخل كل منها تباينات نوعية: الأولى هي مجموعة الشباب المشارك بالفعل، وهم الأقل عدداً حسب حصاد كل الدراسات المتاحة، فهم ما بين الربع والثلث، وبصرف النظر عن الدراسة الميدانية؛ لأن عينتها نوعية كما سبقت الإشارة، وتنخفض عن هذه النسب في دراسات سابقة¹ الأكثر اغتناماً لفرص المشاركة، سواء في الجمعيات الأهلية، أو في الانتخابات المختلفة، وأما المجموعة الثانية، لديها معرفة عن المشاركة وترغب فيها، غير أن مشاركتها انتقائية، وغالباً ما تقتصر على المشاركة في الجمعيات الأهلية والنشاطات المدرسية، وتعزف عن المشاركة السياسية، وهي مجموعة تتراوح على نحو تقريبي بين ثلث الشباب وأقل من نصفهم. وأما المجموعة الثالثة، فهي التي لم تشارك إما عزوفاً واعياً عن المشاركة، أو لنقص في المعلومات والبيانات حول المشاركة وأساليبها، أو الخوف من بعض مجالات المشاركة، وخاصة السياسية، وهي مجموعة يمكن تقديرها في ضوء حصاد كل البيانات التي استند إليها التقرير بحوالي ثلث الشباب.

هي مجموعة لديها معلومات وفيرة نسبياً عن ضرورة المشاركة وشروطها في ضوء حصاد تجاربهم بشأنها. فهم إضافة للمعلومات التي حصلوها من الصحف والتلفزيون وشبكة المعلومات- أصحاب رغبة في المشاركة، حيث يحوزون بطاقة انتخابية، ولهم تجربة في ممارسة المشاركة على مستويات متنوعة، في مقدمتها العمل التطوعي، ثم المشاركة على مستوى المجتمعات المحلية (الانتخابات)، ومساعدة الآخرين على مستوى الجوار.

لقد أفصح فهم هذه المجموعة للمشاركة عن أنها:

- حق من حقوق الإنسان.
- وأنها أهم آليات المساهمة في اتخاذ القرار.
- أنها عملية أساسية للتطوير المجتمعي، في اتجاه دعم الحرية والعدالة الاجتماعية.
- وبينت أن أهم العوقات التي واجهتها أثناء ممارستها للمشاركة:
- سيطرة الكبار على عمليات المشاركة، وتهميش أدوار الشباب فيها.
- عدم تقدير خبرات الشباب وتجاربهم.
- الحاجة إلي التدريب وتطوير مهارات المشاركة.
- عدم ملاءمة نشاطات المشاركة مع أوقات الشباب ومع ظروفهم المادية .
- عدم وضوح أهداف بعض نشاطات المشاركة.
- ولهذا، فإن اقتراحاتها لتطوير المشاركة أتت أكثر واقعية وتحديداً، وأكثر فاعلية؛ نتيجة لخبرة متحصلة بالفعل من خبراتها بالمشاركة:
- تقنين أدوار الكبار خلال عملية المشاركة.
- تنمية مهارات الشباب وقدراتهم على المشاركة.
- تحفيز الشباب على المشاركة، خاصة في الأعمال التطوعية المتواصلة، بما في ذلك التحفيز المادي والأدبي.

المجموعة الثانية: مشاركة انتقائية:

وهي مجموعة تدرك أهمية المشاركة وضرورتها وترغب فيها، غير أنها تفضل بعض مجالات للمشاركة أكثر من غيرها، فهي تميل إلى المشاركة غير الرسمية، وخاصة في الجمعيات الأهلية، وتكاد تحجم عن المشاركة الرسمية، وخاصة السياسية:

فهي تجد نفسها في الجمعيات الأهلية، لأنها تتيح فرصة أفضل للتعبير عن الذات، وتدعم الثقة في النفس، ويدرك الشباب المشارك فيها بعض الفوائد التي تعود عليه، أو على مجتمعه المحلي، خاصة تلبية بعض طموحات الشباب في سياق التطوير التنموي للمجتمعات المحلية".

أما عن موقفهم من المشاركة السياسية -سواء في الأحزاب أو الانتخابات التشريعية النيابية- فهم:

- لا يثقون في نتائجها، ولا في سلوك المرشحين بعد نجاحهم في الانتخابات

- وأن حصادها لا يقدم للشباب أى منافع أو فوائد إضافية لمواجهة مشكلاتهم أو تحقيق طموحاتهم.

- وأن الشباب غالباً ما يكون فيها وسيلة لاستفادة آخرين، خاصة المرشحين في الانتخابات.

وتميل هذه المجموعة -بجانب العمل التطوعي في الجمعيات الأهلية- إلى المشاركة في الانتخابات المحلية، وذلك لعرفتهم بالمرشحين على المستوى المحلي، ولارتباط هذا المستوى الانتخابي بالمجتمعات التي يعيش فيها الشباب، فضلاً عن تأثرهم بالانتماءات العائلية والقبلية.

ولهذا تمحورت مقترحاتهم لتطوير المشاركة حول:

- تغيير نظم الانتخابات وأساليبها.

- خفض سن الترشيح للمجالس النيابية.

- تطوير معارف وقدرات الشباب حول المشاركة.

المجموعة الثالثة: غير المشاركة

وهي مجموعة غير مقبلة على المشاركة، معارفها وجدواها وقواعدها محدودة، وإدراكهم لجدواها الذاتية- الشخصية- والموضوعية ملتبسة ومنقوصة، وهم تقريبا الذين أجابو بنسبة 32% من إجمالي عينة الدراسة التونسية بأن الشباب لا يرغبون في أي شكل أو مجال من مجالات المشاركة. وتعود مبرراتهم لعدم المشاركة إلى:

- خوفهم من ممارستها ونتائجها، متوقعين أضراراً منها، خاصة المشاركة السياسية.

- وأنهم مشغولون بهمومهم اليومية، وبالتحديات التي تواجههم، خاصة الخروج من البطالة إلى التشغيل، أو من التشغيل المؤقت إلى العمل الدائم والمستقر.

- أن نسبة منهم لا يزالون في مراحل التعليم، ومن ثم فالمشاركة ليست من أولوياتهم؛ لأنهم مشغولون في التحصيل الدراسي والاستعدادات لامتحانات، خاصة من لا يزالون في المرحلة الثانوية (البكالوريا)، كما أن الأسرة تحد من مشاركتهم، خاصة الشابات. وبهذا فالمجموعتان -الثانية والثالثة- هما اللتان بحاجة إلى:

• حث وتوعية بأهمية المشاركة وجدواها.

• تحفيز على ممارسة المشاركة.

• تطوير قدراتهم ومهاراتهم على المشاركة.

المشاركة والنوع الاجتماعي

توضح -بيانات الدراساتين- سواء حول تحديات مشاركة الشباب عامة أو الشباب في الجمعيات الأهلية أنه رغم معرفة الشابات بالمشاركة ورغبتهم فيها، واستعداد أعداد منهن لها (بجائزة بطاقة انتخابية) أنهم يعانون من عدة معوقات، بعضها ثقافي متوارث يحول دون مشاركتهم، وأن فرص المشاركة المتاحة لاتتسق وظروفهن وعلاقاتهن بالأسرة.

وهناك مجموعة غير مقبلة على المشاركة، معارفها وجدواها وقواعدها محدودة، وإدراكهم لجدواها الذاتية- الشخصية- والموضوعية ملتبسة ومنقوصة.

جدول تجميعي (10) يوضح بعض مؤشرات فجوة النوع في المشاركة في الدراسة الميدانية حول تحديات المشاركة

المؤشرات	إناث	ذكور
من لديها بطاقة انتخابية	28.6	71.5
من لديها تجربة سابقة للمشاركة	36.1	63.4
العمل التطوعي من أوليات الخبرات السابقة	39.4	33
المشاركة في أمور الأسرة	35.1	64.9
الوقت ليس ملائماً للمشاركة كأحد أسباب عدم المشاركة في الانتخابات	18.2	14.5
المشاركة في المنتديات الإلكترونية	34.1	65.1
المشاركة في الانتخابات البرلمانية	28.5	70.0
المشاركة في الانتخابات المحلية	27.1	72.4
التحاور في الموضوعات السياسية عبر الإنترنت	19.4	22.3
القيام بنشاطات في محيط الجوار	27	73
علاقات مع الأسرة	17.1	8.3

•النسب وفق تكرارات الإجابة

عن المشاركة، وترغب فيها، وبعضهم- قرابة النصف- استعداد لها بحياسة بطاقة انتخابية، إلا أنهم في مجملهم بحاجة إلى أنماط ومجالات جديدة للمشاركة.

- تتسق وقدراتهم وتحثفي بها.
- وتعبر عن طموحاتهم .
- وتكون أكثر تحملاً من القيود والمعوقات.
- وأن تكون محفزة، لهم وهو ما أطلقنا عليه فرصة المشاركة الآمنة والمفيدة.

ولعل في نموذج التعامل مع شبكة المعلومات الدولية، ما يطرح أفكاراً وتصورات حول تطوير خصائص وآليات وشروط المشاركة التي يرغبها الشباب. أنها أسئلة تحتاج إلى إبداع من الشباب ومن المعنيين بأمور مشاركتهم.

ورغم أن إجابات الفتيات في الدراسة الميدانية حول تحديات المشاركة من المتعلمات سواء من أنهت تعليمها، أو لا تزال في التعليم، فقد وجدت فروق بينها في أنماط المشاركة ومجالاتها في الأسرة وعلى مستوى المجتمع المحلي والمجتمع الكبير (الانتخابات البرلمانية). ويمكن افتراض أن هناك علاقة بين حياسة البطاقات الانتخابية للشابات والحرص على المشاركة في الانتخابات البرلمانية. وبين عدد المقاعد التي تشغلها المرأة في البرلمانات العربية، والتي -كما سبقت الإشارة- تعد مشاركة رمزية. ويعنى هذا -من جانب آخر- أن إقبال الفتيات وحرصهن على الانتخابات البرلمانية يمكن أن يزيد من مقاعد المرأة في تلك المجالس.

ولعل الرسالة الأساسية التي يتطلع التقرير -وفي ضوء بياناته وحدوده- إلى إرسالها إلى من يهيمه أمر المشاركة هي:

أن النسبة الأكبر من العينة لديها معارف معقولة

ويمكن افتراض أن هناك علاقة بين حياسة البطاقات الانتخابية للشابات والحرص على المشاركة في الانتخابات البرلمانية. وبين عدد المقاعد التي تشغلها المرأة في البرلمانات العربية. والتي -كما سبقت الإشارة- تعد مشاركة رمزية. ويعنى هذا -من جانب آخر- أن إقبال الفتيات وحرصهن على الانتخابات البرلمانية يمكن أن يزيد من مقاعد المرأة في تلك المجالس.

جامعة الدول العربية جامعة الدول العربية
إدارة السياسات السكانية والمجرة
القطاع الاجتماعي
مشروع تمكين الشباب العربي

دراسة
شباب العربي للمشاركة:
المعوقات وآفاق التطوير

صحيفة استبانة مدارة ذاتياً

عبر البريد الإلكتروني / عبر لجنة الشباب الاستشارية

لا تستخدم البيانات إلا لأغراض البحث العلمي فقط

مقدمة

كما تعلمون، يعد الشباب العربي قوة أساسية في المجتمعات العربية يتطلع الجميع إلى فاعليتها فيما يخص أمورها وأمور مجتمعتها. وانطلاقاً من مبدأ أن تفعيل سياسات تمكين الشباب ونجاحها يعتمد بالأساس على مشاركة الشباب لضمان مساهمته في صياغة السياسات المعنية به وتنفيذها ومتابعتها.

في هذا الإطار، ومساهمة من الجامعة العربية في استطلاع آراء ومقترحات الشباب في أمور المشاركة، تم إعداد استبيان يستهدف جمع بيانات حول أوضاع مشاركة الشباب، على مستوى الأسرة ومؤسسة التعليم والجمعيات الأهلية، والعمل السياسي المنظم... لرصد ما يواجهه من معوقات، والاستماع إلى آرائه ومقترحاته، لإتاحة فرص تمكنه من المشاركة. والمرجو من كل شاب تتاح له فرصة قراءة هذا الاستبيان الحرص على الإجابة على كل أسئلته بصراحة ودقة*، فأراء الشباب هي التي تعطينا صورة حقيقية حول ما يعوق مشاركته، وما يريده لكي يكون مشاركاً فاعلاً. وكلما أتحت عزيزي الشاب فرصة لأكثر عدد من الأصدقاء والزملاء من الشباب للحصول على نسخة من هذا الاستبيان وتحفيزه على الإجابة على أسئلته وإرساله لنا، فإنك تكون قد بدأت أول خطوة للمشاركة، وعبرت عن مسئولية والتزام، للاستماع لآراء أكبر عدد ممكن من الشباب العربي.

* برجاء وضع علامة صح () أمام المربع الذي يعبر عن رأيك